بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازةُ أُطروحةٍ علميّةٍ في صيغتها النّهائيّةِ بعدَ إجراء التّعديلات :

الاسمُ الرُّباعيُّ : عبد العزيز بن سليمان بن سعد الرومي الرّقم الجامعيّ : (٤٣١٨٠٠٠٨)

كلّيّة : اللغة العربيّة قسم : الدّراسات العليا العربيّة فرع : الرياض

الأُطروحةُ مقدّمةٌ لنيلِ درجة : الماجستير في تخصُّص : الدراسات الإسلامية

عنوانُ الأُطروحةِ : "الإمام في اليمن والسعودية الحديث" دراسة موضوعية تاريخية ".

الحمدُ لله ربِّ العالمين،والصّلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فبعد إجراء التّصويبات المطلوبة التي أوصتْ بها اللجنةُ التي ناقشتْ هذه الأطروحةَ بتاريخ : ٢٧ / ١ / ١٤٢٤ هـ ، توصي اللجنةُ بإجازتها في صيغتها النّهائيّة المرفقة

والله الموفّق ،،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف : أ.د. يسري الدالي المناقش الأول : أ.د. مصطفى عبد الله المناقش الثّاني : د. حبيب الزيودي

التوقيع : التوقيع : التوقيع :

يعتمد : رئيس قسم الدّراسات العليا العربيّة

أ.د : سليمان بن إبراهيم العايد

التوقيع :

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

الأم
في الشعر السعودي الحديث

(دراسة موضوعية فنية)

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالبة

جواهر بنت عبد الله بن سند العصيمي

إشراف

سعادة الأستاذ الدكتور

السيد العراقي سعد منصور

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

الأم في الشعر السعودي الحديث

(دراسة موضوعية فنية)

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب

سجلت نصوص القرآن الكريم سبقا مشهودا في تكريمها للأم حين أوصت ببرها وطاعتها ، فمنحتها مكانة سامية ، ومنزلة رفيعة ، وتأكد هذا التكريم في سنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا بها تستشرف حدود الطاعة والجزاء ، وتصل بتقديرها إلى أن جعلتها سبيلاً موصلاً إلى الجنة . و تبعا لذلك اهتم بها الشعراء ـ على امتداد عصورهم ـ اهتماماً بالغاً ، وأحاطوها بسياج متين من البرّ والإكرام .

ولا غرابة في أن يرث الشعراء السعوديون تراث أسلافهم، فصفت قلوبهم قبل أن تصفو قرائحهم ، وتدفقت وجداناتهم قبل أن تتدفق ألسنتهم ، ومن ثمّ حفلت دواوينهم بقصائد الأمومة الحانية ...

وكشفت نصوص هذا البحث عن مكنونات ذلك الكيان العظيم مصورة تلك الدفقات الانفعالية بصور شتى ، صنفت في أغراض شعرية متنوعة ما بين مرثيات صادقة تنبض بكل مظاهر الحزن والأسى،وقصائد مادحة تشيد بمناقبها وخصالها ، وأخرى حانية تناجي الأمان حين يقسو الزمان ، وتنشد الراحة حين تضيق النفس بأناتها ، كما تصور أنموذجا قادرا على صنع أجيال تلو أجيال ، وروحا تكلى تترجم الوحدة والألم .

كما أن الأم عند بعض الشعراء السعوديين قد تخطت بمدلولها اللفظي مقتضى الحقيقة والواقع إلى آفاق من التوظيف والتوجه ، فقد يقصد بها أحيانا الأرض أو الصحراء الحبيبة أو الوطن .

وإلى جانب ذلك تم رصد آليات التعبير المستخدمة التي تمت بها معالجة قصيدة الأم ، وتصنيفها في مباحث فنية ، تتبعت ملامح التنوع والتأثر ، فتلمح تنوع المعجم الشعري سواءً في المفردة أو التركيب اللغوي ، وتباين أساليب الأداء الفني ، وتعدد أدوات التصوير البياني ، وأوزان التشكيل العروضي الذي وظفوه في هذا الموضوع ، كلّ حسب وجهته ومقصده .

وقد وصل البحث إلى النتائج التالية :

إن الأم كانت وما زالت مصدر إلهام الشعراء قديماً وحديثاً ، سواء في ديوان الشعر السعودي أم في ديوان الشعر القديم بعصوره المتتالية ، فالشاعر السعودي لم يخرج عن أهداف هذا الشعر وقيمه ، في تصوير عاطفة الأمومة مدحاً ورثاءً ، وشوقاً وحنيناً ، وشكوى وأنيناً ... وقد اعتمد في صياغة تجاربه الشعورية تجاهها على ظواهر أسلوبية عدة ، وألوان فنية متنوعة ..

الباحثة	المشرف على الرسالة	عميد كلية اللغة العربية
الاسم :جواهر بنت عبد الله الحصيمي	الاسم : أ.د. السيد العراقي سعد منصور	الاسم : أ.د.عبد الله ناصر القرني

مقدمة:

بسم الله والحمد لله المنزه عن الآباء والأمهات ، المتفضل بنعمه على البنين والبنات، والقائل في محكم تنزيله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (١) ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل صاحب المعجزات ، وعظيم الدرجات، وعلى آله وصحبه أجمعين..وبعد :

فخلق الله ــ عز وجل ــ أباتا آدم ــ عليه السلام ــ من قبضة قبضها من طين الأرض ، فجاء بنوه متباينى الأشكال ، مختلفي الألوان ، فمنهم الأحمر والأبيض والأسود ، ومنهم الخبيث والطيب والسهل والحزن .

ولما كان الإعمار في الأرض يتطلب وجود زوجين اثنين خلق الله ــ عز وجل ــ حواء أم البشر أجمع من ضلع سيدنا آدم ــ عليه السلام ــ فكانت زوجة له ، ومؤنسة وحدته ، ومكملة لوجوده المعنوي والحسي.ملأت بذلك فراغه الوجداني،وعاشت معه حياة زاخرة بالمودة والألفة والاحترام .

هذه هي النشأة الأولى للأم ، غرس الله ــ سبحانه وتعالى ــ أمدّها بالأمومة الحانية ؛ لتفجر في الأبناء ينابيع البنوة الصادقة،وحتى تعمر الأرض بهم جميعاً إلى يوم القيامة في أجيال تلو أجيال ، تظل الأم خلالها مرفأ الأمان وينبوع الحنان ، مشمولة بالتقدير والتقديم ــ إلى جوار زوجها ــ على باقي أفراد الأسرة ، على الابن والزوجة والبنت معاً ؛لأنها رمز الخصوبة فيهم ومصدر الحياة بينهم . فقد كانت ــ في الأصل ــ ابنة لأبوين ، ثم صارت زوجة لرجل ، وأصبحت أماً لأبناء ، لتصير في النهاية جدة لأحفاد .

ومن هذا المنطلق تطلعت نفسي ، وسعت خواطري وهمتي إلى اختيار شخصية الأم لتكون موضوع

---

(١) سورة النساء آيـــة ١ .

هذه الأطروحة " الأم في الشعر السعودي الحديث " راجية أن أقف منها جانبا يتيح لي رؤية أوسع وأشمل لأستخلص صورة واضحة الملامح والسمات لشخصها العظيم ، ورغبة في معرفة بواطنها ومكنوناتها .

فتلمست حدود الشعر المرتبط بها "شعر الأم" المفعم بالقيم الوجدانية مكانياً وزمانيا ؛ ليشكل طابعا خاصا يجعله قادراً على أن يبلور موضوعاً جديراً بالبحث والتحليل ، فكان التحديد المكاني بحدود المملكة العربية السعودية التي آثرت اختيارها حتى أقضي حق هذه الأرض الطيبة التي نشأت في أحضانها ، وتحت ظل نعيمها وأمنها ، وأبذل واسع جهدي لخدمة أدبها وتراثها ، والكشف عن آثار أبرز شعرائها الأفذاذ ، وترجمة نتاجهم الشعري الذي ظل حبيس الأرفف والأدراج هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان لندرة الدراسات الأدبية والنقدية في الشعر السعودي الحديث سببه الرئيس في اختيار هذا الموضوع .

أما التحديد الزماني فكان عقب توحيد المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ : لأن صورة المرأة في الشعر ــ بصفة عامة ــ في فترة ما قبل التوحيد تتركز في غزلها ، وقد اختلفت صور هذا الغزل باختلاف الشعراء ، فمنهم من جعله في مطالع قصائده ، ومنهم من عكف على غزل العصر الجاهلي أو الإسلامي ، واتخذه المثل الأعلى ، وحذا حذوه موضوعاً وأسلوبا ...إلى غير ذلك من صور الغزل .(١) أما الأم أو البنت أو الزوجة أو الأخت فظلت غائبة في شعرهم .

وبعد التوحيد على يد الملك عبد العزيز ــ يرحمه الله ــ كان للانفتاح الثقافي والمعرفي ، ونهضة الحياة الفكرية ، أثره البارز على الشعراء ، حيث التفتوا إلى المرأة وأفسحوا لها مكانا عريضاً في شعرهم ، فلا يكاد يخلو ديوان من نتاجهم ، إلا ونجد صورة أصيلة للمرأة في هذا المجتمع

---

(١) انظر : بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ط ٦ ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٩٤م ، ص٢٠٧ وما بعدها

(الأم ــ البنت ــ الزوجة) وكلها تزخر بفيض من العواطف الصادقة والمشاعر النبيلة .

ولقد وجهت غايتي لكشف النقاب عن شخصية الأم ضمن هذا النتاج الثر ، إلا أنني وجدت أمامي عقبات عدة تتمثل في المصادر والمراجع التي تتعلق بالأدب السعودي ، فقد نعثر في المكتبة العربية على مئات المصادر والمراجع التي تعيننا على البحث في أي موضوع كان ، ولكن فيما يتعلق بالأدب السعودي نجده محصوراً في كتب قلة أو منثوراً في دوريات مختلفة ، بعضها تتعلق بالحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية،أو تشتمل على ترجمات لأبرز أدبائها(كتاباً وشعراء) . وبالتأكيد هذا لا يعني إغفال ما بذله المؤلفون من جهود رائدة ، تعطي الباحث المصادر الأولى لهذا الأدب ، وتمهد له الطريق لدراسات أخرى متنوعة .

وبما أنني في سبيل تجميع كل ما قيل عن الأم في الشعر السعودي ، فإن ذلك يتطلب جهدا شاقا في البحث والتنقيب والتنقل بين صفحات كل ديوان يقع تحت يدي ،أو صحيفة أو مجلة ــ من مختلف أقطار المملكة ــ وقد أصل في النهاية ــ وكثيراً ما حدث هذا ــ إلى قصيدة أو رباعية ، أو بيتين من الشعر يخدمان الموضوع ، كي أقوم بعد ذلك بدراستها وتحليلها على ضوء المنهجية العلمية في التأليف والدراسة .

وأما ما لمسته من دراسات عن الأم داخل هذا الشعر ، فقد كان ضمن دراسات عامة تتناول المرأة من الوجهة الكلية (الأم ــ البنت ــ الزوجة) وأبرز قضاياها الاجتماعية ، منها كتاب (المرأة في الشعر السعودي قبل النهضة وبعدها) للطيفة عبد العزيز المخضوب . أو ضمن دراسة مستفيضة لبعض الجوانب الاجتماعية في الشعر السعودي،كدراسة الباحث: مفرح إدريس أحمد سيد ، في أطروحته المقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب في جامعة أم القرى لعام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م بعنوان : (الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥هـ) وبعضها كانت عبارة عن مقالات مبسطة لا تعطي الصورة الكاملة لشخصية الأم شكلا ومضمونا ، منها مقالة

بعنوان: (الأم في الشعر السعودي المعاصر) لنفوسة زكريا سعيد،ضمن سلسلة مقالات الكتاب السنوي الثالث بكلية التربية للبنات بالرياض لعام ١٣٩٦هـ-١٣٩٧هـ ،فالفضل فيما وفقت فيه لله ـ عز وجل ـ ثم لهذه الدراسات المتنوعة، التي أنارت لي الطريق ، ودلتني على الهدف الذي إليه أسعى .

وكان الهيكل العام للبحث على بابين عدا المقدمة والتمهيد والخاتمة مرتباً على النحو التالي :

مقدمة : تشير إلى سبب اختيار البحث وأهميته ومنهج الدراسة فيه .

أما المبحث التمهيدي فيتناول : مكانة الأم في القران الكريم والسنة النبوية ، إضافة إلى ما نبضت به أحاسيس الشعراء خلال العصور السالفة من مشاعر صادقة تجاه الأم .

الباب الأول : قصيدة الأم "عرض موضوعي"

الفصل الأول : الإشادة بالأم .

الفصل الثاني : رثاء الأم .

الفصل الثالث : الغربة وبواعث الحنين للأم .

الفصل الرابع : الأم في أغراض شعرية أخرى :

١ـ الشكوى والأنين .

٢ـ نموذج الأم السعودية في أعين الشعراء السعوديين

٣ـ مظاهر حب الأم لأبنائها .

٤ـ الأم الثكلى .

الباب الثاني : قصيدة الأم "رؤية فنية"

الفصل الأول : البعد الفكري للتجربة الشعرية .

الفصل الثاني : إضاءات لغوية في الكلمات والصيغ .

الفصل الثالث : البنية الفنية لقصيدة الأم .

الفصـــــل الرابع : الأم في دائرة التصوير البياني والتفنن الأسلوبي .

الفصـــــل الخامس : التشكيـــــل الموسيقـــــي .

الخاتمـــة : وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث بعون من الله وتوفيقه .

وختاماً ، تظل زخات الشكر والتقدير هطلاً ، لمن ربياني صغيراً ، وطوقا بحبهما همتي وعزيمتي ، واحتضنا شقوتي وسعادتي ، ودفعاني إلى الرقي في سبيل العلم: إلى والديّ العزيزين ، وأرفع أكف الضراعة إلى الله ــ عز وجل ــ بأن يمنحهما دوام الصحة والعافية ، ويجزيهما عني خير الجزاء .

ثم إنني لمدينة بخالص الثناء والعرفان لأستاذي المشرف سعادة الدكتور: السيد العراقي سعد منصور ، سليل العلماء ، وناهج طريقهم ، يبذل النصح جوداً ، ويغدق العلم كرما ، علاوة على ذلك ، فقد كانت سعة صدره ، وعظيم خلقه ، خير حافز لي على المضي قدماً في البحث والدراسة. فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأدام بقاءه ، ورفع في الدارين شأنه وعلاه .

والشكر موصولٌ كذلك لسعادة المرشد الأستاذ الدكتور : محمد بن مريسي الحارثي ، الذي احتضن هذه الأطروحة في خطتها الأولى ، وفقه الله لما يحبه ويرضاه . وإلى سعادة المشرف السابق الدكتور : عوض الجميعي ، أثابه الله وسدد خطاه .

ولا يفوتني أن أقدم شكري وامتناني لكل من قدّم لي عوناً أثناء البحث سواء بالتوجيه أو المناقشة ، أو قدّم لي مرجعاً ، أو تكرم بمساعدتي على الوصول إلى دواوين الشعراء، والصحف القديمة ، والكتب النفيسة ، فأنا لا أوفيهم ثناءً ، ولا أجزيهم حسناً ، أثابهم الله عني خير الثواب .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل مسئول ومشرف على الهيئات التالية :

ــ جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

ـ كلية اللغة العربية التي انبثق هذا البحث من كنفها ممثلة في عميدها الموقر ، وسعادة رئيس قسم الأدب الفاضل ، و سعادة رئيس قسم الدراسات العليا المكرم ، جزاهم الله خير الجزاء ، وسدد خطاهم .

ـ معهد البحوث العلمية والدراسات الإسلامية .

ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض .

ـ جريدة المدينة المنورة ممثلة في رئيس تحريرها ـ سابقا ـ سعادة الأستاذ الفاضل: أحمد محمود ، الصديق الوفي لوالدي العزيز ، والذي كان خير عون لي بعد الله عز وجل في توفير مراجع هذه الأطروحة، أثابه الله عظيم الثواب ، وسدد في طريق الخير هداه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على الهادي الأمين

تمهيد

مكانة الأم في الشريعة الإسلامية

والشعر العربي القديم

مكانة الأم في الشريعة الإسلامية والشعر العربي القديم

كما أن لكل بناء أساساً ودعامةً ، ولكل عملٍ قواماً وركيزةً ، كذلك الأم ركيزة عظيمة ، ولبنة هامة في المجتمع تمنح بنيها ــ بعد الخالق سبحانه وتعالى ــ الحياة ، فهم في بطنها أجنة يقضون أشهرا في قرارٍ مكين يغتذون من دمها ، ثم هم بعد الوضع أطفال يرتضعون من لبنها، وينعمون برعايتها وحبها ، ثم هم فتياناً وشباناً معقد أملها ، فإذا ما اكتهلوا فهم فخارها وذراها ، وهم حينئذ ذكراتا وإناثاً حياتها المتجددة ، وثمراتها الواعدة ، ترى خلودها فيهم ، وفي ذراريهم (١) من أجل ذلك تعدّ الأم الأساس الذي يكوّن المجتمع ، والأصل والعماد وكل شيء يضم إليه جميع ما يليه .

وللفظة الأم في تراثنا اللغوي مدلولات متنوعة ، ومعانٍ جمة ، تزخر بها المعاجم اللغوية ، فإن أطلق لفظها فإنما يقع على الوالدة من كل حيوان ،ثم اتسع فيها فقيل لامرأة الرجل المسنة أمّ ، ولصاحبة المنزل أم ، والأم من القرآن الفاتحة (٢) وأم القرى مكة شرفها الله (٣) والأم هي

---

(١) انظر : أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ، ط د ، دار النهضة مصر ، ١٩٨٠م ، ص ٧٦ .

(٢) لأنه يبدأ بها في كل صلاة ، ويقال لها أم الكتاب أيضاً وأم القرآن .(انظر : التهذيب : أم ، واللسان : أمم ، والقاموس المحيط : امه . وتاج : أمم ..) ، وقد يطلق على الآيات المحكمات هن أم الكتاب لقوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ) سورة آل عمران آ ــ٧ــة ، وقوله عز وجل : (يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾) سورة الرعد آ ــ٣٩ــة أي فهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود ..(انظر : الزمخشري : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق : محمد مرسي عامر ، مراجعة الطبع : شعبان محمد إسماعيل ، ط ٢ ، دار المصحف القاهرة ، ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م، ١/ ١٩٢) والمحكمات خمسمائة آية لأنها تبسط معانيها فكانت أم فروع قيست عليها وتولدت منها كالأم يحدث منها الولد وكذلك سميت أم الكتاب (انظر : أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ط ٢ ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م ، ٢/ ٣٨١) .

(٣) قيل سميت بذلك لأنها أقدم القرى التي في جزيرة العرب و أعظمها خطراً ؛ إما لاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة ، أو لتكفانهم إليها وتعويلهم على الاعتصام بها لما يرجونه من رحمة الله تعالى (انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ط د ، دار صادر بيروت، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م ، ١/ ٢٥٤ وتاليتها) .

المسكن (١) والأم للرأس الدماغ أو هي الجلدة الرقيقة التي عليها (٢) .

وجامع هذه المعاني كلها "الأم" بالمعنى الإنساني العظيم ، الوالدة الحانية التي أحاطها القرآن الكريم برعايته ، حين أوصى ببرها،وتذكير الأبناء بما تكابده وتعانيه من حمل وولادة ، وتنشئة ورضاعة ، مما جعلها مقدمة بالبر على الأب، يقول الله ــ عزوجل ــ في محكم تنزيله : (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ) (٣) ، "يوصي الله تعالى الإنسان بوالديه حملته أمه شدة بعد شدة،وخلقاً بعد خلق "(٤) أي أنه لما أوصى بالوالدين ذكر شدة بلاء الأم ، وما " تعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً " (٥)

ويتوالى الإرشاد الإلهي حاملاً في قراره معاني البر بالأم والإحسان إليها ، كقوله تعالى على لسان ــ عيسى عليه السلام ــ : (وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾) (٦) فكان هذا أول تنبيه

---

(١)ومنه قوله تعالى :(فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ) سورة القارعة آيــ ٩ــة ، والهاوية النار ، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها . (انظر : الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ط ٣ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ، ١٣٨٨هــ-١٩٦٨م ، ٣/ ٢٨٣) .

(٢) انظر : المصباح المنير : أمّ ، والتاج : أمم . ومما جاء في اشتقاق لفظة (أم) أمّة قصده كالتمه وأممه وتأممه ويممه وتيممه وتيمم التوضؤ بالتراب وإبدال أصله فتأمم والعلم بكسر الميم الدليل الهادي والجمل يقدم الجمال وهي بهاء ، والإمّة بالكسر الحالة والشرعة والدين ويضم والنعمة والهيئة والشأن ونضارة العيش والسنّة ويضم والطريقة والإمامة والائتمام بالإمام ، وبالضم الرجل الجامع للخير والإمام وجماعة أرسل إليهم رسول والجيل من كل حي والجنس كالأم فيهما ومن هو على الحق مخالف لسائر الأديان والحين والقامة والوجه والنشاط والطاعة والعالم ومن الوجه والطريق معظمه ، ومن الرجل قومه والله تعالى خلق ، ويقال للأم الأمة والأمهة ج أمات وأمهات أو هذه لمن يعقل وأمات لمن لا يعقل .ولا أم لك ربما وضع موضع المدح وأمت أمومة صارت أمّاً وتأممها واستأمها اتخذها أمّاً وما كنت أمّاً فأمومت بالكسر أمومة : مه ــ فهو أميم ومأموم أصاب أم رأسه وشجة آمّه ومأمومة بلغت أم الرأس و الأميمة كجهينة الحجارة تشدخ بها الرؤوس..(القاموس المحيط : مه).

(٣) سورة لقمان آيــ١٤ــة .

(٤) الطبري : مرجع سابق ٢١ / ٦٩ .

(٥)الزمخشري : مرجع سابق ٥/ ١٩ .

(٦) سورة مريم آيــ٣٢ــة .

لعظم مكانتها ، وشدة معاناتها وقوة صبرها وتحملها فيما أسند إليها من القيام بوظيفة الأمومة ، لذا صورها البيان المحمدي أروع تصوير ، ووصل بمكانتها إلى جعلها سبيلاً موصلاً إلى الجنة ، وأوصى بها خيراً فلها حق الإحسان والرحمة والكلمة الطيبة " عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : جاء رجل إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : " يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: أمك.قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك " (١) والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما يعرض لبيان حقوق الأم خاصة ، والوالدين عامة ، يوصي ببرها والبعد عن عقوقها الذي يعد من أكبر الكبائر . روى المغيرة بن شعبة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " إنّ الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال " (٢)

فبرها من أعلى الدرجات وأفضل المقامات ؛ لأن البار بها والذي يحسن محبتها لا ينال سوى الثواب العظيم ، والخير الجزيل ، فالجنة تحت أقدامها ، وطاعتها من طاعة الله . عن معاوية ابن جاهمة السلمي ، أن جاهمة جاء إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : " يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك . فقال : هل لك من أم ؟ قال : نعم قال : فالزمها فإن الجنة تحت رجليها " (٣) وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : " أتى رجل أبا الدرداء فقال : إن امرأتي بنت عمي وأنا أحبها ، وإن والدتي تأمرني أن أطلقها فقال : لا آمرك أن تطلقها ولا آمرك أن تعصي والدتك ، ولكن أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : إن الوالدة أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأمسك وإن شئت فدع " (٤)

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ، ط د ، دار الفكر ، بلد الطبع د ، ت د ، كتاب الأدب ٧/ ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، كتاب الأدب ٧/ ٧٠ .

(٣) السيوطي : شرح سنن النسائي ، ط ١ ، دار الفكر بيروت ، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م ، كتاب الجهاد ٦/ ١١ .

(٤) الإمام أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م ، ٥/ ١٩٨ .

وبر الأم ــ وهو أحد شطري بر الوالدين ــ ليس مقصوراً عليها في الحياة ، بل تظل بذرة البر والإحسان تنمو وتمتد حتى بعد رحيلها عن الدنيا،وذلك بالدعاء لها،وصلة الرحم التي لا توصل إلا بها . جاء رجل من بني سلمة فقال : " يا رسول الله أبقي من برّ أبويّ شيءٌ أبرهما به من بعد موتهما ؟ قال: نعم . الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإيفاءٌ بعهودهما من بعد موتهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما " (١)

لذا كان التكريم الإلهي للمرأة (الأم) أعظم ردّ على أعداء الإسلام في العصور المتقدمة والمتأخرة ، فبعد أن رزحت تحت وطأة الظلم والهوان ، واعتبروها سقط المتاع ، وحبائل الشيطان،ولعنة عظيمة ؛ لأنها أغوت سيدنا آدم ــ عليه السلام ــ وعاملوها معاملة تتسم بالقسوة والإذلال ، وسلبوها كرامتها وقيمتها ، جاء الإسلام مسجلاً سبقاً مشهوداً في احترامها وإعطائها حقوقها ، وتحريرها من كل قيد لا يتناسب وفطرتها الربانية ، والاعتراف بها من حيث هي ذات كيان مستقل ، وتخصيصها في كونها وعاءً حصيناً ، وقراراً مكيناً لحفظ النوع البشري وتكوينه وإنمائه ، حيث فطرها الله على الحنو والرحمة بطفلها لتشمله برعايتها وحبها ، وتلبي جميع متطلباته المعنوية والمادية . كل هذا كان من شأنه تقديرها وتكريمها كما أوصى بذلك الله ــ سبحانه وتعالى ــ ونبيه الكريم من خلال ما سبق من أدلة سلفاً.(٢)

ومن هذا حظيت الأم كذلك في الشعر العربي على امتداد عصوره بفيوضات هذا الحب والوجد ، فأكثر الشعراء من التعبير عما يختلج دواخلهم من مشاعر صادقة تجاه هذه الإنسانة الرحيمة ــ في حياتها وبعد مماتها ــ وهاهو الشاعر صخر بن عمرو(٣) يعبّر عن حبه وثنائه العظيم

---

(١) ابن ماجة : سنن ماجة ، حققه ورقّم كتبه وعلّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط د ، دار الفكر بيروت ، ت د ، كتاب الأدب ٦/١١ .

(٢)انظر:محمد السيد الزعبلاوي:الأمومة في القرآن والسنة،ط١،دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت،١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٠١ وما بعدها .

(٣) هو صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء ، الذي ظلت ترثيه دهراً طويلاً حتى ضرب بها المثل . وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الغُصّ

(انظر : الأصمعي : الأصمعيات ، تحقيق : أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٧ ، دار المعارف مصر ، ١٩٩٣م، ص ١٤٦) .

فضل أمه ، ووفائها النبيل بعد ما لمس من زوجه سلمى الغدر والخيانة ، يقول :

أرى أمَ صخـــر ما تجف دموعـــها * وملّت سُليمـــى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشـــى أن أكون جنـــازة * عليك ، ومن يغتـــرُّ بالحدثـــان

فأيُّ امـــرئ ساوى بأمٍّ حليـــلةً * فلا عـــاش إلا في شقا وهوان(١)

بينما نجد الشاعر أبا فراس الحمداني (٢) قد تدفقت على لسانه مشاعر الحنين والشوق لرؤية أمه الطيلة ، محاولاً تحطيم قيود الأسر والذل ؛ ليظفر بنصر مؤزر من عند الله ــ عزوجل ــ يقول في قصيدة له بعنوان " مصابي جليل " :

مصابـــي جليل ، والعـــزاء جميـــل * وظنـــي بأن الله سوف يديـــل

جراحٌ تحـــاماها الأساة ، مخـــوفةٌ * وسقمان : باد ، منهما ،ودخيـــل

وأسرَ أقـــاسيه ، وليـــلٌ نجـــومه * أرى كل شيء ، غيرهنَ يـــزول

تناسني الأصحـــابَ إلا عُصيبـــة * ستلحق بالأخرى ، غـــدا وتحـــول!

.....

وإن وراء الستـــر ، أمّـــا بكاؤهـــا * عليَ ، وإن طال الزمـــان ، طويل

فيا أمتـــا ، لا تعدمي الصبر، إنـــه * إلى الخير والنجـــح القريب رسول(٣)

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٦ وتاليتها .

(٢) أبو فراس الحارث بن أبي العلاء الحمداني .قال الثعالبي في وصفه : " كان فرد دهره ، وشمس عصره أدباً وفضلا ، وكرما ومجدا ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ..(انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، قدمها : محمد المرعشلي ، أعدّ فهارسها : رياض عبد الهادي ، ط ١ ، إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ١/ ٢٢١ وما بعدها) .

(٣) ديوانه برواية أبو عبد الله بن خالويه ، ط د ، دار بيروت ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، ص٢٣٢ وتاليتها ، وانظر أيضا : ص١٦٢ قصيدة " أم الأسير " ، وص٢١٧ وتاليتها قصيدة " لولا العجوز " وغيرها .

ويجاريه كذلك الشاعر أبو العلاء المعري(١) ، حين ذابت روحه أسىً وتفجعاً بوفاة أمه ، فرثاها بقصيدة يقول فيها :

سمعتُ نعيَهـــا صمّـــي صمـــامِ * وإن قال العـــواذل لا همـــــامِ(٢)

وأمّتني إلـــى الأجـــداث أمّ * يعـــزُّ عليّ أن سارت أمـــامي

وأكبر أن يرثيهـــا لساتـــي * بلفظ سالـــك طرق الطعـــام

يقال فيهتـــم الأنيـــاب قـــولٌ * يباشـــرهـــا بأنبـــاء عظام(٣)

ومثله الشاعر ابن نباته السعدي(٤) يرثي أمه . حيث يقول :

أيا دمـــعُ هل للحزن عندك مطمعُ * فما كل محزون إلى الدمـــع يفزع ؟

وإن كنت قد أفنيت ما آل فاستعر * دم القلب واعلم أنّ ضـــرك ينفـــع

تداعت بلا طعن أنابيب عاملـــي * وأصبح حـــدّي بالنوائب يقطـــع

نفوسٌ على زاذان ينشـــدها الحجى * وليس لها حتى القيامة مـــرجـــع(٥)

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن قضاعة ، كان غزير الفضل ، شائع الذكر ، وافر العلم ، غاية الفهم ، عالما باللغة ، حاذقا بالنحو ، من شهر شعراء العصر العباسي ، ألف العديد من الكتب في الشعر واللغة والنحو والعروض .. (انظر : ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ط ٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر بلد الطبع د ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، ٣/ ١٠٧ وما بعدها) .

(٢)صمّي صمام : يضرب للرجل يأتي قداهية ، أي اخرس يا صمام (اللسان : صمم) ، لا همام : أي لا أهمُ بذلك ولا أفعله (اللسان: همم).

(٣)عبد الرحيم محمود وآخرون : شروح سقط الزند ، ط د ، دار الكاتب مصر ، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م، ١٤١٣/٤ومابعدها، وهتم فاه يهتم هتما : ألقى مافتم لسانه (اللسان : هتم) .

(٤) أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباته السعدي ، كان شاعراً مجيداً ، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ، وله في سيف الدولة بن حمدان غرّ القصائد ونخب المدائح.(انظر: بن خلكان: مرجع سابق ٢/ ٩٠ وما بعدها)

(٥) زاذان : تل زاذان موضع قرب الرقة في ديار مضر (انظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣/١٢٥) .

وقبران بالزوراء أمّـــي ووالـدي * كلا طرفي مجدي يُجَبْ ويُجـــدع

.....

فقدت كبيرا بِـــــرَ أم حفيّـــــة * كما فقد الثـــدي المُعـلل مُـرضع

إذا اختفرت زان الحجـــال عفافها * وإن سفرت فبالحيـــاء تُقنّـــع(١)

وغيرها من القصائد التي تعد من عيون الشعر العربي مثل قصيدة المتنبي(٢) في رثاء والدة سيف الدولة (٣) ورثاء جدته (٤) ، وقصيدة ابن الرومي (٥) في رثاء أمه (٦).

وما إن نصل إلى العصر الحديث ، ونخص بالذكر ــ الشعر السعودي ــ حتى نجد عاطفة الأمومة ينبض بها إحساس الشاعر التجاءً وحاجةً للارتماء في أحضان الأم فتدفقت عاطفة ربانية سامية كما كانت عليه .

والشعر السعودي بذلك لم يخرج عن أهداف الشعر العربي وقيمه ، في تصوير هذا النبع المعطاء مدحا ورثاء ، وشوقاً وحنيناً ، وشكوى وأنيناً . كيف لا؟ وقد درجوا في نفس البيئة التي درج عليها أجدادهم وآباؤهم من قبل ، فاكتظ بذلك الديوان السعودي بإبداع شعري تمحور حول

---

(١) ديوانه ، دراسة وتحقيق : عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، ط د ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ٢/ ١٧٠ وما بعدها.

(٢) أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المعروف ، وهو من أهل الكوفة ، قد نشأ في صباه وجال في أقطارها ، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها .. (انظر : ابن خلكان : مرجع سابق ١/ ٦٧ وما بعدها) .

(٣) انظر : العكبري : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : إبراهيم الابياري وآخران ، ط د ، دار المعرفة بيروت ، ت د ، ٣/٨ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ٤/ ١٠٢ وما بعدها .

(٥) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة .. (انظر : ابن خلكان : مرجع سابق ٢/ ١٧٠ وما بعدها) .

(٦) ديوانه ، تحقيق : حسين نصار وآخرون ، ط د ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٦ــ ١٩٨١م ، ص ٢٢٩٩وما بعدها .

مشاعر الأمومة وفيض حبها الصادق ، منها قول الشاعر طاهر زمخشري (١) يرثي أمه في قصيدة له بعنوان " أمي " يقول فيها :

حناتيـــــك أمي لا عقـــوق ولا نكـــــر * ولكنهـــــا الآلام في قبضتـــي سفر

قرأت به الآيـــــات تفـــــرى حشاشتي * ويعشى بها طرفي ويُطوى بها العمر(٢)

وكذلك قول الشاعر عبد الرحمن العشماوي (٣) يصور عاطفته نحو أمه في قصيدته " عندما يورق الحب " :

أمَـــــاه.. صوتـــك زادني إيمانـــــاً * فغدوت أزرع في الفـــــؤاد حنانا

وحملـــــت نبراس اليقيـــــن ، فلا أنا * أخشـــــى الظلام ، ولا أنا أتوانى (٤)

والشاعر السعودي أيضاً يحنّ إلى أمه ويشتاق لرؤيتها في أمنه واستقراره ، وفي غربته وابتعاده يقول الشاعر عبد السلام حافظ (٥) في قصيدته " الشوق يا وطني :

داري وسر الهوى الباقـــي وأوطانـــي * يا طيبة النور .. يا روحي ووجداني

---

(١) هو طاهر عبد الرحمن محمد الزمخشري ، أحد رواد حركة التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، أصدر ثمانية عشر ديوانا شعريا ، كان أولها " أحلام الربيع " وأخرها " عبير الذكريات " ، وقد ضم دواوينه في مجموعتين اثنتين هما : مجموعة النيل ، ومجموعة الخضراء ...(انظر : عبد الله سالم الحميد : شعراء من الجزيرة العربية ، ط ١، مكان الطبع وبلد الطبع د ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، ٢/ ١٥٩ وما بعدها).

(٢) مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع " ، ط ١ ، تهامة جدة ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ، ص ٢٨٨ .

(٣) ولد في قرية عراء بمنطقة الباحة ، شاعر إسلامي عرفته الساحة الأدبية ، متمكن من لغته وتغلب على قصائده الروح الواعظة الغيورة ، من أعماله الأدبية المطبوعة : ديوان شعر إلى أمتي ــ إلى حواء ــ صراع مع النفس وغيرها .. (انظر : أحمد سعيد بن سلم : الأدباء والكتاب السعوديين " خلال ستين عاماً " ، ط ١، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٢/٣٢٠ وما بعدها) .

(٤) صراع مع النفس ، ط ٣ ، مكتبة العبيكان الرياض ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ص٩٧ .

(٥)ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٧هـ ، تفتحت مواهبه الشعرية منذ سن مبكرة ، فنظم الشعر ولجاد نظمه حتى ذاع صيته فيه . نشر دواوين عدة وفاز بجوائز كثيرة في الداخل والخارج ...(انظر:عصر الطيب الساسي : الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، ط ١، تهامة جدة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،ص٢٤٥ وما بعدها).

الشوقُ .. يا ما أمرَ الشوق في كبـــدي * على مدينتنـــا والمسكنِ الحانـــــي

عامٌ وأكثر قد ولّى وزدتُ جـــــوى * في مصر مغترباً ، والشوقُ أضناني

أنقّل الطـــرف ..أين الأمُ ؛ أينهـــــم * أهـــلي وموطنُنا الغالي وإخـــواني؟(١)

ويمكن القول بصفة عامة ، إن الأم لها مكانة عظيمة في المجتمع العربي الإسلامي عامة ، وفي المجتمع السعودي ــ خاصة ــ ولهذا فلا غرابة أن نجد من الشعراء السعوديين اهتماما بها ، وإفساح مساحات عريضة لها في نتاجهم الأدبي ، وما سيق من شذرات شعرية سلفاً ما هو إلا غيض من فيض ، فغيرها الكثير من القصائد التي سنتناولها بالشرح والتفصيل فكراً ومضمونا وأسلوبا وأداء في مباحث قادمة ــ إن شاء الله ــ من هذه الأطروحة .

* * *

---

(١) الفجر الراقص ، ط ١ ، دار الفكر العربي مصر ، ت د ، ص١٠٩ .

الباب الأول

قصيدة الأم.. عرض موضوعي"

الفصـــــل الأول : الإشادة بالأم

الفصـــل الثانـــي : رثـــاء الأم

الفصـــل الثالث : الغربة وبواعث الحنين للأم

الفـــصل الرابع:الأم في أغراض شعرية أخرى

الفصل الأول

الإشادة بالأم

الإشـــــادة بالأم

ثمة عرفانٌ يمتل مرارة العناء ، وثناءٌ يخفف وطأة الإعياء ، تهمس بهما خلجات البنوة الصادقة ، وهي تتحسس أنامل الهبة والعطاء قد نضحت من وجدان الأمومة الحانية ، بعظيم الصفات ورفيع الأخلاق ، فصوروا عواطفها ، وأشهروا مناقبها ، وأبرزوا معالمها ، وأباتوا سماتها وملامحها التي تستحق التمجيد والتقدير والمديح .

فالمدح في مضمونه : " نقيض الهجاء ، وهو حسن الثناء ، يقال : مدحتهُ مدحةً واحدة ، ومدحهُ يمدحهُ مدحاً ومدْحةً " (١)

وقصيدة المدح ينظمها الشاعر شكراً على صنيع أُسدي إليه ، ولا يستطيع أن يؤدي حقه ، أو ينظمها إعظاما وإجلالا لممدوحه أو إعجاباً به، وحبا له ، أو غير ذلك مما يملأ قلبهُ بمشاعر و أحاسيس تجاه ذلك الممدوح ، فلا يجد مجالاً لإخراجها والتنفيس عنها إلا في الشعر .

وصفات القصيدة المادحة يرجعها قدامة بن جعفر إلى أربع هي جماع الفضائل عنده : العقل والشجاعة والعدل والعفة ،وعلى الشاعر ألا يتجاوز هذه الصفات النفسية إلى ما سواها من الصفات الجسمية ؛ لأنه بسبيل وصف فضائل الناس من حيث أنهم أناس ،لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان. والعقل ــ عند قدامة ــ أصل ترجع إليه فضائل مثل : ثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والكفاية والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى. ومن أقسام العفة : القناعة ، وقلة الشره ، وطهارة الإزار .. ومن أقسام الشجاعة :الحماية والدفاع والأخذ بالثأر والنكاية في العدو والمهابة والسير في المهامه الموحشة

---

(١) اللسان : مدح .

وما أشبه ذلك .. ومن أقسام العدل : السماحة والتبرع بالنائل وإجابة السائل وقرى الأضياف .. وأما تركيب بعضها مع بعض ، فيحدث منه ستة أقسام ...(١)

وإن كانت تلك فضائل الممدوح التي يجب أن تتوافر سواء كان ملكاً أو قائداً أو عالما أو أي شخص قصد الشاعر مدحه ، فما بالنا إذا كان الممدوح أماً عظيمةً تحملت من المشاق والتعب ما تحملت ، وكابدت من الآلام صغيرها وعظيمها ، وسهرت من الليالي أطولها وأقساها ، فاستحقت بذلك أن تتحلى بجميع هذه الفضائل مفردة ومركبة،ومن أجل ذلك نرى الشعراء يشيدون بصبرها وتحملها ، ويتغنون بإحساسها المتدفق ، فهي تبكي لأحزانهم ، وتسهر لأوجاعهم ، وتؤثرهم على نفسها بلذة العيش (٢)يقول الشاعر إبراهيم الدامغ(٣) في قصيدته " عيد الأم " (٤) يتغنى بمناقبها ويشيد بفضائلها :

يا أمُ أنت فمُ الزمانِ وقلبـــــه * والمجدُ فيك معلّم الأطواقِ

كافحت في شرقِ الحياة وغربها * حتى طويتِ معالـــم الآفاق

تتعهدين بكلّ فضل سيـــــرنـــا * موفورةَ الإيثـــارِ والإشفـــاق

.....

---

(١)انظر:نقد الشعر ، تحقيق:كمال مصطفى،ط ٣ طبعته : مطابع الدجوى القاهرة ، نشرته :مكتبة الخانجي القاهرة،١٩٧٩م، ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) تقول السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ : " جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : " إن الله قد أوجب لها الجنة ــ أو أعتقها من النار " (الإمام أحمد بن حنبل : مرجع سابق : ٦/ ٤٢) .

(٣) إبراهيم محمد الدامغ ، ولد في عنيزة عام ١٣٥٧هـ ، وتلقى العلوم الأولية في كتّاب بلدته ، وتعلم القرآن الكريم على جده لأبيه . ثم دخل المدرسة الابتدائية السعودية وهو في العاشرة من عمره ، ثم التحق بالمعهد العلمي عام ١٣٧٨هـ وحصل على الثانوية العامة ، مما أهله إلى الالتحاق بكلية اللغة العربية ، تقلب في عدة وظائف حكومية ، وهو إلى جانب ذلك شاعر له شعر غزير منشور في الصحف والمجلات السعودية ، ولديه مجموعات شعرية كثيرة مخطوطة بها كثير من القصائد القومية ، من أعماله : شرارة الثأر (ديوان شعر مطبوع) .. (انظر : الموسوعة الثقافية الشاملة للمملكة العربية السعودية" معجم الأدباء والكتاب " ، ط ١ ، الدائرة للإعلام المحدودة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ١/ ١١٦) .

(٤) المعروف أن أعياد المسلمين اثنان لا ثالث لهما : عيد الفطر وعيد الأضحى .

تطوين سر الليل في غصص كما * تطوين سحر نهاره البـــرّاق (١)

.....

تروين جسمي بالدموعِ وكلما * غلب البكاءُ غلوت في الإغراقِ(٢)

ويقول أيضـــــاً :

يا درةً هـــام الوجودُ بفضلها * وزهـــا بنور وفائـــها المغـــداق

.....

توجتني بالصالحات وبعـــدهـــا * توجتنـــي بكرائـــــم الأخـــلاق

فالفضل كلُ الفضل فيك وعزّ مـــن * يهفـــو إليك بعصمةِ الميثـــاق(٣)

" وقد يقال إن هذه القصيدة من شعر المناسبات ، وإنه أوحى بها ذلك التقليد الجديد الذي تسرب منذ سنين إلى مجتمعاتنا ، وهو تخصيص يوم في كل عام للاحتفال بعيد الأم ، يتذكر فيه الأبناء أمهاتهم بعد أن شغلتهم زوجاتهم وذرّياتهم عن القيام بحق الأم ، فيعمدون إلى زيارتها في ذلك اليوم إن كانت بعيدة عنهم ، ويقدمون لها من الهدايا ما يسرُّها ، اعترافاً بما لها عليهم من حق وفضل بما عانت في سبيل تربيتهم وتنشئتهم حتى أصبحوا رجالاً .. " (٤)

ومثلما أشاد الشاعر إبراهيم الدامغ بقوة جلد أمه ، وصبرها على تحمل عاديات الزمان ، كذلك نجد الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته " نبعٌ من الرضا " يتغنى بنبع من فضائلها، وإحساسها العميق بالأوجاع والأوصاب ، وسهرها الليالي حتى تندمل الجراح والآلام . يقول

---

(١) الغصص : الشجا والحزن (اللسان : غصص) .

(٢) شرارة الثأر ، ط د ، دار العلوم الرياض ، ت د ، ص ٩٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٥ .

(٤) بدوي طبالة : من أعلام الشعر السعودي ، ط ١ ، دار الرفاعي الرياض ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م ، ص ١١٢ .

الشاعر :

تُحسِّين بالآلام حين أُحسُّهـــا * وتشفين من آثـارِها عندما أشفى

يؤنبني فيك الضميـــرُ لأنـــه * يرى أن شعري فيك لم يبلغِ الوصفا

وذلك حقّ ، لو وقفتُ قصائـدي * وكلّ كتاباتي عليكِ ، لما وفَّـــى

حديث شعور ظلّ يستعجلُ الخطا * فأخّرهُ سيرُ الخطا فامتطى الحرفا(١)

ومثله قوله في قصيدة أخرى بعنوان " ينابيع الحنان " :

ولكـم سهـــرت الليل مـــن

أجـــلي وعينـــي غافيـــه

ولكـم سكبـت الدمـــع مـــن

أجلـــي ونفســـي خاليـــه

علّمتنـــي طـــرق الحنـــا

ن ، فصغـــت منـــه حياتيـه

ورسمـــت لـــي درب الوفـــا

ء ، فأنت رمـــز وفـائيـــه

فجّـــرت فـــي قلبـــي ينـــا

بيـــع الحنـــان الصافيـــه(٢)

---

(١) إلى حواء ، ط د ، مكان الطبع وبلد الطبع د ، ت د ، ص ١٥١ وتاليتها .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ وتاليتها .

ويبلغ الصبر غايتهُ حين تتحمل الأم الرؤوم سوء الحال ، والمرض والهزال ،حباً وتضحية وإيثارا.

نلمح ذلك في قصيدة الشاعر إبراهيم فوده (١) " أم " :

صبرت وما صبرُ المحب بهيـــن * صبر الرؤوم على ضنـــى الأولاد

تحنو عليك وفي الفؤاد حشـاشـة * هي ثورة الإحســـاس بالأضـداد

فإذا بها حلس الفراش وما بهـــا * مرض ولكن علّـــةُ الأكبـــاد

والطب تعييـــه القلوب مريضـة * تمتـد عدواهـــا إلى الأجســـاد(٢)

ولا يقتصر الشاعر هنا على مدح أمه فقط ، بل يمدح أماً أخرى ربما تكون أم صديق له أو قريب ، وربما تكون جارة أو أماً من خياله . يقول الشاعر إبراهيم فوده في قصيدة له بعنوان " أم عبد العزيز الحليس " :

يـا من منحتنـي أحبَ هديـة * أبكـي ، وأهديك الدعـاء سخينـا

ما زلت أطْربُ من تحدي إخوتي * فيـك ، بحُبّك ظاهـرا وكمينـا

.....

الرّقـة الشمّاء فيك سجيـةٌ * والجـودُ أحسبُهُ بكفـك ديّنـا

ذكـراك في قلبي دعاءٌ دائـمٌ * ونـداك ظلّ لمن وهبـت معينـا(٣)

---

(١) ولد بمكة عام ١٣٤٢هـ ، في بيت علم وفضل وأدب ، فوالده الشيخ أمين فوده ـ رحمه الله ـ من كبار علماء مكة وأدبائها ، وهو أستاذ الجيل الأول من رواد الأدب في مكة . شاعر مطبوع ، جمع شعره وأصدره في خمسة دواوين منها : مجالات وأعماق، تسبيح وصلاة ، صور وتجاريب ..وغيرها (انظر : صور السلمي : مرجع سابق ص ٢٢٠ وما بعدها ، ويدوي طبقة : مرجع سابق ص٢٩ وما بعدها) .

(٢) صور وتجاريب ، ط د ، مكان الطبع د مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، ص٦١ .

(٣) تسبيح وصلاة ، ط د ، مكان الطبع د ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م ، ص ٢٠٤ .

" فالمرأة عندما تصير أماً ، وتقوم برسالتها حول واجب الأمومة تنال من التكريم الإلهي والبشري ما يجعلها تاجاً فوق الرؤوس " (١) من أجل ذلك ألبسها الشعراء روائع الفضائل ، وعظيم الشمائل ، من نبل وصدق ، وطهارة وزهد . يقول الشاعر محمد حسن عواد(٢) في القسم الأول من قصيدته " في بيتها وعلى قبرها " :

إيــه يا نفسُ هذه شارةُ القــد * سِ وذا الشعــر ،فانظمي قدسيّها

هــذه أمي الجليلـــة في بيـــ * ـت على قــدر زهدها ، يحتويها

ههنــا تكمن الطهـــارة والزهــ *ـد فتطــو مسـرةُ النفس فيهــا

ههنــا النبل والغنى وجمال الــ * ـعيد والصدق مستمــراً نزيهــا

ههنــا ههنــا جمــالٌ جليـــلٌ * ههنــا ههنــا العزيــزة أمـــي

هــو بيتٌ يلــوح جدُ حقيـــر * قد خــلا من منـــاعم مستطابه

قــام مستوثق الهنـــاء بسيطــا * لا مُــدلا بفتنـــة أو رحابــه(٣)

ليس فيـــه حفاوةٌ تبهــجُ العيــ * ـــن ولا فيــه جــدةٌ وخلابــه

ليس فيـــه من المظاهـــرِ مجدٌ * يقتضيـــه حــراسةٌ ورقابــه

قد تعـــرى عــن كل ذاك وهــذا * من شـــؤون ، لكنه بيت أمي

---

(١) سناء نذير : " القرآن والمكانة المتميزة للمرأة " المجلة العربية ، العدد ٢٥٩ ، السنة ٢٣ ، شعبان ١٤١٩هـ - ديسمبر ١٩٩٨م ، ص ٦٠ .

(٢) ولد في جدة عام ١٣٢٤ هـ شديد الإخلاص للأدب ، شعره و نثره . أصدر طائفة من الكتب تنوعت ما بين دواوين شعرية ، ومقالات مجموعة ، من دواوينه : أماس وأطلاس ـ نحو كيان جديد ـ في الأفق الملتهب .... (انظر : عصر المماليك : مرجع سابق ص٦٦ وما بعدها).

(٣) مــدلا : منبسطاً (اللسان : دلل) .

فيـــــه حبّ يرى إلى جانب الزهـــ * ـــد ، وفيه مع البساطة راحـــه

وبـــه متعـــة إلـــى جانـــب الضيـــ * ق ، وفيـــه مع النبـــو سماحه(١)

فوالدته ذات أخلاق رفيعة ، وفضائل جمة ، لا يقلل من شأنها أنها تعيش في بيت بسيط متواضع ، خلا من كل مظاهر الرفاهية ، ولكنه عامرٌ بألوان أخرى من الطهارة والنبل والصدق والحب .. مما هيأ للشاعر فرصة الفخر بها والاعتزاز بمناقبها .

ومثله قول الشاعر أسامة عبد الرحمن(٢) في قصيدة له بعنوان " رسالة إلى أمي " يقول في بعض أبياتها :

يـــا مثـــال الطهـــر هـــذي * أسطـــري تجثـــو لديـــك

مـــا أنـــا إلا غُصيـــــنٌ * يستمـــدُ الأصـــلَ منـــك

مـــا ارتوى إلا نميـــــرا.. * ورضابـــــاً من يديـــــك

فإذا اخضَـــــر .. فهـــــذي * نعمـــةٌ تُعـــزى إليـــك(٣)

وهي إلى جانب هذا أيضاً ، تضحي بشبابها الغض في سبيل تربية أبنائها عوضا عن حنان الأب الذي فقدوه وهم صغار ، فكانت بذلك رمزاً للوفاء والإخلاص والاتزان ، ونبعاً فياضا من الحب والعطف الذي لا ينضب . يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته " وفاء " :

---

(١) ديوانه " نحو كيان جديد " ، ط ١ ، مطبعة نهضة مصر ، ١- ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ١ / ١٠٥ وتاليتها .

(٢) ولد في المدينة المنورة عام ١٣٦٢هـ ، وتلقى فيها تعليمه الابتدائي والثانوي.. شاعر وأديب، أصدر العديد من الدواوين منها : وسنوت على الجودي ، وغيض الماء ، شمعة ظمأى .. (انظر : عبد الله الحميد : مرجع سابق ١/ ٥٩ وما بعدها)

(٣) شمعة ظمأى، ط ١ ، تهامة جدة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٠٨ ، والمعنى نفسه نجده عند الشاعر إبراهيم فوده يمدح أم النبي - صلى الله عليه وسلم - في قصيدته " خير أم " (مجالات وأصداق ، ط د ، مكان الطبع د ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م ، ص ٥٤) يقول فيها : يا خيـــر أم في الخليقـــة أنجبتْ * خيـــر الأنـــام لخير شعب أسلمـــــا

أبـــي .. وقد صرت بعيد المـدى * وهل يَرِدُ المـرء من قبـره ؟

ليتـك تصحو ـ يا أبي ساعـــةً * لكي ترى الإخلاص في قـدره

لكـــي ترى مـرتع أحـــلامنـــا * نستروحُ الآمال من زهـــره

لكـــي ترى أمّـي على عهـــدها * تُرضعنـا الإيمان من نهـــره

أبي .. ولو شـــاهدتنا نقتفـــي * من حُبِّها السامي سنا فجـره

أمـــي.. وضحت بالشبـــاب الـذي * سرنا إلى الأمجاد في نـوره

كم ذاك صعبٌ ـ يا أبي ـ أن يـرى * ساع،ويعطي الناس من عمـره

أمـــي .. وكم أحسست في ظلّهـــا * أني فتـــى يعجـز عن شكـره(١)

والمعنى ذاته وجد عند الشاعر حسن القرشي(٢) في مدحه لأمه حين جعل لها مكانة لا يضاهيها مكانة.فقد ملأت حياته حباً وحناناً وسعادة ، فكيف " يحزن وهي بجانبه تمده بالعطاءات السخية : حناتها الذي يلجُ قلبه ، ووجودها الذي يجدد حياته وينيرها ، ورؤيتها التي تضيء آماله كلما خبت ، وابتساماتها الحبيبة التي تفتح أمامه أبواب الحياة " (٣) يقول الشاعر في قصيدته " إلى أمي " :

كيف آسى وأنت ملءُ حياتي * وشعوري ومجتنى ذكرياتي؟!

---

(١) إلى حواء ص ٥٨ وتاليتها .

(٢) ولد بمكة عام ١٣٤٤هـ ، وبها نشأ فتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح.. شاعر رومانسي حالم ، ولكنه وطني غيور، يشتعل حماسا لقضايا الوطن والعروبة والمقدسات الإسلامية ، وقد كتب القرشي القصة النثرية ، والمسرحية الشعرية .. (انظر : عبد الله الحميد : مرجع سابق ٢/٩٧ وما بعدها ، وأحمد جدع : شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية ، ط د ، دار الضياء ، بلد الطبع د ، ت د ، ص ١٨٧ وما بعدها) .

(٣) نخوسة زكريا سعيد : " الأم في الشعر السعودي المعاصر " الكتاب السنوي الثالث لكلية التربية للبنات بالرياض ، ١٣٩٦هـ ، ص ١٠٣ .

تسكبين الحنان بردا لقلبـــــي * ناعم الهمس ساحر النبضات

دبّ في خاطري فأحيا رجائي * وتهادى إلـــيّ عذب السمات

كيف آسى وأنت لي جدّة العصـــ * ـــرِ ونورٌ تهفو له خطراتي؟!

أنت نجواي إن تعاورني اليـــأ * سُ صحتْ منك للمنى نظراتي!

وابتساماتك الحبيبة فجـــــرٌ * أتلقاه مشـــرق الخفقـــــات

وسماء تظلّل الروح لهفـــــا * ن ، وتهـــدي له أجلّ الهبات

. . .

باركي مطمحي وروّي حنيني * تسعد الروح منك بالنفحات! (١)

وتظل الأم عبابا زاخرا بالفضائل والأخلاق ،وهطلاً يغدق بالعاطفة الحانية والرقة الهاتنة، تملّكت نياط قلوب الأبناء،وتحل منهم محل العضو من الجسد، فبطنها كان لهم وعاء، وثديها لهم سقاء ، وحجرها لهم حواء ، ودعواتها لهم وقاء .

---

(١) ديوانه ، ط ١ ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٢م ، ١/ ٢٣٢ وتاليتها ، والمعنى نفسه يتكرر عند الشاعر إبراهيم صعابي في قصيدته " إلى حبيبتي أمي" (أحمد بن محمد الشعفي المعافا : فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بمنطقة جازان ، ط ١ ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة " دار العلم " جدة ، ١٤١٧ – ١٩٩٦ ، ١/ ٤٧) . يقول فيها :

كيف أنساك وقد أفنيت عمراً * ترسمين الحب حولي والأمان

.....

كيف يا أماه أنسى قبلـــــة * ويداً كلّ مناها في احتضـــاني

(بحثت عن ديوان الشاعر"حبيبتي والبحر" ولكنه تعذّر عليّ الحصول عليه من أي جهة، مما اضطرني إلى أخذها من كتب التراجم) ـ والشاعر قد ولد في مدينة جازان عام ١٣٧٤ ، وتلقى تعليمه الإبتدائي والمتوسط بمدارسها . وحصل على الشهادة الثانوية من معهد إعداد المعلمين الثانوي، ثم واصل تعليمه في جامعة الملك عبدالعزيزبجدة. له العديد من المشاركات الأدبية سواء في الصحف والمجلات أو في الميدان الأدبي من خلال عضويته في النادي الأدبي بجازان، أصدر الشاعر ديوانين بعنوان "حبيبتي والبحر ، وزورق في القلب ". (انظر : عبد الله الحميد : مرجع سابق ٩/٢ وما بعدها) .

يقول الشاعر علي حسين الفيفي (١) في قصيدة له بعنوان "الأم" :

لقد كان وجهـــك أولَ وجـــــه * نظـرتُ وقابلنـــي بالحنـــان

وأول حُـب نمـــى في فـــــؤادي * وطـرفُك أول طـرف رأنـــي

وأول ما قلتـــــه في حيـاتـــي * وأعذب شـــيء حكـاه لساني

.....

وصوتُك يا أمْ حين تُلَبِّيْنَنـــي * فيه سحرٌ كسحـــرِ البيان

وفي كلِّ قولٍ وفـــي كل نصحٍ * لنا منكِ يا أميِّ لُبَّ المعاني

إذا غبتُ عنكِ أحسُّ فراغـــاً * بقلبي ويبدأ في الخفقـــان

ويغدو خيالُك فـــي مقلتـــيَّ * ونفسي ونفسكِ تلتقيـــــان

وإن غبْت عنـــي أحـسُّ اضطرابا * بنفســـــي يكاد يهُدُّ كياتـــــي (٢)

ويقول الشاعر سعد البواردي(٣) في قصيدته " أمي " :

---

(١) هو الشاعر الأديب علي بن حسين بن محمد الفيفي الهاشمي ولد عام ١٣٣٤ بجبل فيفاء ، له خمس دواوين شعرية مطبوعة منها : أصداء الذكريات ، أجراس ، رحلة العمر ، أزهار.. وهو عضو مؤسس للنادي الأدبي بالطائف وعضو مجلس إدارته ، وهو من الشعراء المجددين .

(انظر : أحمد المعافا : مصدر سابق ٢/٦٨) .

(٢) زاد الأمس ، ط ١ ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٤٠٦ هـ ص ١٤٤ وتاليتها .

(٣) ولد في مدينة شقراء بمنطقة الوشم في نجد عام ١٣٤٩، وهناك نشأ وتلقى تعليمه ، ثم انتقل إلى مدينة الطائف ، فالتحق بها في مدرسة (دار التوحيد) إلا أن ظروف الحياة اضطرته إلى قطع الدراسة ومزاولة العمل ، ولكنه واصل تعليمه الذاتي بالقراءة والإطلاع واستهواه الأدب ، فتأثر بمدارسه الحديثة ، ومارس الكتابة شعراً ونثراً ، أصدر العديد من الدواوين منها على سبيل المثال : ذرات في الأفق ، أغنيات لبلادي.. وغيرهما.. (انظر : عصر المساسي : مرجع سابق ص ٢٤١ ومابعدها) .

فـــي جفنـــــك المطبـــقِ

فـــي قلبـــــك المشفـــقِ

وحبـــــُك المغـــــــرقِ

عوالـــــم تلتقـــي

عينـــاك فـــي ناظـــــري

دُعـــاك فـــي خاطـــــري

فـــــأنت مشـــاعـــــري

وعالمي المشـــرقِ(١)

فلا حنان يسامي حنان الأم ، ولا عطف يضاهي عطفها على سويداء قلبها أبنائها وبناتها، وقد أشاد الشعراء بذلك العطف أيّما إشادة .

ولكن قد تبالغ الأم في هذا العطف والحب والاحتواء مما دعا بعض الشعراء إلى توجيه نوع من العتاب لأمه ، في أنها تسببت عن غير قصد في سلب عزيمته ، وجعله عاجزا في خوض غمار الحياة ، وهو في الوقت نفسه يعترف بهذا الحب والعطف ، ولا يجحد إغداقه وانهماره .

---

(١) أغنية العودة ، ط د ، مطابع الرياض ، ت د ، ص ٦٧، والمعنى نفسه يتكرر عند الشاعر عبد العزيز النقيدان في قصيدته المسماة (ترانيم الرمال، ط د ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي بريدة ، ت د ، ص ٨٠ وتاليتها) يقول فيها :

قبلةً منـــــك أول القبـــلات • يا حنانا يحوطني في حياتي

قد ترعرعت في حماك صغيراً • وأنـــا اليوم في رجال كمـــاة

والشاعر عبد العزيز النقيدان من مواليد مدينة بريدة عام ١٣٥٨ ، تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة عنيزة ، تخرج من كلية الشريعة بمكة عام ١٣٨٣، وتقلب في وظائف الدولة بقطاع التعليم ، عُرف في الأوساط الأدبية كاتبا وشاعرا وناقدا وهو من المقلين في ذلك.(المصدر السابق صفحة الغلاف).

فكأنه أراد أن يوجه تلك الشذرات الشعرية توجيهاً غير مباشر لجميع الأمهات في ضرورة تربية أبناءهم تربية سليمة ، تشحذ همهم ، وتقوي عزائمهم ، وتجلب لهم الخير والسعادة في مستقبل حياتهم . يقول الشاعر محمد إبراهيم جدع (١) على لسان شاب بالغت أمه في الحنان عليه :

أمـــاهُ قد أمعنتِ فـــي إيذائـــــي * بحنانكِ الفيّاض فـــي إنشائـــي

فورطتُ في كلّ الأمـــور محـــاذرا * حدّ المخاطر فافتقدتُ هنائـــــي

وبقيتُ لا أقوى على نيـــلِ المنـــى * وأميلُ للأوهامِ فـــي أهوائـــــي

أمـــاهُ لو كبُرتُ بنـــاتُ مقاصـــدي * ونشأتُ بالتّوجيهِ فـــي إنمائـــــي

لنشأتُ بين العالمـــين بهمّـــــــة * فيّاضة ترمي إلـــى إعلائـــــــي

ونشـــرت بين العالميـــن رسالتـــي * وفرضتُ نفسي في طريقِ رجائي

وعلوتُ عن سخف النفوس ووهمها * وبقيتُ حرّاً لا يُهـــدُّ بنائـــــي (٢)

وعلى هذا، فسوف نلقي المزيد من الضوء على عاطفة الأمومة ، وتصوير الشعراء لها وإشادتهم بمناقبها، من خلال مرثياتهم الوجدانية والتي لا تختلف عنها في حياتها إلا في إظهار الألم والأسى ، وإسبال العبرات والدموع إلى غير ذلك مما يندرج تحت التأبين " من أبّن الرجل تأبيناً وابّنهُ : مدحه بعد موته وبكاه ، قال متمم بن نويره:

لعمري ! وما دهري بتأبين هالك * ولا جـــزعاً مما أصاب فأوجعا(٣)

---

(١) ولد الشاعر في مدينة جدة عام١٣٣٠ هـــ له شعر كثير في التأمل ، وبوح النفس، وحديث الوجدان، و في موضوعات وطنية واجتماعيه، وقد جمع شعره بجميع دواوينه ابنه عبدالإله وقدمه للنادي الأدبي الثقافي في جدة الذي أصدره في مجموعة كاملة عام ١٤٠٤. (انظر:عمر السلمي : مرجع سابق ص١٦٢ وما بعدها).

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، ط د ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١٤٠٤- ١٩٨٤م ، ص ٦٧ .

(٣) اللسان : أبن .

الفصل الثاني

رثاء الأم

رثـــاء الأم

تجابه النفس البشرية خطوباً شتى ، ونوائب عظمى ، تمزق جذور القلب ، وتفتت حنايا الروح ، وتريق من الدموع أضناها ، ومن الآهات أقساها ، خاصة حين تخترم المنايا الأهل والأحباب ، بعد أن سكنت الأفئدة إليهم ، وتعانقت المشاعر معهم في ظلال الألفة والمحبة والعشرة الطيبة الهانئة سواء طال عمرها أو قصر .

فالنفس دائماً تميل إلى من تألفه وتعشقه ، فكيف بها إن فقدت أعزها مكاناً ، وألصقها وجودا ، وأجلها تقديراً واحتراما ، الأم فيض الوجدان الدافق ، وفرط الحب الهامر . بفقدها تتبدد مشاعر الفرحة ، و يخبو وهج الحياة ، وتصبح القلوب شجية سقما ، ــ لا سيما قلوب أبنائها ــ التي لا تلبث أن تترجم أحزانها الفاجعة و آلامها الموجعة ، في مرثيات والهة تعدُّ من أنبل العواطف الإنسانية وأخلدها على مر العصور والأزمان ، لذا كان الرثاء ــ لا سيما رثاء الأم ــ من أصدق الفنون الشعرية إن لم يكن أصدقها على الإطلاق .

وهو في معناه اللغوي مأخوذٌ من : "رثى فلان فلاناً يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته . فإن مدحه بعد موته . قيل : رثّاه يرثّيه ترثية . ورثيت الميت رثياً ورثاء ومرثاة ومرثية ورثّيته : مدحته بعد الموت وبكيته . ورثوت الميت أيضاً إذا بكيته وعددت محاسنه ، وكذلك إذا نظمت فيه شعراً " (١)

وطالما أن تعديد محاسن الميت ، وذكر مناقبه وخلاله من عناصر الرثاء وهذه سمات يشاركه فيها المدح ، إلا أن هناك ميزة تميزه عن المدح ، فالرثاء أصدق العواطف الإنسانية وأخلدها على مر الأزمان، يتجلى فيه الوفاء الحقيقي، ناهيك عما يكتنفهُ من الحسرة والألم ، وإسبال العبرات ،

---

(١) اللسان : رثى .

وسكب الدموع والآهات. وقد تنبه ابن رشيق إلى هذه الجوانب الوجدانية الصادقة، ولكنه خصها بأن يكون الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً، إذ يقول: " وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بيّن الحسرة . مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام،إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً" (١) ومهما يكن فهذا المعنى ليس متفقاً عليه عند النقاد ، إذ قد تباينت آراؤهم وتفاوتت اتجاهاتهم حول مفهومه(٢)

والشاعر السعودي ــ كغيره من الشعراء ــ يحب ويألم ، يسعد ويشقى ، ويعاشر مجتمعه ويعايش أفراحه وأتراحه ، وهو مرتبط بأسرته وأقاربه أشد الارتباط ، يشجيه الأسى والحزن ، وتصهره المنون والآلام . وهذه العوامل وغيرها كفيلة بأن تعتصر النفوس ، وتستدر الدموع . حين يفجع الشاعر بموت أحد أفراد أسرته ، أو قريب عزيز عليه ، أو خل وفي له ، أو علم من أعلام الفكر أو الأدب أو السياسة .

والشعراء في ذلك يتفقون في ثلاثة مظاهر . أولها : هوية الراثي ، وثانيها : معاني شعر الرثاء ، والثالث : أسلوبها وأداؤها الفني . لذلك تميزت هذه القصائد بالحرقة واللوعة ، وسيطرت على أبياتها رنة الأنين ومسحة الكآبة ، وغلب عليها الصدق فهو أكثر فنون الشعر وأصدقها في التعبير عن عاطفة الشاعر .

---

(١) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٣، مطبعة السعادة مصر، ٢-٣-١٩٦٤م ص١٤٧.

(٢) فمنهم من لم يفرق بين الرثاء والمدح إلا بوجود الممدوح ، ورحيل المرثي . وزعيم هذا الرأي قدامة بن جعفر الذي قال : "ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه هالك" (نقد الشعر ص١٠٠) ، ومنهم من لم يقرن الرثاء بالمدح . وتنبه للعنصر الوجداني في الرثاء ، وزعيم هذا المذهب ابن طباطبا العلوي حيث قال في معرض حديثه عن علل استحسان الشعر : " ولحسن الشعر وقبول النفس إياه علة أخرى ، وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها .. كالمراثي في حال جزع المصاب وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه والتعزية عنه " (عيار الشعر ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، ط د ، طبعته مطبعة المعاني مصر ، ونشرته مكتبة الخانجي القاهرة ، ت د ، ص ٢٣) .

وما من شاعر إلا وطالت أظفار المنية والفناء أهله وأحبابه ففاضت فيه ينابيع الشعر، وتأججت قريحته بما لا تجود به في غير هذه المواقف،وخاصة إذا رثى الشاعر منبع حنانه،ومكمن وجده، ودفق حياته ــأمه ــ أقرب الناس إليه،وأصدقهم مشاعراً وحباً وعطفاً. فالألم لفقدها لا يضاهيه ألم، والحزن لفراقها لا يدانيه حزن . وديوان الشعر العربي السعودي الحديث حافلٌ بالعديد من قصائد رثاء الأم التي عبّر فيها أصحابها عن كامن أحزانهم ودفين آلامهم كلٌ حسب عمق إحساسه وصدق شعوره وطاقته الإبداعية. يقول الشاعر فؤاد شاكر(١)

هو الحزن حتى ما تجفُ المدامع * وحتى يردّ البينُ ما ليس راجع

هو الحزنُ لا لومُ اللوائمِ نافــعٌ * وهيهات لا رشدُ النواصحِ شافعُ

.....

فقدت بصوت النعي أما عشقتُها * وطارت بلبي في هواها الزعازع

وقمت على متن البخار وإننــي * لأسبقه بالفكر ، والفكر نـــازع

فلما رأيت الموت أيقنت بالردى * وفاضت من القلبِ الكسير المدامــع

.....

كأن فؤادي ، جذوةٌ في ضرامها * لهيب جــوى تنقدّ منه الأضالعُ..(٢)

---

(١) ولد بمكة عام ١٣٢٢ هـ-١٩٠٤م ، وبها نشأ ، فتلقى تعليمه في المدرسة الرشدية ، وفي المسجد الحرام على يد والده الشيخ محمد عمر شاكر ــ رحمهما الله ــ وهو ناثر وشاعر له مؤلفات كثيرة في موضوعات مختلفة ، وله ديوان شعر مطبوع بعنوان " وحي الفؤاد " . توفي عام ١٣٩٢ / ١٩٧٢م . (انظر : عمرالسلمي ، مرجع سابق ص ١٤٧ وتالبتها .)

(٢) الديوان " وحي الفؤاد " ، ط د ، المطبعة العلمية القاهرة ، ٤شوال ١٣٦٩هـ- ٩يوليو ١٩٥٠ ، ص ٢٨٧، و صحيفة صوت الحجاز (العدد ١٣٢) ، السنة الثالثة ، يوم الاثنين ٢٧ / ٧ / ١٣٥٣هـ - ١٥ أكتوبر ١٩٣٤م ، ص ٣ ،

وقال الشاعر محمد عبد القادر فقيه (١) في قصيدته " قلب الأم " :

يادارنا (بالحوض) كفّنها (م) من الحزن السواد

وانفضَ سامرُها على (م) شجن يذوبُ له الفؤاد

يا سامر الأحباب ما (م) يُرْجى لك الدهر انعقادُ

يا أمُ . . أحزاني عليك (م) غضا يكفّنه الرماد

من بعد .. بُعْدك يا حبيبةُ (م) ما يطيب لنا الوساد..(٢)

وقد بلغ الحزن بالشاعر محمد فقيه مداه ، حيث تصاعدت آهاته، وتلاشت أحلامه، وتاهت معالم الحياة أمامه ، فقيدت بذلك روحه في غلالة الوحدة والوحشة. يقول في قصيدته " أماه ":

فارقتها وبقيتُ اليوم منفردا * أنا ودمعي وهمسٌ خافتٌ وصدى

.....

يا جنةً..من جنان الله قد بعدت * طال الحنين لها،والعمر صار سُدى

من ذا يقول لها أنّي أذوبُ أسى * وأنّ قلبي من جدب يذوبُ صدى(٣)

بل إن بعض الشعراء انهارت عزائمهم وفترت قواهم فجمدت بذلك القصائد ،

---

(١) ولد بمكة عام ١٣٣٨، وتلقى تعليمه في مدارسها ، ومارس الكتابة الأدبية، ونظم الشعر منذ سن مبكرة في شبابه، ونشر إنتاجه في الصحف. أما حياته العلمية فقد مارسها في وظائف تابعة لوزارة الإعلام بفروعها المختلفة في مكتبها بمكة المكرمة.(انظر: عمر [illegible] سابق ص١٦٧) .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة "صور وظلال" ، ط ١، دار الطبع ومكان الطبع د ، ١٤٠٤-١٩٩٣م، ص٥٨٥ وتاليتها ، الغضا : الجمر (انظر اللسان، غضا) .

(٣) المصدر السابق ص٥٨٢ وتاليتها .

وجفت المداد ، وأجدبت القوافي . يقول الشاعر محمد حسن عواد في قصيدته " في بيتها وعلى قبرها " :

قلمي ما نكرتُ منك انطلاقـــا * في حياتي فما أصاب انطلاقك ؟

عدت من دفنها كئيبا أقاضيـــ * ـك انسياقا فما منحت انسياقك

كنت إن قلت "هات" كأسك تُزْجِيـــ* ـها دهاقا فلم منعت دهاقـــك (١)

اندفق، فالشعور عندي موفـــو * رٌ كفيـــلٌ ألا يعوق اندفـــاقك

لـــو على عزمه تجسد ثـــم انفك * عنـــي أودعتـــه قبر أمـــــي

الأداء الأداء ! ! يا قلـــم القـــــ * وة ، يا من عهدتـــه سيـــالا(٢)

ومثله قول الشاعر صالح الزهراني (٣) في قصيدته " مواكب الجلال " يرثي والدته:

فحيـــــن رحلـــــت أجدبت القوافي * وأنكـــر ما صنعت له الكلام

فيا " صبح الجنوب " ويا غنائـــــي * ويا ورد السراة و" يا بشام "

ويـــا أمـــــلا تعبتُ لكـــــي أراه * وما تعب المحـــب المستهام!

ويا عطـــر الزمان، ويا نشيـــــداً * له من كل معجـــزة " مقـــامُ "

ويا " ستيـــن عامـــــا " كيف مرت * كـــأنّ سنينها في الفكر عـــام

---

(١) زجى الشيء وأزجاه : ساقه ودفعه . (اللسان: زجا) ، دهاقاً : متتابعة . (اللسان : دهق).

(٢) ديوانه " نحو كيان جديد " ، ١/ ١٠٧ .

(٣) من مواليد منطقة الباحة " الهدوان" صدرت له مجموعتان شعريتان : ترانيل حارس الكلأ المباح ، فصول من سيرة الرماد . وله العديد من الدراسات النقدية منها : الغموض في القصيدة العربية الجديدة ، جماليات القلب ، غرابة الجوهر ...(انظر : ديوانه "ستذكرون ما أقول لكم " ، ط ١ ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٤١٩- ١٩٩٩م ، صفحة الغلاف) .

مـــــلأت قصائدي فجرا جميـــلا * وحيـــن رحلت داهمها الظلام

.....

حـــروفي اليوم مطرقةٌ ثكـــــالى * مُصفَـــــدةٌ ، مكمّمـــةٌ، زُكامْ(١)

وقول الشاعر أحمد سالم باعطب (٢) في قصيدته " أماه إنك لن تعودي " :

أمـــاه منذ رحلت حالفني الأســـى * وخبا البريق بمنزلي وذوت ورودي

وترنحت عند المخـــــارج أحرفي * وتجمدت قصصي وأخجلني قصيدي

قد كنت لي دفء الشتاء فإن قسا * صيفي بعثتِ إليه عاصفـــــة الجليد

.....

أمـــاه فضلت الرحيل على البقـــاء * هنـــا فكنت سفيرة الرأي السديـــد

ورحلت تاركةً وراءك مهجـــــــةً * كلمى وقلباً غاص في الحزن الشديد(٣)

فصورة الشاعر في هذه النفثات الشعرية صورة إنسان اعتراه اليأس والأسى ، وخبا بريق الرجاء في حياته وذبلت آماله وأحلامه ، وصُفّدت حروفه وكلماته وأصبحت عاجزة عن البوح بعواطفه وفيض حبه ووفائه لأمه ، وتجمدت في قوالب الهم والحزن مشاعره، وخذلته قصائده وأخجلته قوافيه . ونلمح بجوار هذه الصورة صورة تشخيصية للأحرف وقد اعتراها الوهن والتعب من الجزع والحزن فصارت تتمايل وتترنح .

---

(١) جريدة المدينة " ملحق الأربعاء " ٢٩ذو القعدة ١٤١٩هـ-١٧مارس ١٩٩٩م ، ص ٨ وتاليتها .

(٢) ولد الشاعر في " المكلا " بحضرموت عام ١٣٥٥هـ . كان شغوفاً بالأدب والشعر . له العديد من المؤلفات ما بين دواوين شعرية وكتب نثرية منها : الروض المنتهب ، ثوب على الرصيف ، عيون تعشق السهر .. وغيرها . (انظر : أحمد سالم باعطب : أسراب الطيور المهاجرة . ط ١ ، دار البلاد للطباعة والنشر جدة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ص ٨ وما بعدها ، وعبد الله سالم الحميد : مرجع سابق ، ٣٩/١ وما بعدها .

(٣) أسراب الطيور المهاجرة ص ١٥٨ وتاليتها .

وقبل ذلك كله يظل البكاء من أهم مظاهر حزن الشعراء وأبرزها لما للبكاء والدمع من أثر في إطفاء حرقة القلب ولظى الحشاشة .

والبكاء في اللغة :" (يقصر ويمد) بكى يبكي بُكاءً وبُكى . ويراد به الصوت مع الدمع الذي يخرج من العين وقد يفرق بينهما ، فيقال : إذا قصر فقد أريد الدمع وخروجه، وإذا مد فقد أريد الصوت "(١) وقد كانت الكلمة في قصيدة الرثاء أمينة على نقل المشاعر الأليمة ،والآهة الحزينة ، حين " عبرت عن اللوعة المحرقة، والعين الدامعة ، والموقف النفسي الحزين لأهل الفقيد والرثاة . وفي الحقيقة كانت الكلمة صدى للموقف الإنساني بكل أشكاله ".(٢)

جاء في كتاب البيان والتبيين : "قال الباهلي : قيل لأعرابي:ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق " (٣)

والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ دمعت عيناه وحزن فؤاده عند وفاة ابنه إبراهيم ــ عليه السلام ــ عن أنس بن مالك ــرضي الله عنه ــ قال : " دخلنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أبي سيف القين ، وكان ظئرا لإبراهيم ــ عليه السلام ــ فأخذ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إبراهيم فقبله وشمه . ثم دخلنا عليه بعد ذلك ــ وإبراهيم يجود بنفسه ــ فجعلت عينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تذرفان .فقال له عبد الرحمن بن عوف ــ رضي الله عنه ــ : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : يا ابن عوف إنها رحمة . ثم أتبعها بأخرى فقال النبي ــ صلى الله

---

(١) اللسان : بكى .

(٢) حسين جمعة : الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، رسالة ماجستير(جامعة دمشق ــ كلية الآداب- قسم اللغة العربية وآدابها ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ص١١٤.

(٣) الجاحظ :: البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط ٥ ، مطبعة المدني القاهرة ، الناشر :مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ٢ / ٣٢٠ .

عليه وسلم ــ : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " (١)

ومثل هذا الشعور والإحساس بالحزن والحرقة ، أحس به شعراؤنا الذين اكتووا بالألم لموت أمهاتهم فأطلقوا عبراتهم ، وذرفوا دموعهم حزنا وكمدا .

يقول الشاعر طاهر زمخشري في قصيدته " أمي " :

حناتيــك أمي لا عقوق ولا نكـــــرُ * ولكنهـــا الآلام في قبضتي سفر(٢)

قرأت به الآيات تفــرى حشاشتـــــي * ويعشى بها طرفي ويطوى بها العمر

فمن مقلتي الدمع السخين سحائبـــاً * على الخد يهميها فؤاد هو البحر(٣)

براكين من نار يؤججهـــا الأســـى * وثورات ملتاع يدوّي بها الصـــدر

. . .

حناتيــك أمـــــي فالهمـــوم تلاحقت * ولـــولا البلاء المر مـــا حيّر الفكر

قساوات آلام ، وشكـــــوى متاعــب * وينهشني من وقعها الناب والظفر(٤)

ويقول الشاعر حسن عبد الله القرشي في قصيدته " أماه " :

أمـــــاه ، هل تصغيـــن ؟ مـــا * عـــــودتنـــي صمت الغريـــب

---

(١) العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه ، وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، ط د ، المكتبة السلفية ، بلد الطبع د ، ت د ، كتاب الجنائز ، ٣/ ١٧٢ وتاليتها .

(٢) السفر : الكتاب (اللسان : سفر) .

(٣) يهميها : يسيلها (اللسان : همى) .

(٤) مجموعة الغيل " أنفاس الربيع " ص ٢٨٨ ، والدوي : الصوت وخص بعضهم به صوت الرعد (اللسان : دوى) .

هـل تسمعيـن نجـاء مفـ * ـجوع بمحبسـه الجديـب ؟

يبكـي ، ينـن ، ومـا تعـو * د في الأسـى سيـل النحيـب !(١)

وقد حفلت مراثي الشعراء لأمهاتهم بالبكاء السخين ، والألم الدفين . فجاءت ألفاظهم حزينة ، ومعانيهم كئيبة ، وأخيلتهم مفعمة بلواعج الحسرة والأسى . فها هو الشاعر غازي القصيبي (٢) يرثي أمه في قصيدة بعنوان " أماه " يقول فيها :

هـذي القصيدة يا حبيّبـةُ في (م) حنينـي . . لا رثائك

فأنـا أحسّك . . رغم رحلتـك (م) البعيـدة فـي فنائـك

وأنـا أراك وراء دنيـا (م) الموت ..أمشي في ضيائك

وأنا أضمّـك . . مثل أمـس (م) أدسُّ رأسـي في ردائـك

أشكـو إليك الدهـر ..أمـرح (م) في حنانـك . . في عطائك

أبكـي . . فتهرب . . دمعتـي (م) مني . .وتبحر في بكائك(٣)

ومثله الشاعر عبد الرحمن اليحيا (٤) في قصيدته " رسالة إلى أمي " :

---

(١) نداء الدماء ، ط د ، دار العلم للملايين بيروت ، ت د ، ص ٧١ .

(٢) هو غازي عبد الرحمن القصيبي ، ولد عام ١٣٥٩هـ بالأحساء ، وبها تلقى مبادئ علومه ، ثم تلقى بالقاهرة دراسته الجامعية ... تقلب في العديد من الوظائف والمناصب ، كان وزيرا للصناعة والكهرباء ، وزيرا للصحة ثم سفيرا للمملكة لدى البحرين وآخرها سفيرا في لندن له العديد من المؤلفات ما بين ديوان الشعر، والمقال، والبحث ، والمحاضرة ..من دواوينه : قصائد أعجبتني ، الحمى ، أشعار من جزائر اللؤلؤ ..(انظر : عصر المماليك : مرجع سابق ص٢٧١ وتاليتها) .

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة " معركة بلا راية " ، ط ١ ، دار المسيرة للطباعة والنشر البحرين ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص ٢٧٧ وتاليتها.

(٤) حاولت البحث عن ترجمة للشاعر ، ولكنه تعذر علي الحصول عليها من أي جهة .

سأبكيك يا أماه ما عاش خافقي * وما ضل في روض الرياض دبيب(١)

وأما الشاعر طاهر زمخشري فقد بلغت عنده العاطفة وصدق المشاعر أسمق درجاتها، حين أسدل ستار الحزن والأسى على حياته لفقده زوجته التي لم تكن مجرد زوجة ترسو على مرافئها مشاعر الحب والحنان تجاه زوجها ، بل كانت ــ إلى جانب ذلك ــ مشاعر أم حانية تمنح وليدها ــ الزوج ــ عطفها في صدق وإخلاص ،ومن هنا لم يجد الشاعر غضاضة في أن ينضم إلى بناته ليصوغ ترنيمة رثاء لزوجته على لسانهن، ويشاركهن دموعهن إشفاقاً عليهن ، وحزناً على ما فقده من شبابه برحيلها . وكأنما أراد بذلك أن يصدح بمرثيته على الملأ أجمع،لتعيها كل أذن واعية . يقول في قصيدته " شاربات الدمع":

يا بناتـــي وحسبكن شقـــاء * أننـــي بينكن أبكـي شبابـــي

عجبا للـزمان ينحـــر آمـــا * لي ، ويحتث خطـوه في طلابي(٢)

وقد أكد هذا المعنى صراحة في قصيدته " غلبت على أمري " :

سأقطع عمري نحو لقياك جاهـداً * أنوح وأبكـي فليلومـن شيطان

سأبكي كما تبكي الغـداة وليدتـي * بحضني لأنّا في الرزية أخدان

فبنتك تبكـي للثـديّ تلهفـاً * وإنّي لأبكـي إذ لنجـواك ظمآن(٣)

---

(١) الأغنية السابحة ، ط ١ ، مطابع النصر الرياض ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، ص١٦٧، وانظر أيضاً قصيدته " أماه " (المصدر السابق ص ١٧٣ وما بعدها) يقول فيها :

نرفنا عليك الدمـــع حتى تقطعت * بنا دونـك الآمال شذراً مبـــدداً

(٢) مجموعة النيل " أنفاس الربيع " ص ٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨١ ، ويلاحظ هنا ما في البيت الأخير من تكلف في الصياغة ، وتصنع في إقامة الوزن .

وتغشى غيوم الأسى والحزن عالم الشاعر أسامة عبد الرحمن، وتزهق من أعماقه أنفاس الكآبة والحرمان ، حين رزئ بوفاة جدته ، التي ذاق بوفاتها طعم فقدان الأم يقول في قصيدته " يا جدتي " :

الدمـــــع فــرط الأسى يتدفـــق * وكأنمـــا عينـــيّ فيه زورق

.....

مـــا للشواطئ لا تمـــد ذراعهـــا * أبـــداً .. وما للبـــدر لا يتألـــق

ما للعقيق طوى الظلام ربوعـــه * والشمس ما عـــادت عليه تشرق

مـــا للعقيق تجمدت أنهـــاره .. * بعد الربيـــــع. . فلم تعـــد تتدفق

.....

والحزن يمخر في السكون شواطئا * من أدمع فيها الصواعق تبرق(١)

والحزن يعصف كالرياح فلا تـــرى * إلا القلوب على يديـــه تشهـــق

.....

قدر..وتغرق في الدموع قلوبـــنا * وتكاد كل شغافهـــا .. تتمـــزق

جزعت . . وللمأساة بين صدورنا * نار تمور . . وأضلـــع تتشقق(٢)

.....

ونجد رثاء الجدة أيضاً عند الشاعر حمزة إبراهيم فوده (٣) في قصيدته " دموع وأسى"

---

(١) يمخر : مخرت السفينة تمخر مخرا ، جرت تشق الماء مع صوت (اللسان :مخر) .

(٢) شمعة فمأى ، ط ١ ، تهامة جدة ، ١٤٠٣ -١٩٨٣م ، ص ٨٥ وتاليتها .

(٣) هو ابن الأستاذ إبراهيم فوده ، شاعر وأديب ، نشأ في دوحة مباركة توارثت العلم والأدب كابراً عن كابر في تواضع جم ، وخلق فاضل كريم نادر المثال ..(انظر : عمر السباسي : مرجع سابق ص٢٢٠) .

يقول فيها :

بكيت وما أبكي على الموت ساليا * بكيت وما غاب الرشاد بحاليا

بكاء عزيز قد تحـدّى مـذلـة * وأصبح محزوناً ولم ير باغيا(١)

وتقود تلك النبضات الهائجة بمشاعر الألم والحزن الشعراء إلى الانحصار في بوتقة التشاؤم والعزلة ، فإذا بحياتهم سراب يخضبه الشحوب والشقاء ، وأيامهم شجية يعروها الأسى والحزن ، وليلهم سقيم تلبده الوحشة والسواد ، ونهارهم كئيب يخيمه الوجوم والقتام .

يقول الشاعر حسن القرشي :

أنت الغـد المنشود هـــا * قد عـــاد كالأمس الكئيب

وتراءت الآمـــال أشـــ * ـباحاً لدى ليـــل مريب

ليـل ، تلظى بالشجـــو * ن ، وبالرزايـا والندوب(٢)

.....

هاتحـن يا أمـــاه أيـــ * ـتام بمائـــدة الخطوب

.....

كنّـــا بظـــلك نتقـــي * لفـح الأعاصر والكروب

ونـرد عاديـة الـزمـــا * ن بدرعك الواقي المهيب

فاليـوم لا ظـــلٌ يقيـــ * نـا لفحـة الهول العصيب

---

(١) لحن قلب ، ط ١ ، مكان الطبع وبلد الطبع د ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، ص ٣٦ .

(٢) الندوب : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد (اللسان : ندب) .

كـــلا ولا درع يحطّـــــ * ـم رمية السهم المصيـب (١)

ومثله قول الشاعر أحمد سالم باعطب :

قد كنت لي دفء الشتاء فإن قسا * صيفي بعثت إليه عاصفة الجليد

.....

أماه كنت لي اللحاء فكيف يو *رق بعد نزعك في خريف العمر عودي

.....

أماه عصرك بالجديدين ازدهى * وحديث أيامي بلا فجر جديـــد (٢)

حتى شهور السنة وفصولها تشارك الشعراء أحزانهم وتتألم لألمهم ، فلا الحال هو الحال ولا الزمان هو الزمان ، مثلها مثل الشاعر تشعر وتحزن ، وما تلك إلا سبحات خيالية يضفيها الشعراء على قصائدهم ليضاعفوا من عمق المأساة وهول المصاب ، من ذلك قول الشاعر غازي القصيبي:

رمضـــان يا أمـــاه أغبر (م) ما توضّـــأ من إنائـــك

ظمـآن يجترّ الظمـــا (م) ظمـــآن يحلـم بارتوائـــك

وصبـــاحه قلبٌ تحجـــر .. (م) حين أقفـــر من دعـــائـــك

ومســـاؤه قلبٌ تحطّـــم (م) حين حـــنّ إلى مسائـــك

والعيـد يا أمـــاه يعثـــر (م) بالغبـــار على حـــذائـــك

ويكـاد من خجـل يفـــرُّ إذا (م) أطـــلّ علـى فنـــائـــك (٣)

---

(١) نداء الدماء ص ٦٩ وما بعدها .

(٢) أسراب قطوف المهاجرة ص ١٥٩ وتاليتها .

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة " معركة بلا راية " ص ٢٧٩ وتاليتها .

يتخيل الشاعر شهر رمضان ــ وقد أقبل بعد وفاتها ــ أغبر الوجه حزينا لأنها كانت كريمة في عطائها له ، فصباحه قلبٌ متحجر ، حين خلا من دعائها ، ومساؤه قلبٌ محطم، حين حنّ إلى قيامها وصلاتها ، ويتخيل العيد ــ وكانت في حياتها حفية باستقباله ــ وبعد وفاتها صار خجلا مترددا لا يكاد يجرؤ على زيارة بيتها .

ولم ينس الشعراء القبر الذي تمادى في جشعه يختطف أحب الناس إليه ، فصوروه بصورة مخيفة: فمٌ فاغر ، لا يبقي على شيء ، يلتهم الوضيع والجليل ، والقبيح والجميل ، كل ما ينبت الحياة حصيده ، لا يبقي على عقلٍ حصيفٍ ، أو قلبٍ نظيفٍ ، وهو في كل هذا سر مغلق يلفه الغموض والإبهام . يقول الشاعر محمد حسن عواد :

يا فـــم الغيب ، كم ترى تبلع الذخـــر * ـــر الذي تـــم صنعه من دهور؟

ومتـــى وقفت معـــدة الأبد الـــذا * هب في عالم الغمـــوض الكبير؟

أنت لا تنتقي طعـــامك من قبـــ * ـــح حقيـــر ، ولا جمال نضيـــر

" كل " ما تزرع الحياة حصيـــــد * مـــرسل عن يد لهـــذا المصير

لا تبالـــي ، يا قبر ، كم مهج تفـــ * ـــنى حراراً في جوفك المسجور(١)

وعقول حصيفـــة ، وقلـــوب * مفعمـــات بحكمـــة وبنـــور(٢)

ويقول الشاعر فؤاد شاكر :

ألا أيهـــا القبر الذي ضم بضعتـــي * بربك ماذا أنـــت بالناس صانـــع

---

(١) المسجور : المملوء (اللسان : سجر) .

(٢) ديوانه " نحو كيان جديد " ١ / ١٠٧ وتاليتها .

ألا رد لـــي أمـــي وفلذة مهجتـــي . فهل أنت يا قبر المحبين سامع؟(١)

ومنهم من شذ عن ذلك ، فصوّر القبر وكأنه مكانٌ للسكون والراحة والنوم ، نجد هذا عند الشاعر إبراهيم فلالي (٢) الذي طلب من أمه أن تنام في ضريحها قريرة العين ، مرتاحة البال ، تستريح وتريح جسمها الذي هدّهُ الألم ، وعلاه الوهن والضعف :

فنامـــــي في ضريحك واستريحـــــي

أريحـــي الجسم في قاع الضريح (٣)

رحاب الله أهنـــــأ من حيـــــاة

تحارب كل ذي عقـــــل رجيـــح (٤)

والشعراء في مراثيهم لا يكتفون بالمعاني المتداولة التي سبقت الإشارة إليها ، بل ينتقل كثيرٌ منهم إلى معانٍ أخرى تتصل برؤيتهم للموت وموقفهم إزاءه ، وطالما أن ــ المجال هنا مجال رثاء ــ والرثاء بطبيعته يدعو إلى التفكير في الحياة والموت ، وهو من أهم المناسبات التي يحسن بالشاعر أن يغتنمها للتعبير عن الخوف المستكن في أعماقه من سر الموت الرهيب ، ذلك السر الذي يجعل الحقائق تبدو أمامه وقد كشفت عن بعض مكنونها ، فيروح ينظر إلى الحياة على

---

(١) جريدة صوت الحجاز ص ٣ .

(٢) هو أول من ألف كتاباً مستقلاً في الدراسات النقدية في الأدب السعودي ، وقد ولد في مكة عام ١٣٢٤هـ ، وبها نشأ فتلقى تعليمه بالمدرسة الصولتية وتخرج منها . شاعر عظيم ، وناثر قدير ، له أكثر من ديوان شعر مطبوع ، من أشهرها ديوان " أنحاني " . توفي عام ١٣٩٤هـ بعد جهاد أدبي طويل .. (انظر : عمر السلمي : مرجع سابق ص ١٧٠ وما بعدها) .

(٣) القاع : الأرض السهلة المستوية لا ارتفاع لها ولا انهباط ، ولا حصى فيها ولا حجارة ، ولا تنبت الشجر ، وما حواليها أرفع منها . (اللسان: قوع) .

(٤) طيور الأباطيل ، ط ٢ ، تهامة جدة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٧٢ .

أنها خداعٌ كاذب ، بل وهمٌ كبير ، يسير الكل فيها وكأنهم يسبحون في لجة محيط ثائر الموت هائج التيار لا يقر له قرار ، تترصدهم المنايا فوقهم ، وهم مستغرقون في أحلامهم ، مغترون بمظاهر الحياة ، لا يفكرون في لحظات الموت القادم إليهم لا محالة .

من أجل ذلك لم يكن غريباً أن يتطرق الشاعر السعودي إلى مثل هذه الأفكار حين يرثي أمه التي كشفت له برحيلها عن بعض أحاجي الموت المحير . ومن ذلك قول الشاعر حسن القرشي في قصيدته " أماه " :

هـذي الحيـاة نعيش عـا * لمهـا على وهـم كذوب

هـذي الحيـاة وثـمَ مسـ * ـبحنـا على اللُجِّ الغضـوب

نمشـي وتسبقنـا المنـا * يـا في المسالك والـدروب

كـم ننسـج الحلـم الجميـ * ـل ، ولا نفكِّـر في شعوب(١)

ويعيـدنا وهـج الحقيـ * ـقة من سنـا الحلم القشيب

لليـأس يعصـف ، للشقـا * ء ، وللكـوارث ، والشحوب(٢)

فالبشر يعيشون في هذي الحياة مخدوعين بمباهجها وزينتها ، يتشبثون بها رغم اقتناعهم بزوالها . وقد شبه الشاعر ولع الناس بمباهج الحياة والعمل من أجلها ليل نهار ، كأنهم يسبحون في بحر لجي متلاطم الأمواج ، واختار لفظ الغضوب لما فيه من إيحاء بكدر الدنيا ورعونتها وغدرها وأن البشر مهما تجاهلوا أمر الموت فإنه يسبقهم في الدروب والمسالك .

---

(١) الشعـوب : المنية سميت بذلك لأنها تفرق . (اللسان : شعب) .

(٢) نـداء الدماء ص ٧٣ وتاليتها .

ونجد الشاعر عبد الله المسعري (١) يذرف الدمع الشجي وفاءً وعرفاناً بالجميل لزوجته وأم ابنيه (مازن ولؤي) في قصيدته "دموع و أشجان " وقد بثّ في ثناياها حكماً متناثرة عن الموت في محاولة للتخفيف عن نفسه وتصبيرها بالتأسي بأحزان الآخرين. يقول فيها:

وصبرا جميـــلاً في المكـــاره انـــه * سبيـــل لمن يرجو الثواب ويرغب

فما الموت إلا سنة الله قد مضـــت * وورد جميع الناس تغو وتشرب(٢)

وقد مات خيرُ الناسِ طراً وصحبُه * ولي أسوةٌ في الناس والصبرُ أوجبُ

فما أنا بدعٌ من بني الناسِ إذ مضتْ * كما قد مضى الأخيارُ من قبلُ زينب(٣)

ويقول أيضاً مخاطباً طالب الدنيا يدعوه إلى الزهد فيها ، والإقلال من ملذاتها ونعيمها الزائل :

ويا طالب الدنيـــا رويدك إنهـــــا * متـــاع قليـــلٌ هكذا الله أخبـــــرا

متـــاع غرور لا تـــدوم لكائـــــن * سوى الحق جـــلّ الله أن يتغيـــــرا

تزود بـــزاد للمعـــاد فإنـــــه * لعُمْـــرُك آت قبـــلَ أن تتحســـرا

يُديرُ علينـــا الموت كأسا مريـــرة * لنشربهـــا كرهـــاً زعـــافا مكـــدرا(٤)

---

(١) عبدالله بن سليمان عبدالرحمن المسعري ، ولد في حوطة بني تميم عام ١٣٣٧ ، تلقى علومه على عدد من علماء الرياض . ثم واصل دراسته بالقاهرة . من شعراء المملكة ، له أشعار وردت في كتاب "شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب" للحقيل (انظر : الموسوعة الثقافية الشاملة للمملكة العربية السعودية ١/ ٣٢١) .

(٢) تغو : تخضع وتطيع (اللسان : غا) .

(٣) مجلة المنهل ، ج ٨ ، السنة (٣٧) ، المجلد (٣٢) ، شعبان ١٣٩١- سبتمبر ١٩٧١م ، ٨٤٥/٨ ، والمقصود بزينب هنا زوجة الشاعر عبدالله المسعري .

(٤) المصدر السابق ٨/ ٨٤٨ ، والزعاف : السُم (اللسان : زعف) ، والمعنى نفسه يتكرر عند بعض الشعراء السعوديين كقول الشاعر فؤاد شاكر في قصيدته " أنشودة الألم الحزين " (وحي الفؤاد ص ٢٨٩) :

ومثلما ذرف الشاعر السعودي الدمع السخين ، وسكب العبرات الأليمة ، وصوّر الحزن الذي لفّه بسرابيله الثقيلة ، والألم الذي اكتنف مشاعره وأحاسيسه بعد فقد أمه ، نجده كذلك يتغنى بمناقبها وخصالها ، ويعدد مآثرها وأياديها ، وهذا من سمات الرثاء الجيد كما يقول المبرد : " فأحسن الشعر ما خلط مدحاً بتفجع " (١)

والرثاء فن الموت ، ولغة الحزن ، ومجال اليأس ، ومعرض الوفاء ، وهو كغيره خاضع للتنوع ولقبول معانٍ أخرى متصلة به كوصف الكارثة ،وتفخيم آثارها ،وذكر فضائل الميت (٢) وعلى رأس تلك المناقب التي تغنى بها الشعراء السماحة والعفة والطهر، وهي مناقب مست وجدان الشاعر محمد حسن عواد حين راح يبث تساؤلاته للقبر الذي تكمن فيه أسرار هذا المصير وقد احتوى أمه رمز القداسة والنبل . يقول :

أهنا مهجع الهدى والتسامي ؟ * أهنـــا موئـد النُهى والأناة ؟

أهنا تتلف الحصافة والطهـــ * ـر، ويفنى التقى لدى الحشرات

ههنا ،لا مراء لكنما الطلـــــ * ـسم في السر أنت يا قبر أمي ؟ (٣)

= فإن لم يكن يومي هـو اليـوم فاعلمـــي * بأن ضيـاء الموت لابد ساطع

وهيهـات أن ينجـو امرؤ من حمامـــه * وما هـــو إلا ظلُّـه المتدافع

هو القدر المحتـوم مـا عنـه نجـــوة * وما عنه مهما اشتد حولك دافع

وقول الشاعر عبد الحسن الريحاني في قصيدته " أماه " (الأجنحة المتكسرة ص ١٧٥ وتاليتها):

تخطـى إليك المـوت والموت واقـف * لكـل ابن أنثـى لاحقاً متوعدا

سبتك المنايـا والمنايـا كوامـــن * لكل امرئ حتى وإن كان امردا

(١) المبرد : التعازي والمراثي ، تحقيق : محمد الديباجي ، ط د ، مطبعة زيد بن ثابت دمشق ، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م ، ص ٢٧ .

(٢) انظر : أحمد الشايب : الأسلوب ، ط ٨ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٤١٣-١٩٩٣م ، ص ٨٥ وتاليتها .

(٣) ديوانه " نحو كيان جديد " ١٠٧/١ .

ونفس المناقب صافحت قريحة الشاعر طاهر زمخشري في دمعته الوفية لأمه :

ولست أناجي فيك حسنا منمقا * سوى الطهر ، إن الطهر للغيد تيجان

وفيك وفاء نادر المثل كلمـــا * تذكرتُهُ يهمي من العيـــن هتّـــان (١)

ويطوف الشاعر عبدالله المسعري حول تلك المعاني بعينها في قصيدته "دموع وأشجان":

وما(زينب) في الذكر إلا خريدة * سليلة حر بالتُقى قد تدثـــرا

عفاف وطهر والحياء رداؤها * حصان رزان ذكرها قد تعطرا

عطوف رؤوم أحسن الله خلقها * فوا حزني للطهر غيبهُ الثرى(٢)

وتواترت القيم ذاتها عند العديد من الشعراء السعوديين فأكثروا منها وتغنّوا بها(٣) كما تغنوا بقيم أخرى تبرز معاني الأمومة الصادقة . فالأم هي الحماية من النوازل والأعداء، وهي الحب يورق في الجوانح والأحداق ، وهي الإحسان يغدق بالخير والعطاء. وهاهو الشاعر عبد القادر فقيه يتغنى بحنوها وقلبها المعطاء :

يا واحة بين الهجيـــــر (م) حُنّـــوها مـــا يستعـــــاد

يا لمس . كفيّهـــا على (م) جرحي..الجبائر والضمـــاد

يا عينها..تبكي لأحزاني (م) ويجفـــوها الـــرقـــــاد

يا قلبها المعطاء يـــــا (م) كنزاً على عمري جـــواد

.....

---

(١) مجموعة النيل " ديوان قفاس الربيع " ص ٢٨١ .

(٢) مجلة المنهل ٨/ ٨٤٧ .

(٣) انظر مثلاً قصيدة : عبد الرحمن الوحيا " يا أيها الطهر" (الأجنحة السابحة ص ١٦٩) ، وقصيدته" أماه " (المصدر السابق ص١٧٤) .

يعطي الكثير..ولا يمنّ * ولا يعنيـــه الســـــداد (١)

ومثل هذه المضامين السامية نجدها عند الشاعر أسامة عبد الرحمن يقول:

يا من بها كنا نلوذ ونحتمـــي * مـن كل عادية تمـر وتطرق

الحب تزرعه على أجفانـــا * وعلى جوانحنا يطول ويورق

.....

ويجدد التاريخ فوق لسانهـا * صفحاته..والعطر منها يعبق

تمضي فصول المجد بين كلامها * والبدر يسحـره الحديث الشيق

.....

ويسيل من فمها التراث كأنه *نهر من الماضي يجود فيغدق (٢)

أما الشاعر عبدالله المسعري فيتغنى بعظيم إحسانها ، وفيض جودها وكرمها .يقول :

تراها لدى الإحسان يفترّ ثغرُها * حبورا ــ بما تسدي تسرّ وتطرب

ولم ترض إلا المكرمات ارتداءها * وسفساف أمر عندها تتجنـبُ (٣)

وهي إلى جانب هذا تمتلك لساناً فصيحاً ، وعقلاً حصيفاً ، وقلباً مفعماً بالحكمة والتعقل . يقول الشاعر حسن القرشي :

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة " صور وظلال " ص ٥٨٦ وتاليتها .

(٢) شمعة فماي ص ٨٥ وتاليتها ، والمعنى نفسه يتكرر عند الشاعر صالح الزهراني (جريدة المدينة " ملحق الأربعاء ص٩) ، يقول:

ففي أمي " الجنوب " وزهو " نجـــد " * وفي أمي " الرصافة " و " الشآم "

وفي أمـــي نقـــــاء الأرض هذي * لأن مـــدارهـــا " البلد الحـــرام"

(٣) مجلة المنهل ٨/ ٨٤٥ .

وهتفـــت ، فاتحبس الجـــوا * ب وكنت كاللســـن الخطيب

تتدفقيـــن فصـــــاحـــة * وتنافسين صـــدى الأديـــب(١)

ولأهمية مناقب الأم وعظيم شمائلها في نفس الشاعر ،وخاصة بعدما حال القبر بينه وبينها ، تمنى الشاعر أن لو افتداها بنفسه وكان هو الذي طواه الردى دونها. يقول الشاعر حسن القرشي :

لو تُفتدين سخـــا الفـــدا * ء من الجوانح والقلـــــوب

وبذلت روحـــي أتَقـــي * بطش الردى عند الوثـــوب (٢)

ولكن هيهات أن يتحقق ذلك ، فهي أمنيات يستحيل تحققها ، والشاعر نفسه يدرك ذلك ، بدليل استخدامه لأداة الامتناع (لو) ، غير أن هذا يكشف عما آلت إليه حالته من الحزن والأسى، ويوضح مكانة الأم في نفسه.

وبعد هذا كله، نتساءل . هل إحساس الشعراء بفقد أمهاتهم فقدا أبديا وما يصاحبه من حزن وأسى يختلف عن إحساسهم بفقدها في غربتهم وبعدهم عنها ؟

* * *

---

(١) نداء الدماء ص ٧٠ وتاليتها ، الصدى : الدماغ نفسه (اللسان : صدى) .

(٢) المصدر السابق ص ٧٠ .

الفصل الثالث

الغربة وبواعث الحنين

للأم

الغربة و بواعث الحنين للأم

حين تحجب ظروف الحياة المرء عن وطنه ، مرتع صباه ونشأته ، ومستودع ماضيه وأحلامه ، قد يشعر باستحالة البقاء والانسياق وراء تقاليد المجتمع الذي يقطن فيه ، بل دائماً ما ينكفئ إلى ذاته وغربته وتفرده بالحزن ، فيجنح إلى الآفاق الرحبة ؛ رغبة في احتضان أكنافها الدافئة ومناجاة ذكرياته السالفة ، وسفح دموع الوجد والتوقان ، وبثّ حنينه وشوقه ، وأمله في العودة إلى مثوى الحسن والجمال وطنه الغالي على نفسه،وأهله صبابة فؤاده ــ لاسيما أمه لذته وسلوته وراحته ــ

فالغربة في معناها اللغوي : " الذهاب والتنحي عن الناس ، وقد غرب عنّا يغرُبُ غربا ، وغرَب وأغرب ،وغرَبهُ، وأغربهُ: نحّاهُ، والغربة والغُرْبُ : النزوح عن الوطن والاغتراب" (١)

أما الحنين فهو : " الشديد من البكاء والطّرب، وقيل: هو صوت الطّرب كان ذلك عن حزن أو فرح ،والحنين أيضاً : الشوق وتوقان النفس ، والمعنيان متقاربان ، حنّ إليه يحنّ حنينا فهو حانٌّ " (٢)

"وقد كان الاغتراب في حد ذاته ضرورة لجأ إليها الإنسان العربي ــ منذ فجر حياته ــ للهروب من جدب الطبيعة وسعيا وراء الماء والكلأ . فهو مرتحل أو يفكر في الرحيل وما من شك في أن هذا الرحيل له انعكاسات متعددة على نفسية هذا الإنسان ومشاعره ، فهو لابد أن يفارق مواطن عزيزة على قلبه ، فظلت آثارها محفورة في وجدانه يبكيها ويتشوق إليها " (٣)

---

(١) اللسان : غرب .

(٢) اللسان : حنن .

(٣) أمين صالح عبد ربه:الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ، ص١٧٣ .

"والحنين طبيعة أصيلة في الإنسان إلى كل ما يشوقه مما يحيط به في بيئته من إنسان أو حيوان أو طير أو أثر من الآثار حتى ولو كان أطلالاً ورسوماً " (١).

وعلى ذلك فإن الغربة والحنين مرتبطان بعضهم ببعض أشد الارتباط ، " فالغربة تولد الحنين وتبعثه وكلما امتدت زماناً ومكاناً ضاعفت الحنين وأضرمته ،فكأنهما شجرة وأغصانها أو نبتة وثمارها" (٢) .

وقد تغرّب الشعراء السعوديون عن الأوطان والأهل والأحباب، سواءً كانت الغربة مدعاةً لتحصيل علمي يطمحون إليه أو لمزاولة أعمالٍ كُلّفوا بها ، أو لتلقي علاجٍ بغية الشفاء من أمراض ألمت بهم أو بغيرهم، أو لأسباب عديدة فرضتها عليهم شؤون الحياة وصروفها . ثم هم بعد ذلك يعانون في غربتهم من ألم الفراق والوجد، ويذرفون من الدموع والآهات أشجاها، ويقاسون من الهموم والأوجاع أشدها خطباً وايلاماً. وقد عبّروا عن أشواقهم وحنينهم إلى أوطانهم وأهليهم وذويهم، وبالأخص إلى ذلك الحضن الدافئ، والقلب الحاني قلب الأم الرؤوم .

وهاهو الشاعر عبد السلام هاشم حافظ يتغرب عن وطنه وأهله ، حيث قُدّر له أن يبقى في القاهرة تحت الإشراف الطبي،وطالت غيبته عن الوطن ــ المدينـــــة المنورة ــ فتفجرت في قلبه مشاعر اللهفة والحنين إلى كل من أحبهم وأحبوه ، وفي مقدمتهم حبه الأكبر أمه . يقول في قصيدته " الشوق ياوطني " :

داري وسرّ الهوى الباقي وأوطاني * يا طيبة النور..يا روحي ووجداني

الشوق..يا ما أمرّ الشوق في كبدي * على مدينتنا والمسكن الحانـــــي

---

(١) نظمي عبد البديع : أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، ط د ، دار الفكر العربي مصر ، ت د ، ص ٥٤٣ وتاليتها .

(٢) أمين عبد ربه : مرجع سابق ص ١٨٦.

عامٌ وأكثر قد ولّى وزدتُ جـــوى * في مصر مغتربا،والشوق أضناني

أنقّل الطرف..أين الأم؛أينهـــم ؟ * أهلي وموطننا الغالي وإخوانـــي؟(١)

بل إنه يشعر بمشاعر طفليه اللذين كانا في صحبته ، وقد راحا يتشوقان للرجوع إلى وطنهما وإلى أمهما الكبرى (والدة الشاعر) . يقول الشاعر يصف حنينهما :

أقول بل كلّنا شوق ،ألست ترى * حتى الصغيرين في آهاتِ ظمآنِ

يسائلان عن الأمّ التي عرفـــا * فيها الوداد وعن صحب وأخدان (٢)

أما الشاعر غازي القصيبي " فالغربة عنده حسية معنوية في وقت واحد بسبب تأثره بالبعد عن موطنه واصطدامه بتقاليد مجتمع مختلفة عن تقاليد مجتمعه مما جعله يشعر بالوحدة والوحشة، ويسلك درب الضياع، ويحمل جرح الضنا، ويطارد فلول الذكريات"(٣) وكأنهُ (طفل) يجهل الخوض في معمعة الحياة والتصرف في شؤونها، وقد اختفى تحت جنح الظلام يؤرقه الخوف والألم، ويقذف به الليل من مكان إلى آخر لا يعرف له وجهة، وليس أمامه سوى صخب الجموع،وعيون تصرخ في وجهه : يا غريب، كل هذا جعله يحنّ و يشتاق لتراب أجداده " فحب الوطن طبيعة راسخة في كل نفس .ولقد يطوف الإنسان ما يطوف ، ويتغرب ما يتغرب ، ويشهد ما يشهد من ضروب الجمال في غير وطنه، .ولكن نفسه دائما تنازعه إلى مسقط رأسه،وعواطفه تهوى إلى وكره الذي منه خرج"(٤) والشاعر يتمنى من أعماقه أن يعود إلى أرضه ذات الشواطئ والسهول ، موطن الأصداف والنخيل ،

---

(١) الفجر الراقص ، ص ١٠٩.

(٢) المصدر السابق ص ١١٠ .

(٣) عثمان الصالح العويمر: حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، ط ١ ، المدينة العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، ٢/ ٦٠٣ .

(٤) أحمد الحوفي : مرجع سابق ص ٦٥٠ .

حيث الأم الحنون هناك ، والأب العطوف ،والرفاق نشوة العيش الجميل . يقول في قصيدته " جزيرة اللؤلؤ " :

أنا ذلك الطفـــل الغريـــــر * رمتهُ للدنيـــا الخطـــــوب(١)

تركته في صخب الجمـــــوع * يكاد يخنقـــهُ النحيـــــب

أبداً تمـــر بـــــه العيـــــون * تكاد تصرخ : يـــا غريب !

من ذا رماتـــــي ريشـــــةً * في الليل تلفظها الدروب ؟

لا هذه أرضـــــي . . . ولا * أهلي لديّ ... ولا الحبيـــب

أرضي هناك . .مع الشواطىء . . * والمـــــزارع . . والسهـــــول

في موطن الأصداف . .والشمس * المضيئـــــة . . والنخيـــــل

أميّ هناك . .أبي . .رفاقـــــي * نشـــــوة العيش الظليـــــل (٢)

" ويظهر أن للصحراء سحراً خاصاً ــ على جدبها وشظفها ــ يجتذب أهلها إلى ألاّ يريموا عنها، ولايتحلحلوا منها ، بل إن سحرها ليجتذب العارفين بها من غير سكانها "(٣) وللغربة تأثير واضح في ارتباط الشاعرغازي القصيبي بالمدينة الصحراوية. فقد انقلبت هذه الغربة إلى غربة روحية ثورية على واقع المدينة المعاصرة " (٤) تتمثل في عدم الانسجام مع مظاهر المدنية

---

(١)غرير : غير مجرب للأمور (اللسان : غرر) .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة " أشعار من جزائر اللؤلؤ " ص ١١ وتاليتها .

(٣) أحمد الحوفي : مرجع سابق ص ٦٥٠ .

(٤) انظر : بهاء الدين رمضان : المدينة والشاعر " دراسة تحليلية في شعر غازي القصيبي " ، مجلة الفيصل ، العدد(٢٠٨) ، السنة (١٨) ، شوال ١٤١٤ ، مارس / أبريل ١٩٩٤م ، ص ٢٠ .

المعقدة ، والطبائع الإنسانية المختلفة،والرغبة في الهروب إلى البساطة في العودة إلى الصحراء ، " والشاعر طفل لها مهما طاف في بلاد الله،فهو في النهاية يلقي بمرساته على رمالها وكأنها تناديه دائما:ارجع أيها الطفل المدلل " (١):

وعدتُ إليـــــــك القيت بمرساتـــــي

علـــــى الرمـــــــــل

غسلت الوجـــــــــه بالطـــــــلّ

كأنك عنـــــــدهـــا ناديتنـــــــي

وهمســـــــت فـــــي أذنـــــــي :

"رجعـــــت إليّ يـــا طـــفلـــــــي؟ "

اجل..أمَـــــــــاهْ..عدتُ إليـــك

طفـــــــلا دائـــــم الحـــــــزن

تغـــــــرّب في بـــــــلاد الله..

لم يعثـــــــر عـــلى وكـــــــره

وعاد اليوم يبحث فيـــــك عن عمـــــره..(٢)

والشعراء السعوديون لا يفتأون يوقعون على أوتار الغربة المؤلمة أغاريد الحنين اللاذع،والشوق اللاعج ، والذكرى الموجعة ، ويتذكرون ما شنّف أسماعهم من دعوات وابتهالات

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة " معركة بلا راية " ص ٢٦١ وتاليتها .

بثتها تلك العاطفة المتقدة، عاطفة الأم الحنون. وهاهو الشاعر عبدالرحمن العشماوي في غربته، تدمع عيناه ، ويتأجج قلبه حباً وحنيناً عندما يسمع صوت أمه على سماعة الهاتف ،ذلك الصوت الذي مازال يعانق القلب ، ويزرع الإحساس،وينمي الإيمان في وجدانه . يقول الشاعر في قصيدته" دمعة على سماعة الهاتف" :

بعث الصوت كامـــن الأشجان * مثلما سرّنـــي فقد أبكـــانـــي

نقل"الهاتفُ" الحديث المرجّـــى * فسرى الدّفءُ والرضا في كيانـــي

أيُ صوت هذا الذي خالط النفـــ * ـــس وأحيا النشيد فوق لسانـــي

إنّهُ صوتُها نشأتُ عليـــــه * نغـم فيه قصـــة الإنســـــان

صوتها لم يزل يعانق قلبـــي * فيه فيـــضٌ من عطفها والحنـــان

.....

صوت"أمي"مازال يزرع إحســا * سي ، فينمو الإيمانُ في وجدانـــي(١)

وفي الوقت ذاته يطلب منها أن تتحلى بالصبر والصمود،وعدم اليأس والقنوط،وما سببته دواعي الغربة والفراق،فمنها استقى صموده في الحياة فما أعلن يأساً،ولا أعلن خذلانا. يقول الشاعر في قصيدته" أمّاه" :

أمّاه..لا تيأسي فالله يرعـــــانا * وفيض إحسانه في البؤس يغشانا

ثقي به،والبسي ثوب الرّضا وخذي *من الخضوع لهُ، نهجاً، وعنوانـــا

.....

---

(١) إلى حواء ص ٣٩ وتاليتها .

أماه..كلُ الجراحات التي اشتعلت * تهون،لكنَ جرح البعد ما هـــانا

الله يعلم..كم أضنيتُ من ألـــــم * قلب النشيد،وكم قد بتُ سهرانا (١)

والشعراء السعوديون وإن بعدت بينهم وبين أمهاتهم المسافات، وطال زمن الفراق والبعاد، فإنهُ لا يغيب عن مخيلتهم مناظر الوداع الحزينة،وقد تعانقت القلوب وانتحبت العيون،مما يزيد من التياع قلوبهم لفراقهن ، وتمزّق أنفسهم أسى وحسرة لبعدهم عن كنفهن. ومن مناظر الوداع والفراق التي أبكت الشاعر و الأم معا قصيدة الشاعر إبراهيم فوده بعنوان"أم إبراهيم"يصف فيها ما أبكاه من أنينها لفراقه، وهو يزمُ رحاله للرحيل عنها. يقول فيها :

لأول مرة أحسستُ دمعـــي * كجمر النار حرَقني لظـــاه

على أنـــات والـــدة رؤوم * براها الشوق بالـــغ منتهاه

تقول : صبرت ما يكفي فقلبي * عليك وفيك حطّمني جـــواه

.....

معاذ الله ليس تـــلام لكـــن * يلام وليدهـــا في ما جنـــاه

وتعلم ما جنـــاه هوى ولكن * أمور لا تجـــيء على هـــواه

يواكب بعضها بعضا وتجري * بهـــا الأقـــدار راكبـــةً خطاه

وتعطـــم حبّـــه فيهـــا غراما * يوافق قلبـــــه فيـــــه هداه (٢)

---

(١) المصدر السابق ص ٣ وما بعدها .

(٢) مجالات وأصداق ص ١٤٥ .

بينما نجد الشاعر عبد الله باشراحيل(١) يدعو أمه بأن تتمسك بزمام الصبر والتحمل، وأن تكفكف من انهمار الدمع الحزين ،فهي التي أرضعتهُ منذ صغره أروع معاني الجلد والحب والوفاء ، وهي التي ألهمتهُ ودفعتهُ للخير والإبداع والتقويم . يقول في قصيدته "أم عبدالله " :

يا أم عبد الله لا ذُقتِ الضنَـــــى * ووقيتِ من ليل الأسى المشئوم

ما بالُ دمعك لا يجف تمهلـــــي * وتريّثي وتهيّئـــي لقدومـــــي

أعليَ في يوم الفراق عزيزتي * تبكين يـــا لفؤادك المهمـــــوم

كُفّي عن الدمع الحزين وخففي * من لوعة التوديع والتهويم (٢)

.....

أنت التي ألهمتني ودفعتنـــــي * للخير،للإبداع، والتقويـــــــم(٣)

وكما وصف الشعراء لحظات الفراق و الوداع وما يكتنفها من بكاء و أحزان ، ووصفوا أيضا الحنين اللاعج ، والشوق الدافق لأمهاتهم وأوطانهم وذويهم ،كذلك نجد من الشاعرات الأمهات من يغلبها الحنين والشوق لرؤية ابنها ، وتصف أنين الفراق والوحدة ، وتتمنى لو كان بجانبها تحتويه بين حناياها ، وتغدق عليه قبلات الحب والحنان ، وهاهي الشاعرة مريم البغدادي (٤)

---

(١)عبد الله محمد باشراحيل ، ولد عام ١٣٧٠ بمكة . له من الأعمال الشعرية : الهوى قدري ، معذبتي . نشر العديد من قصائده في الصحف السعودية ، وفي مجلة الثقافة المصرية وغيرها من المجلات والصحف العربية ... (انظر : عبد الله باشراحيل : النبع الظامئ ، ط ١ ، مطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر جدة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ص٢٦٥) .

(٢)التهويم : النوم القليل ، (اللسان : هوم) .

(٣) معذبتي ، ط د ، الدار د ، مكان الطبع القاهرة ، ١٣٩٨ -١٩٧٨م ، ص ٥٢ وتاليتها .

(٤) شاعرة ، تحمل درجة الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس بفرنسا ، ومتخصصة في الأدب ، ولها دراسات ومقالات كثيرة فيه، ولها أيضا أكثر من كتاب في الأدب بين مؤلف ومترجم ، صدر لها ديوان عن تهامة بعنوان "عواطف إنسانية" . (انظر : عمر الساسي : مرجع سابق ص٢٧٧ وتاليتها) .

" تنهل من معين واقعها الحي ، فالأمومة من عالمها الخاص ؛ والطفولة مجسدة في تصويرها لمشاعرها تجاه ولدها (عدنان) القريب البعيد ، القريب من قلبها ، البعيد عن يديها لأسباب ترمز إليها ، إلا أن هذا الرمز يظهر بوحها في شكل لوحات إنسانية تجسد ما تعانيه الشاعرة " (١) في قصيدتها " ولدي عدنان " تقول فيها :

عدنان أنت هدية الأقـــدار * كالنسمة الزهراء للأزهـــار

.....

ياماكا قلبي حبيبي مهجتي * عدنان أنت رجاؤنا وفخاري

قد غبت عني ياملاك فهدّني * منك الفراق فشتّتت أفكـــاري

.....

أهفو إليك وملءُ قلبي لهفةً * أرنو إليك كما إلى الأقمـــار

.....

طفلي حبيبي ياملاكا طـاهرا * عدنان عُدْ حتى يقرّ قـــراري

.....

الكـلُ حولي عندهم أولادهم * إلا أنا لم أقضهـــا أوطـاري

عدنان ليتـك قد رأفت بحالتي * ورجعت لي ليعـود نور الدار

عدنان عُد يكفي نوى بل لوعةً * عُد لي صغيري حُلّ في الأبصار(٢)

---

(١)أحمد دوغان : " الأمومة والطفولة في ديوان الشاعرة مريم بغدادي " ، المجلة العربية ، العدد(١٠١-١٠٤) ، جمادى الثانية ١٤٠٦هـ- آذار " مارس " ١٩٨٦م ، ص ١٣١.

(٢) عواطف إنسانية ، ط ١ ، تهامة جدة ، ١٤٠٠- ١٩٨٠م ، ص٨٧ وتاليتها ، ويلاحظ هنا ما في البيت الأخير من تكلف في الصياغة .

ولا يزال قلبها يحترق ألماً ،ومشاعرها تفيض حزناً وكمداً منذ غاب عنها ابنها. وفي قصيدة أخرى لها بعنوان" عودة ابني" تصف الشاعرة حالها وقد غاب عنها فلذة كبدها . تقول فيها :

ارفق بقلبي الخافق الولهـــــان * وكفى فؤادي لهفةً وكفاتـــــي(١)

أحنوك مني يا بُنيّ فأحرقـــــوا * قلبي وروحي مُتّ من أحزانـــي

والدمعُ يحرق لي خدودي والأسى * يُدمي فؤادي والنوى أضناتـــي

فكأن قلبي يوم رُحْت لـــــدارهم * قد طار منّي تاركـــاً أوطانـــي

يهفُو إليك بعبـــرة وتنهُـــــد * ويقولُ أبغي رؤية العدنـــــان(٢)

ما لي أراه حين يذكر عهدكـــم * قد هـــام حبـــا دائـــم الخفقـــان

.....

عدنان يا نـــور الوجود تحيـــــة * من قلب صبٍّ عاشـــق ولهان

أهديـــك حبـــا صادقـــا يا فلْذَتـــي * يا روح روحي أنت من أبكاني (٣)

والديوان يكتظ بمثل هذه المضامين التي تفيض ألماً وحرقةً وشكوىً وأنيناً (٤) كما اكتظت غيره من الدواوين بقصائد الأمومة الحانية ، مصورة تلك الدفقات الوجدانية بصور شتى ، صنفت في أغراض شعرية متنوعة نلمحها من خلال عرضنا للفصل الرابع .

---

(١) نلحظ في لفظة " إرفق " كما هي في الأصل ، أن كثيراً من الشعراء يكتبون همزة الوصل على غير وضعها الصحيح ، إذ يضعون تحت الألف أو فوقها همزة ، والصواب أن تكتب الألف بدون همزة .

(٢) يلاحظ أن قولها " أبغي " بفتح الهمزة وسكون الباء وكسر الغين فهو من البغي ، أما إن أرادت به ابتغي أو أريد فهي من الأغلاط العلمية .

(٣) المصدر السابق ص ٩٠ .

(٤) انظر : المصدر السابق ، قصيدة"نداء قلب"ص٩٢ ــ "أموت ألف مرة " ص٩٤ ــ "ظل الرحمة"ص٩٦ ــ "مكالمة هاتفية ص٩٧" ــ "رد على ابني ص١٠٥" .

الفصل الرابع

الأم في أغراض شعرية أخرى

١ــ الشكوى والأنين

٢ــ نموذج الأم السعودية في أعين الشعراء السعوديين

٣ــ مظاهر حب الأم لأبنائها

٤ــ الأم الثكلـــى

الأم في أغراض شعرية أخرى :

(١)الشكوى والأنين :

حينما تشتد الحياة ، وتقسو الأيام ، وتضيق النفس بآلامها ، وترسل أناتها الشاكية معبرة عما ألمّ بها من ضيق ، أو نزل بها من مكروه ، أو أصابها من مرض ، وحين تجد الكل منصرفين عنها ، مشغولين بأوجاعهم وذواتهم . يأتي الصوت الحنون ، يطمئن القلب ، ويدمل الجرح ، ويشفي النفس .. إنه صوت الأم الذي يلمس أوتار القلوب ويهز أعماق النفوس .

إنها أعز شيء في الحياة " هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس،والقوة في الضعف،هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران." (١) وهي إلى جانب ذلك البلسم الشافي إذا تعاورت الهموم والأوصاب .فقلبها كبير وحبها عظيم،تصغي لأنين أبنائها وشكواهم،وتُحسّ بزفراتهم الحزينة وآلامهم الموجعة، فيتدفق قلبها عطفاً دافئ، وحنوّ صادق يبعث الأمان والراحة والسكون .فهي بذلك تعيش أعمارا عدة في عمر واحد.

وهاهو الشاعر علي زين العابدين (٢) يلجأ إلى أمه يُسمعها أناتهَ الكليمة ، وآهاته الممضة شاكيا إليها عقوق أبنائه ، الذين تنكروا له ، فأصبحوا بذلك مصدر تعاسته وبؤسه وكربه، وأحدثوا بهذا الجفاء شرخاً في نفسه هزّ أعصابه وسلّ الرشد من عقله .فبعد أن زرع لهم أرض الحياة نعيما وهناءً منذ صغرهم، لم يجني منهم بعد ذلك سوى الشوك والألم،والحسرة والأسى،يقول مخاطبا أمه:

---

(١) حسن جاد حسن : الأدب العربي في المهجر ، ط د ، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع الدوحة ، ١٤٠٥-١٩٨٥م ، ص ٣١٤ .

(٢) ولد بمكة عام١٣٤٣، وفيها نشأ وتلقى تعليمه،ثم بُعث إلى مصر بعد أن أنهى دراسته الثانوية، فدرس في الكلية الحربية بالقاهرة،وبعد أن تخرج منها عاد إلى المملكة فعمل في القوات المسلحة، ثم بُعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية في دراسة عسكرية،عاد بعدها إلى المملكة فتقلب في مناصب عدة في القوات المسلحة،وبعد عشرين سنة أحيل إلى التقاعد،فتفرغ لأعماله الخاصة وكتابة الشعر.أصدر العديد من الدواوين منها : تغريد الهديل ـ صليل ..(انظر : عمر الساسي : مرجع سابق ص٢٥٢) .

حصدتُ الشوك يا أمي * وبئس الشوكُ من طُعمِ

.....

أبعد الجهد والكـــــدّ * ألاقي الغرم في الغُنْـــم(١)

عراني الهم والبـــؤس * ولاح النحس في نجمـــي

.....

سقيمٌ هائمٌ مُضنـــــي * بريءٌ بؤتُ بـــالرَجْـــمِ

فهل تدرين يا أمـــــي * من المسؤول عن سُقمي

إذا أفصحتُ لا تبكـــي * فبعض القول قد يُصمـــي

هُمُوا يـــا أمَّ أولادي * سقوني السُمَّ بـــالرغـــمِ

فهل يا أمُ من هـــول * كهذا الكـــرب والظـــلم(٢)

والشاعر بعد ذلك يفصح عن سبب هذا المسلك من أبنائه ، فهو لم يرتكب ذنبا أو يقارف إثما سوى أنه تزوج بامرأة أخرى،أحس فيها سجايا الحب والإصلاح ، يقول الشاعر مفصحا عن سبب الجفاء :

وما أذنبت من ذنـــب * ولا قارفتُ من إثـــم

سوى أني تزوجـــتُ * ببنت الخـــالِ و العـــمّ

وقد أحسستُ في زوجي * سجـــايـــا الحب والرأم

---

(١) الغرم: من الغرام وهو الهلاك والشر، (اللسان: غرم)، والغُنْم: الفوز بالشيء من غير مشقة ، (اللسان :غنم) .

(٢) ديوان هذيل ، ط ١ ، دار العلم للطباعة والنشر جدة ، ١٤٠٤ ، ص٢٠١ وتاليتها .

أعاضتني عن البؤســـي * بحُسنِ الخلق و البسْـم (١)

ويتعجب الشاعر من جور أبنائه لهُ ، وعقوقهم إياه ، لأن الشاعر لم يكن عاقاً لوالديه . بل كان باراً رحيماً بهما ، كما أوصى بذلك اللهَ ــ عز وجل ــ ولن ينسى مهما طال به الزمان فضائل أمه عليه ، وإحسانها وعطفها الفياض ، ويسأل الله ــ عز وجل ــ أن يجازيها خير الجزاء في دنياها وأخرتها :

أنــا يــا أمَ مظلـــوم * أعيش اليوم فــي ضيـــم

فقولـــي الحق للـــدنيا * أعــقٌ فيــك يــا أمـــي؟!

أ كنتَ بوالــدي عقًّــا * كنــودا عــقَ بالرَّحـــمِ

.....

ألم أبرركما حقّـــا * ألم أمنحكما رُحمـــــــي

لقد أترعتني عطفــا * وحباً بالرضـــى يهمـــــي

شربتَ رضاك ترياقا * وقــد وفَيتنـــي قسمـــــي

أبيتَ الليل في حَضن * كريح المسك فــي الشـــمِّ

.....

جزاكِ الله في الدنيا * وفي أخــراكِ بالنُّعـــــم (٢)

ومثله الشاعر عبدالرحمن اليحيا يبثُّ شكواهُ وأنينه إلى والدتهُ دفق حياته ومصدر هنائه ، ولكنهُ لا يشكوها عقوق أبنائه له،بل يصور لها حزنه وألمه وحيرته، وحياة القلق والعذاب

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق ص٢٠٤ ، كنود : جحود (اللسان : كند) .

الروحي التي يعيشها،والغربة الروحية التي تكتنفهُ ، وقد ضاق بكل شيء حتى ضاق بأنفاسه ، وظل في صراع مرير بين مشاعرهُ الخاصة و محيطه الذي يعيش فيه، لا يهدأ إلا إذا ركن إلى ذلك القلب العظيم،بيثهُ همومه ومشاكلهُ،يقول في قصيدته " ألـم " :

الجرح قد غار في الأعماق يلتهب * والقلب في الصدر بات اليوم يضطرب

والنفس تبكي مـع الأيـام غربتها * والروح تُحـرق والأفكـار تحتـربُ

أمشي طريداً كأن الخلق تمقتنـي * والأرض والكون حتى الأهل والصحب

أحيا مع الهـم لا ينفك يتبعنـي * كأننـي عاشـقٌ للهـم مصطحب

.....

واحـرَ قلباه يا أماه قد وهنـت * فيَ العزيمة والإقـدام والشبـب (١)

بينما نجد بعض الشعراء ممن ينتابهم حالات من القلق والحزن و الألم ،لا يبثون شكواهم لأمهاتهم بطريق مباشر ، بل يلجئون في ذلك إلى الرمز ، فيسبحون بخيالاتهم في أودية الأحلام والأوهام ، ويلوذون بالطبيعة يبثونها شكاياتهم وآلامهم،وتبرمهـم وسخطهم على الحياة وعلى الناس،مكثرين من الحديث عن الفناء والموت،متجهين إلى الصحراء أو الأرض باعتبارهما رمزاً للعطاء ونبعاً للحنان والعطف،فيجدون فيهما صورة الأم في حنوها وعطائها وذلك بسبب شدة تعلقهم بأمهاتهم وكأن كل شيء فيه هبة وخير صار أماً له . يقول الشاعر محمد حسن فقي (٢) في قصيدته "أمُنا الأرض" :

---

(١) الأجنحة المتعبة ص ٢٦٥ وما بعدها.

(٢) ولد بمكة عام ١٣٣٢هـ . شاعرٌ عظيم ، مرهف الحس،عميق التجربة، متمكن من أساليب اللغة ، وجماليات التعبير ، من أعماله الأدبية : ديوان قدر ورجل ، رباعيات ، الأعمال الشعرية الكاملة،وقد عكفت على إخراجها الدار السعودية للطباعة والنشر بجدة،ودار المعارف بالقاهرة.. (انظر:عمر الساسي : مرجع سابق ص ١٠٤ وما بعدها) .

أيها الأرض..نحن منك..فما يســـ * ـأم منك اقترابُنا واللّصوق

أمُنَـــا أنت .. في يديـــك صبـــوح * للنشاوى ،وفي يديك غبوق(١)

نديت أرض بعضـــنا ـ أيها الأم ـ * وريعت من الجفـــاف حلـــوق

.....

أين منّا .. يا أمنا الأرض ..يا من * نحن منها ..سبيلك المطروق(٢)

مثله قوله في قصيدته " الصاعدون" :

ألا أيها الأرض ..يا أمنـــا * وهل تضمر الأمُّ إلا الحنـــانْ

سألقى لديك الجواب الذي * يضيق الزمان به والمكـــان

أبيني لنا السرَ ..كاد العماء * يُضللّنـــا عن مرائي العيـــان

فهل أنت يا أم كالعالميـــن * حياتك .. أم بيديـــك العنـــان(٣)

والشاعر هنا يسير على منوال شعراء المهجر ، الذين يعتبرون أنفسهم أبناء هذه الطبيعة التي تحنو عليهم ،ويشعرون حين يضمون صدرها الدافئ أنهم يولدون من جديد، وتعود لهم طفولتهم الرحبة ، وبراءتهم الصادقة. (٤)

وقد يكون الأمر عكس ذلك تماماً ، فلا تكون الشكوى صادرة من الشعراء أنفسهم

---

(١) صبوح : هو كل ما أكل أو شرب غدوه ، وخلافه الغبوق : الشرب بالعشي ، (اللسان : صبح وغبق) .

(٢) الأعمال الكاملة ، ط د ، طبعته دار المعارف مصر ، ونشرته الدار السعودية جدة ، ١٩٨٤م ، ٣/ ٥٣٥ وما بعدها.

(٣) قدر ورجل ، ط ١ ، مكان الطبع د، بلد الطبع د ، ١٣٨٦- ١٩٦٧م ، ص ٣٥٠ .

(٤) عن شيوع هذه الظاهرة في أدب المهجر ، انظر : صابر عبد الدايم : أدب المهجر " دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأمّلية في الأدب المهجري " ، ط ١ ، دار المعارف مصر ، ١٩٩٣م ، ص ٤١٩ .

بل من الأمهات ،ولا نقصد الأم هنا بمعناها الحقيقي بل بمعناها المجازي ــ أي الوطن ــ فمن الشعراء من استعار لفظ الأم في حبها وإحسانها وخوفها على أبنائها للوطن الشاكي الذي يبعث أناته المطعونة وينادي أبناءه ويستنجدهم لمحاربة الفساد والطغيان ، وبتر الأعداء والظلمة ٠

يقول الشاعر حمد الصعوس (١) في قصيدته"رؤوسكم هي دائي" :

سمعتها ــ في ضحى البلوى..تناديني * تشكو،وتبعث من أنـــات مطعون

سألت..ما الأمر يا أماه ــ فانتفضت * وقالت..الأمر يخزيكم ، ويخزيني

والأمرُ..يصفعُ أمجادي ، ويخذلنـــي *ومن كؤوس الضنى،والذلِّ يسقيني

أضحى يغرغر أمجادي ، ويفضحني * أمرٌ لمستنقعات اليأس. . يدنينـــي

أبكي لغدر شقيٍّ. .خـــان أمتـــــهُ *وفي مهاوي الردى ــ عمداً سيلقيني(٢)

فالشكوى ما هي إلا تعبير الشعراء المتأجج عن أحزانهم ،وكآبتهم ،واغترابهم ويأسهم وحيرتهم،وجدب الحياة من حولهم،وهذه الشكوى المتأججة الموّارة،وإن مازجها نزوع إلى اليأس والقنوط، كثيرا ما تنتهي إلى شيء من اللواذ بالطبيعة (٣) باعتبارها الأم الرؤوم رمز العطاء والحنان والحب ٠

---

(١) ولد بمدينة حرمة بمنطقة سدير عام١٣٧٣، وتلقى دراسته الابتدائية في بلدته ثم التحق بمعهد إمام الدعوة بالرياض،ثم التحق بكلية الشريعة حيث نال شهادتها عام(١٣٩٥/١٣٩٦)،وتقلد عدة وظائف حكومية،ومما نشر له:ديوان دوائر للحزن والفرح٠ (انظر : أحمد سعيد بن سلم : مرجع سابق ٣١٤/٢) ٠

(٢) دوائر للحزن و الفرح ، ط د ، النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠٧-١٩٨٦م ، ص٤٧ وما بعدها ٠

(٣) انظر : مصطفى إبراهيم حسين : أدباء سعوديون " ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديباً " ط ١ ، دار الرفاعي الرياض ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، ص٢٣٤ ٠

(٢) نموذج الأم السعودية في أعين الشعراء السعوديين :

أمر الدين الإسلامي بتعليم المرأة وحضّ على ذلك، ورغّب فيه. قال الله ــ عز و جل ــ : (وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (١) و لاشك أن هذا جزء من دعوة الإسلام العامة إلى الآن ، وقال تعالى:(يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾) (٢) وقد أولى الإسلام المرأة عناية كبيرة ، فهي نصف المجتمع،بل أكثر من نصفه، وهي حصن الرجال وأمّهم،ومدرستهم الأولى، وصانعة الأجيال، فيجب أن تحوز تلك العناية العظمى،كي تكون على مستوى يجعلها تصوغ لبنات المجتمع على أكمل وجه. من أجل ذلك اهتم الشعراء بالدعوة إلى تعليمها وتثقيفها كي تستطيع تشكيل نشء صالح ، ومجتمع سليم من آفات الجهل والجمود .

والشاعر السعودي يشيد دائماً بمناقب الفتاة السعودية وقد تغذت علماً ومعرفة ويعتبرها نموذجا للأم السعودية المثالية ، فهاهو الشاعر فؤاد شاكر يحي الفتاة السعودية في قصيدة له بعنوان " تحية الفتاة السعودية " ويجعلها مثالاً لأم المستقبل ،يقول فيها :

تحيـــــــةٌ للفتـــــــاة * شبيهـــــة النيـــــرات

اليـــوم تجمـــع شمـــلا * مبعثـــــراً ،من شتـــات

تصحـــو ، وتنفـــض عنها * بقيـــــةً مـــن سبـــات

للعلـــــم والديـــــن تسعى * بكـــــلّ عـــزم مـــؤاتى

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٤ .

(٢) سورة المجادلة آية ١١ .

فالبنت للغـــد أم * والبنت أم البنـــــاة

أم البنين كرامـــا * لنا، وأم البنـــــات(١)

والشاعر بعد ذلك يضرب مثلاً رائعاً لنساء خلدهن التاريخ، كنّ قدوة للرجال والنساء. فهناك السيدة عائشة أم المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ " مات النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولها نحو ثمانية عشر عاماً ، وقد حفظت عنهُ شيئاً كثيراً، وعاشت بعده قريباً من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ منها ،ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئاً كثيراً. حتى قيل أن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها ــ رضي الله عنها ــ وهي إلى جانب هذا شاعرة أديبة ، عالمة بالطب والأدواء" (٢)لذا قال الشاعر فيها :

هيهات ننسى سطورا * في الأحقب الغـابـرات

أيام كنـــا وكانـــت * هـدى مـن البينـــات

عهد النبي ومـــا فيـــه * من هدى " العائشـات "(٣)

تلك "الحميـــراء"كانت * عميدة المؤمنـــــات(٤)

ويشير الشاعر في قوله " العائشات " إلى أمهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن ــ فقد تمثلن أخلاق السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ واتبعن نهجها وسيرها ، حتى صرن مثلها " العائشات " وتعتبر بذلك عميدة المؤمنات .

---

(١) وحي الفؤاد ، ط ٣ ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر جدة ، ١٣٧٨هـ- ١٩٦٧م ، ص١٤٨ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : مرجع سابق (كتاب فضائل الصحابة) ٧ / ١٠٧ .

(٣) ورد عجز البيت هكذا في الديوان ، وربما قصد الشاعر أن يقول : من هدى كلّ " العائشات" .

(٤) وحي الفؤاد ص ١٤٨ ، الحميراء : تصغير حمراء للتمليح ، وقد كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلقبها بهذا اللقب، (تاج العروس : حمر) .

ومثله الشاعر محمد حسن عواد في قصيدته "المرأة بإيحاء طفلة جميلة" وقد تخللتها أبيات تتضمن دور المرأة السعودية في الحفاظ على الحياة الأسرية والاجتماعية، فهي الأم والزوجة والحصن المكين،وهي القدوة لأبنائها تعطيهم من مبادئها، فينشأ الطفل على فطرتها. عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ " ما من مولود يولد إلا على الملة. وقال مرة: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصرانه ويشركانه. قيل : يا رسول الله أ رأيت من مات قبل ذلك. قال : الله أعلم بما كانوا عاملين" (١)، يقول الشاعر:

واجب تهذيبها فهي لنا الـــ • أم والزوجة والحصن المكين

هي تعطي الطفل من مبدئه • وجهة الفهم وســـر المدركين

فإذا دهدتـــه من فطرتهـــا • حكمة أمّ طريـــق النابهيـــن

وإذا ما نفثت فيـــه علـــى • جهلها الجهل نأى في الخاملين

ففتاة الشرق في الشرق هدى • وبنات الشرق آساس البنين(٢)

ويقول الشاعر إبراهيم العلاف(٣) في قصيدته"المرأة" وفيها يصوّر المرأة بأنها أم عظيمة وأن الحياة لا تستقيم إلا بها:

أنت أسمى من الهوى المعثار • أنت أم عظيمـــة المقـــدار

---

(١) الإمام أحمد ابن حنبل : مرجع سابق ٢ / ٤٨١ .

(٢) ديوانه " أماس و أطلاس " ١ / ٧٥ .

(٣) من مواليد مكة عام ١٣٥٠، وبها نشأ فتلقى تعليمه بمدارسها حتى نهاية مرحلة الدراسة الثانوية،ثم ابتعث إلى مصر، فالتحق فيها بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة. والأستاذ العلاف ابن أخت الشاعر أحمد قنزلوي ــ رحمه الله ــ وربما تأثر به في شاعريته، فهو شاعر له دواوين عدة منها: جلنار، وغيرها . (انظر : عصر المماليك : مرجع سابق ص ٢٧٢ وما بعدها) .

أنت نصف الحياة ، بل ثلثاها * وانبعاث الشريك للأوطار(١)

وتلك الأبيات التي سيقت وما اشتملت عليه من مضامين ما هي إلا صدى لقول العديد من شعراء العصر الحديث أمثال : أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومعروف الرصافي. فأحمد شوقي (٢) مثلاً يركز على ضرورة تعليم الأم وأثره في تنشئة الأجيال في قوله :

وإذا النساءُ نشأن في أميّة * رضع الرجالُ جهالةً وخمولا

ليس اليتيم من انتهى أبواه من * همّ الحياة ، وخلّفاهُ ذليـــلا

.....

إن اليتيم هو الذي تلقى لـــه * أماً تخلت ،أو أباً مشغـــولا(٣)

ويجاريه في ذلك الشاعر حافظ إبراهيم (٤) في قوله :

---

(١) الديوان " وهج الشباب " ، ط ٣ ، مطابع الصفا مكة ، رمضان ١٤٠٩هـ -إبريل ١٩٨٩م ، ص٩٢ .والمعنى ذاته يتكرر عند الشاعر عبد السلام حافظ : الأربعون ، ط١ ، الناشر : عبد المقصود خوجه جدة ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م ، ص ١١١ " قصيدة بعنوان: تحية إلى المنظمات " يقول فيها :

يا نصفنا الغالي نصيحة شاعـر * يرجو لكنّ الفخر في هذا الوجود

بثقافـة دينيـة وحصانـــة * تحيـــون فيها بالتفاؤل والسعود

وعلى مسار الطهر تمشين الخطا * ونرى لكنّ بكـل بيت ما يفيـــد

فبناتنا من أمهـــات فـي غـــد * وموظفـــات عامـــلات في صعود

(٢) ولد الشاعر سنة ١٨٦٩ لأب وأم تنحدر إليهما عناصر مختلفة . نشأ في بيئة أرستقراطية مترفة .وأخذ يختلف منذ سنته الرابعة إلى الكتاب ، ثم انتقل إلى المدارس الابتدائية والثانوية ، فكان ذلك فرصة له ليختلط بأبناء الشعب وحياتهم الديمقراطية ، ولكنه سرعان ما كان يعود إلى بيئته وما بها من نعم الحياة..(انظر : شوقي ضيف :الأدب العربي المعاصر في مصر، ط ٩ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ١١٠ وما بعدها) .

(٣) الشوقيات ، ط د ، مكان الطبع د ، بلد الطبع د ، ت د ، ١/ ١٨٣ .

(٤) ولد الشاعر عام ١٨٧٠هـ في دبروط ، وتربى في كنف أمه بعد وفاة والده ، ثم انتقلت به إلى القاهرة حيث كفله خاله فرعاه وقام على تربيته ، وألحقه أولاً " بالكتاب " ثم تحول به إلى مدارس مختلفة كان آخرها المدرسة الخديوية ، وهو شاعر معاصر ، كانت شاعريته قد استوت له ، وكان ذا نفس حساسة مرهفة الشعور .. (انظر : شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ١٠٠ وما بعدها) .

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتهـــــا * أعددت شعبا طيب الأعـــراق

الأم روضٌ إن تعهّدهُ الحيـــا * بالريِّ أورق أيّما إيـــــراق (١)

ويؤيدهما الرصافي (٢) في قوله :

هي الأخـــلاق تنبت كالنبـــات * إذا سقيـــت بماء المكرمـــات

تقوم إذا تعهـــدها المربـــي * على ســـاق الفضيـلة مثمرات

وتسمـــو للمكـــارم باتســـاق * كمـــا اتسقت أنابيب القنـــــاة

ولم أر للخـــلاق من محـــلٍّ * يهذبهـــا كحضـــن الأمهـــات

فحضْنُ الأمّ مدرسةٌ تسامـــت * بتربية البنيـــن أو البنـــات

وأخلاق الوليد تقاس حُسنـــا * بأخلاق النســـاء الوالـــدات(٣)

\# \# \#

---

(١) ديوانه ، ط ١ ، دار صادر بيروت ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، ١/ ٢٣٠ .

(٢) معروف بن عبد الغني الرصافي : شاعر العراق في عصره . من أعضاء المجمع العلمي العربي (بدمشق) ، ولد ببغداد ، ونشأ بها في " الرصافة " وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الرشدية العسكرية ، ولم يحرز شهادتها ، وتتلمذ لمحمود شكري الآلوسي في علوم العربية وغيرها ، زهاء عشر سنوات . واشتغل بالتعليم . ونظم أروع قصائده ، في الاجتماع والثورة على الظلم ...(تنظر : خير الدين الزركلي : الأعلام، ط ٣ ، مكان الطبع وبلد الطبع د ، ت د ، ٨ / ١٨٤ وتاليتها) .

(٣) ديوانه ، ط ٦ ، دار مكتبة الحياة بيروت ، محمود حلمي بغداد ، ١٩٥٧م ، ٢ /٣٤٩ .

(٣) مظاهر حب الأم لأبنائها :

الحُبُّ :" نقيض البغض،وهو الوداد والمحبة " (١) والحب عاطفة سامية،لها مقامها في تاريخ الوجدان الإنساني ، وليس هناك أسمى من حب الأم لأبنائها الذي يرفرف بأجنحته الخفّاقة على البشرية كلها،ويغمر بأضوائه البراقة الوجود كله.تتعهد أبناءها وتحرص عليهم منذ التفكير بالحمل فهي تتحرى أفضل الأوقات للحمل ، فتختار أيام الطهر ، وتتجنب منها ما يكون قبل الحيض مباشرة " ثم هي تفتخر بأنها ولدته بطريقة سليمة ، وليس منكساً ، وتحرص على رضاعته رضاعة طبيعية ، وبشروطها الصحيحة ، فتجعل فاصلاً بين كل حمل وآخر حتى لا ترضعه حليباً فاسدا ــ وهو الذي يكون أثناء فترة الحمل ــ ثم بعد ذلك تقوم بتربيته تربية سليمة جسمياً ونفسيا ، فهي تحرص على أن ينمو نموا نفسيا صحيحاً ، وذلك بأن تهدهده ، وتلاعبه ، وتضاحكه ،وتنميه على مسرة، ولا تنميه مستوحشاً مغموماً بسبب جوع أو ألم أو ضيق " (٢) ، " قالت ليلى الأخيلية للحجاج حين سألها عن ولدها وقد أعجبه ما رأى من شبابه : " إني والله ما حملته سهواً، ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلاً ، ولا أنمته منقاً " (٣)

ولا يتوقف دورها عند هذا الحد،بل إنها تظلله بظلال الحب والحنان، وتحيطه برعايتها، وتتحمل المشاق وتجابه الأخطار من أجله، حتى وإن كان ذلك في مقابل حياتها.

---

(١) اللسان : حبب .

(٢) أمل نصير : صورة المرأة في الشعر الأموي ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص٢٥١ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترحيني ، ط د ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٤-١٩٨٣م ، ٧ / ٤ ، يتنا : منكسا . (اللسان : يتن)، غيلاً : لبنا فاسداً ، (اللسان : غيل) ، منقا : باكيا (اللسان: مق) .

وهاهو الشاعر عبد الله بن إدريس (١) يصوّر لنا كيف تجلى عطف الأم على طفلها في مشهد يعجز من روعته الوصف، يقول في قصيدته " مأساة الطائرة" :

عطفُ الأمومةِ كم تجلى باهراً * في مشهد لا يحتويه إطـــارُ

أم على الطفل الصغير تكورت * شُحاً به أن تجتويه النـــار(٢)

جلّ الفداءُ على الأنام سوى التي * تفدى الجنين بروحها..تختار(٣)

" فالأم بفطرتها تواقة إلى أن يعيش بنوها ؛ لأنهم ثمرتها ، ويُضعّ منها ، ولأنها تجد في حياتهم حياتها مكررة ، وشخصها باقياً ، فهي ترى مباهج الحياة كلها في طفلها، وتحس من عظم فرحها وسعادتها به أنها لا تدانيها أم أخرى في فرحها وسعادتها بابنها " (٤)

ومن مظاهر شدة حب الأم لأبنائها ذكوراً وإناثاً ، أنها تخشى عليهم من قسوة الحياة، ومرارة الأيام، ومصادقة الأشرار، وتخشى عليهم أيضاً الانغماس في الملذات الزائفة، والاغترار بمتع الحياة الفانية، والسير وراء المجهول؛لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى الفساد والهلاك، من أجل هذا "وبحكم خبرتها بالحياة، وبحكم حبها الكبير لهم، وحرصها الشديد على نجاحهم، فهي قادرة على تقديم

---

(١) هو عبد الله بن عبد العزيز بن زامل بن إدريس ، ولد في قرية حرمة إحدى قرى مقاطعة سدير بإقليم نجد عام ١٣٤٩هـ درس على بعض كبار علماء نجد ، شغل عدة مناصب تعليمية وإدارية بوزارة المعارف وجامعة الإمام . ونشر ابن إدريس أشعاره في سن مبكرة . في صحف ومجلات سعودية وعربية ، ولكنه لم يُعن بجمع أشعاره في ديوان إلا مؤخراً وكان بعنوان : في زورقي ..(انظر : عبد الله بن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ، ط١ ، مطبعة دار الكتاب العربي مصر ، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م ، ص٢٨٨) .

(٢) شحاً به : شححت بك وعليك سواء : ضننت (اللسان : شحح) .

(٣) في زورقي ، ط د ، دار عالم الكتب الرياض ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، ص ١٩٥ .

(٤) أحمد الحوفي : مرجع سابق ص ١١٨ .

النصائح المخلصة لهم،ومتابعتهم في أمور حياتهم" (١) يقول الشاعر إبراهيم مفتاح (٢) في قصيدته " إليه " معبراً بلسان الأم خوفها على فلذات كبدها من الضياع والدمار :

خفقا حملتك في الوجدان يا ولـدي * ورعشـــة تعتري قلبي وفي جسدي

أخشـــى عليك أمـــانيّ التي ارتسمت * على محيّـــاك في أمسي ويوم غدي

أخشى عليك الشباب الغضّ إن هتفت * بك الرؤى وأماني عيشـــه الرغـد

حب بـداخل أعماقـــي يدغدغنـي * وآخر يلهب الإشفـــاق في كبـــدي

هنا حبـوت على صدري وفوق فمـي * قبلاتك البيض في إيقاعها الغـــرد

وهاهنا كنت في قربـي تمـــد يـدا * للخطـو أو ترتمي كيما أمدّ يدي (٣)

ونجد أيضا الشاعرة مريم البغدادي تصور مشاعرها وعواطفها تجاه ابنها عدنان، فهي تحبه حبا عميقا يصل لدرجة العشق والهوى . تقول في قصيدتها " قلب الأم " :

أنا أدري أنـــك عـــاديُ * لا حُسن يـــزيد عن الوصـف

لكنك في عينـــي بـــدرٌ * ومـــلاكٌ يسْحرُ لـــي طرفـــي

ربّتمـا يعجبُ من هـــذا * بعضٌ يتهامـــس مـن خلفـــي

. . .

---

(١) أمل نصير : مرجع سابق ص ٢٥٢ .

(٢) ولد في جزيرة فرسان عام ١٣٥٩هـ . تقلب في العديد من الوظائف التعليمية . له من الأعمال المطبوعة الكثير منها : عتاب إلى البحر ، احمرار الصمت ..(انظر : أحمد سلم : مرجع سابق ٣ / ٢٢٨ وما بعدها) .

(٣) إحمرار الصمت ، ط ١ ، دار الصافي للثقافة والنشر الرياض ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ، ص ٤٧ وتاليتها .

والحبُّ ضريرٌ وأصـــمُّ • ينساقُ لقلبـــي لا عقلـــي

فإذا أبصـــرت محـــاسنه • لا ذنب بأن أعشـــق طفلـــي

هو كـــلُّ حياتي ، أحلامي • ولذلك كُـــفَّ عـــن العـــذل(١)

ومثله قولها في قصيدتها " أمـــاه " :

أهواك وليـــداً مفتونـــاً • بوجـــودي بحنـــان الصـــدر

أهواك شبـــابا مقرونـــاً • بالنُجح وفي دنيـــا الفكـــر

أهواك قريبـــا يُسمعُنـــي • كلمـــات تُسعدُ لـــي عمـــري

أهواك بعيـــدا مشتاقـــا • لحنـــان الأم وللبـــرِّ (٢)

هذا هو حب الأم الصادق الأسمق ، به تتدفق مشاعر البنوة ،وبه تثمر الأخلاق والآداب ، وبه تسمو النفوس عن الصغائر والأضغان ، حبٌّ ألهج ألسنة الشعراء بأعذب القصائد والأبيات. يقول الشاعر عبد السلام هاشم حافظ عن هذا الحب في قصيدته "الحب...؟" :

من أودع الأم حسًّا صادق الدفق؟ • ترى بفلذتها ميلادا من الشـــرق ؟

من أفهم الطفل عطف الأمِّ ملتحمـــا • به..ومن دمها يروي ويستبقـــي؟

ـ فهو الحبيب المفدّى..بل ومهجتهـــا • وهي الأمومةُ تقديسٌ من الحقِّ ـ

الحب ضمّهمـــا للخلد وانتشـــرت • مشاعل النُبل في عزٍّ وفي صدق(٣)

---

(١) عواطف إنسانية ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٨ .

(٣) الأربعون ص ٣٠ .

" وعزيزٌ على الأم التي حملت وأرضعت وربّت وأمّلت ، وكانت نَجيّ ولدها ، ومفزعه في مساءته ، وشريكه في حبرته،وكان ريحانة نفسها وسر سعادتها"(١) ، عزيزٌ عليها أن يعقها ويجحد فضلها، وينكر حبها وعطفها، ويقابل أياديها الحسان بالجحود والنسيان،وأن يصعب لديه أمرها وهو يسير، ويطول عليه عمرها وهو قصير.

"والعقوق أصله من العقّ: الشق والقطع، وفي الحديث :أنّهُ- صلى الله عليه وسلم- نهى عن عقوق الأمهات ، وهو ضد البر، وإنما خصّ الأمهات وإن كان عقوق الآباء وغيرهم من ذوي الحقوق عظيماً ؛ لأن لعقوق الأمهات مزيةً في القبح" (٢)

" ويقيناً أنه لا حب يسامي حب الأم لابنها، فقد تخون الحبيبة، ويصد الأب ، ويجفو الأخ ، وتبغض الزوجة، ويتقلب الصديق،لكن الأم فوق هؤلاء جميعاً،لا ينضب معين حبها ولا يترنق ، ويكاد عفوها يسبق دائماً ذنب ابنها ، ولا تيأس من أن يعود إليها ابنها العاق فيندم على عقوقه، ويطلب منها المغفرة " (٣) ، وليتذكر العاق دائماً ما يجنيه عقوقه ، فهو سيعاقب في الدنيا بعقوق بنيه له ، وفي الآخرة بالبعد من رب العالمين،يناديه بلسان التوبيخ والتهديد ضمن من يقال لهم : (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)(٤) ، وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات "(٥) فالويل لمن عقّ أمه ونكر معروفها ، فإنهُ سوف يحمل وزرا فوق وزر، يقول الشاعر عبد الله بن إدريس في قصيدته" مأساة طائرة " :

---

(١) أحمد الحوفي : مرجع سابق ص ١٤٣ .

(٢) اللسان : عقق .

(٣) أحمد الحوفي : مرجع سابق ص١١٨ .

(٤) سورة الحج آية ١٠ .

(٥) الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين في الحديث ، ط د ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ٤ / ١٥٦ .

ويــلٌ لمن عــقّ الأمومة وارتضى * نكـــر الجميـــل.. فكسبــه أوزار

كــم راحل خــطّ القضــاءُ بلوحــه * سطــرا أخيـــرا وزنـــه أسفــار (١)

وكما هو معلومٌ " أن المرأة في الشعر العربي المعاصر ــ بصفة عامة ــ تشع بصور مكتنزة الدلالات،متنوعة الرؤى والأفكار، فلم تعد تلك الصور الحميمة صورة الأم والبنت والزوجة والحبيبة بمعانيها الحقيقية المباشرة فقط ،بل تحولت إلى معانٍ فكرية عميقة تتصل بالبقاء والخصب والوطن والانتماء والتجذر والحرية والمستقبل والهزيمة والعار والذل والهوية" (٢)، ونخص بالذكر هنا الأم ــ مجال حديثنا وإطار موضوعنا ــ فالأم لفظٌ متعدد الإيحاءات والدلالات ، وله عند العديد من الشعراء السعوديين إشعاعات خاصة، مع تباين في نوعية التوظيف والتوجه ، فقد يقصد به أحيانا الأرض أو الصحراء الحبيبة التي يحنّ إليها أبناؤها،ويشتاقون للارتماء في أحضانها ؛ ليبثوا لها شكواهم وأنينهم (٣) وقد يقصد به كذلك الوطن المغصوب الذي يستنجد بأبنائه المتخاذلين القابعين في قوقعة الذل والهوان ، المنكرين لأيادي وطنهم المعطاء ، العاقين له عقوق الابن الجاحد لأفضال أمه عليه . يقول الشاعر إبراهيم الدامغ في قصيدته " نداء الأم الثكلى إلى ابنها العاق..نداء الوطن إلى المواطن المتخلف المصلوب..":

في حــداد المــوت نادت * أين عشـــاق الخلــود؟

أيــن روّاد الأمـــــاتي * أيــن قـــوّاد البنـــود؟

أين من عاشــوا فكانوا * شعلة البعـــث المجيـــد؟

---

(١) في زورقي ص ١٩٥ وتاليتها .

(٢) لطيفة بنت عبد العزيز المخضوب : المرأة في الشعر السعودي " قبل النهضة وبعدها " ، ط ١ ، مطبعة سفير الرياض ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ص ٢١٩ .

(٣) انظر: الفصل الثالث من هذا المبحث " الغربة وبواعث الحنين للأم " ، وكذلك الفصل الرابع في غرض الشكوى والأنين .

أين ذاك الجيل جيل النـــ * صر والعهـــد السعيـــــد؟

أين للفـــــاروق ظـــــلٌ * وارف الأمـــس البعيـــــد؟

أين آمالـــــي وعـــزّي * للغـــد الحـــرّ الجـــديـــــد؟(١)

ومثله الشاعر أحمد سالم باعطب الذي عبّر عن عشقه المتدفق ، وحبه السخي للوطن المتألم الذي يئن من عقوق أبنائه له ، وقد جسّد هذا الوطن في صورة الأم منبع الحنان ونهر العطاء،الذي يعطي بلا مقابل ، ويمنح بلا عواق ، ويمد ظلاله الوارفة على أبناء ينعمون بخيراته دون أن يكلفوا أنفسهم مهمة الذود عنه وانتشاله من وهدة اليأس التي تخيم عليه . يقول في قصيدته " العقوق " :

أمَاهُ لا تحزني إن لملم العُمُرْ * صفو الحياة فأيّامُ الفتى عِبرْ

لا تحزني فالمُنى صبرٌ وتضحيةٌ * يطيبُ للطامحين المسلكُ الوعرْ

.....

إن عقّك اليوم من أوهى شجاعتهُ * دفءُ النعيمِ ففينا لم يزلْ عُمرْ

.....

قالت:عقوقُ أخيكم جذّ لي جلدي * أكادُ من حنقِ الأحزانِ أعتصرْ

قد كُنتُ أثرُهُ بالحب طامحـــــةً * إمّا دعوتُ إلى الهيجاء يبتدرْ

أطعمتُه عرقي أدفأتُهُ بدمـــــي * وصُنتُهُ وجحيم الجور تستعر (٢)

---

(١) شرارة القلب ص٤٦ .

(٢) الروض الملتهب ، ط ٢ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص٥٦ وتاليتها .

(٤) الأم الثكـــلـــى :

" الثكل: الموت والهلاك . والثُكل والثَكل بالتحريك :فقدان الحبيب،وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة زوجها؛وفي المحكم : أكثر ما يستعمل في فقدان الرَجُل والمرأة ولدهما؛ وفي الصحاح: فقدان المرأة ولدها" (١)

ولا شك أن كل أم يتأرجح قلبها مع أبنائها صغيرهم وكبيرهم ، ضعيفهم وقويهم حتى مع الجنين في بطنها قبل أن يستقبل أولى نسمات الحياة ، فهي تترقبه في منامها وصحوها أياما وشهورا بسعادة وغبطة ، وقد أعدت له الكساء وهيأت له جميع سبل الهناء. وهذه قصيدة" نظمت في حادثة واقعية وتجربة قاسيـــــة مريرة في ولادة تعســـرت لحفيدة الشاعر أحمد الغزاوي (٢) "بنت ابنته" بمكة ليلة٢٩/٣٠ رجب عام١٣٨٨ ، وهي أول ولادة لها،عوضها الله خيرا مما فقدت وألهمها الصبر على ما تكبدت وهو أرحم الراحمين"(٣)، والقصيدة بعنوان"مأساة ومواساة" يقول فيها:

حملتْ ولم تكُ قبل ذلك لابست * ألم (المخاض) بويله وثبوره(٤)

---

(١) اللسان : ثكل .

(٢) لقب بشاعر الملك عبد العزيز ؛ لملازمته لمديحه ، كما تابع بعد وفاته، مديح أبنائه من بعده إلى أن لقي ربه ــ رحمهم الله جميعا ــ ولد الشاعر عام ١٣١٨ بمكة، وامتدت به الحياة إلى منتصف عام١٤٠١ ، حيث وافته المنية في تلك السنة بمكة ــرحمه الله ــ نشأ الغزاوي بمكة تقلب في مناصب عدة، وهو أديب مخضرم، يكتب مقالات نثرية ، وينشر قصائد شعرية، وكان يواكب المناسبات، ويسجل الأحداث..(نظر :عمر المناسي : مرجع سابق ص٣٣ وما بعدها ، وانظر:عبد الله عمر بلخير ، و عبد المقصود محمد سعيد : وحي الصحراء ، ط ٢ ، تهامة جدة ، ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م ، ص ٦٧) .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ط ١ ، الناشر : عبد المقصود محمد خوجه جدة ، ١٤٢١هـــ ٢٠٠٠م ، ٤ / ١٥٦٨ وما بعدها .

(٤)لابست : عرفت،ولابست فلانا: عرفت باطنه.(اللسان: لبس) ، والثبور: الهلاك.(اللسان: ثبر) .

حسبتْهُ سهلا وهي في أطيافها * عُنيت بما تحبوه من تحبيره(١)

.....

وترقبتها ساعة مـــا مثلهـــا * في(الطلق)إلا الموت في توهيره(٢)

فاقتضَ يمخضُها وكلُّ فريصة * منها تكاد تجـــز مـــن تفزيـــره(٣)

.....

(الطب) فيها عاجزٌ متهيـــب * و(طبيبُهُ) متحيّـــــــرٌ بغـــروره

ورأى الضياء جنينها مستصرخاً * ممـــــا تخبّط فيه من ديجـــوره

.....

صرخت وأعيت وارتمت وتململت * بل جاء طوقها الحمام بنيره(٤)

و(الأم) في الوهن المضاعف همها * أن يسلم (المولود)بعد عبوره

فإذا بها تُمنى بما لم تحتســـب * من صمته وخُفاتـــــه ومصيره

.....

وتخرُّ مُجهشة فلـــولا أنهـــــا * رهن البلى لعدتْ إلى مقدوره(٥)

والشاعر بعد ذلك يدعوها بأن تتذرع بالصبر والجلد،وترضى بقضاء الله وقدره، والله ألطف وأرأف بعباده، فقد منحها ــ عزّ وجل ــ نعمة عظمى ؛ لأن صغيرها سوف يكون شفيعا

---

(١) تحبوه: العطاء بلا من ولا جزاء .(اللسان: حبا) ، تحبيره: النعمة وسعة العيش والسرور.(اللسان: حبر) .

(٢) التوهير: توهج وقع الشمس على الأرض .(اللسان : وهر) .

(٣) المخاض : وجع الولادة .(اللسان: مخض) ، الفريصة: لحمة عند نُغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع .(اللسان : فرص) ، تجز: تقطع.(اللسان : جزز)، التفزير: التشقق والتقطع. (اللسان : فزر).

(٤) النيرُ : الأصل فيها الخشبة التي تكون على عنق الثور بأدواتها ، والمقصود هنا القيد ، (اللسان : نير) .

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة ٤/ ١٥٦٨ وما بعدها .

لوالديه يوم القيامة.عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ : إنهُ قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحديث تُطيّبُ به أنفسنا عن موتانا. قال :قال:نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقّى أحدهُم أباه أو قال: أبويه فيأخذ بثوبه أو قال: بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال: فلا ينتهي حتى يُدخِلَهُ الله وأباهُ الجنة "(١) ٠

والجنين يعوض ــ بإذن الله ــ من أجل ذلك كان فقده أهون من فقد الأم ساعة الولادة، فالأم لا تعوّض ولو خلّف مكانها عشرات النساء. وهاهو الشاعر سعد البواردي ، يصف حال زوجة في الخمسين من عمرها ، قطعت مراحل حياتها، تحلم بالأمومة متمثلة في طفل يسعد دنياها ويغمرها فرحاً وبهجة ، وما إن كتب لها المولى ــ عز وجل ــ الحمل بعد خمسين عاماً وحانت ساعة الولادة،حتى امتدت يد المنون تأخذها لغفوتها الطويلة، وطفلها بجانبها يُطلق صرخاته الأولى إيذاناً بالقدوم والاستقرار في هذه الحياة،وقد صوّرها الشاعر أروع تصوير مأساوي تذرف له الدموع، ويتلظى القلب كمداً وحزناً . يقول في قصيدته " بكر الخمسين " :

ماتـــت . .وخلّفهـــــا الجنين

وقضـــت ..فودعهـــا الأنيـــن

كانـــت أمانيـــها " فتـــــــى"

منها . . تقـــر بـــه العيـــون!

.....

(١)النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، ط د ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، ت د ، كتاب البر والصلة والآداب ١٦/١٨٢، والدعموص: الدخّال في الأمور، أي فهم سوّاحون في الجنة، دخّالون في منازلهم لا يمنعون من موضع ، كما أنّ الصبيان في الدنيا لا يمنعون من الدخول على تحرم ولا يحتجب منهم أحد.(اللسان: دعمص).

قطعتْ مـراحـلَ عمـرهـا

تهفـو لـه عبـر السنيـن

.....

خمسـون عامـاً دون طفـل

ويـح مـاضيـهـا الخئـون

.....

حتـى إذا بلـغ الزُبـى

من يأسّهـا . . ضحك اليقيـن

وتلمسـت أحشـاءهـا

. .ربـاه ما هـذا يكـون؟!!!

خمسـون عامـا سوف تَنْجِبُ

بكـرها ؟! يا للجنـون !؟..

لكنـه ينمـو . . . وينمـو

فـي اطـراد مستبيـن

وإذا بهـا تلقـى بـه

ولـه صـراخ الغاضبيـن

.....

كانت لهـا منـــــه الـــوداع

وداعُ ملتـــاع حزيـــــــن

ذهبـت. .لغفـوتهـــا الطويلة

فـــي عـــداد الهـالكيـــن(١)

تلك هي المأساة العظمى ، حين يفقد الطفل أماً تعتني به وترعاه ، وتحتويه في أحضانها الدافئة بالحب والعطف ، وتغدق عليه قبلاتها ليل نهار ، وتتحمل بكاءه وأنينه وشكواه . فليس هناك أدفأ و أعظم من قلب الأم ، وليس هناك حبٌ يساوي حب الأم وعطفها .

ولكن قد تزداد المعاناة حزناً وأسىً، والألم عمقاً وحسرةً،إذا فقد الطفل الأب والأم كليهما، وهاهو الشاعر حسن القرشي وقد مرّ بتلك التجربة الإنسانية ، حيث فقد والدهُ وهو يتنسم أول نسمات الحياة . ففجّر ذلك في نفسه نغمات من الأسى والحزن، وبعد زمنٍ توفيت والدتهُ الحنون التي كانت ملاذه كلما ضاقت به الدنيا أو عبست في وجهه الأيام " وقد عرض الشاعر صورة اليتيم بشيء من الصدق الفني بعد أن التقط عناصرها، ومزجها بمشاعره وأحاسيسه الشاعرية " (٢) . يقول الشاعر في قصيدته " اليتيم" :

قُبلات الحنان عـــــزّت على الطفل * وكم هدهدت شجى في السرائر

والعيون اليقظـــى تخطّفهـــا البـــــ * ـــين وكانت عليه جدّ سواهر!

.....

---

(١) أغنية العودة ص٧٦ وما بعدها.

(٢) محمد عبده الشبيلي : الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، ط ١ ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة الرياض ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص ١٥٦ .

كم تمنّـــى لو يستجيبُ التمنـــــيَ * لدموع قد رقرقتها المحاجر!(١)

ولقد كان الشاعر صادقاً في نقل التجربة الإنسانية ، هذا الصدق الفني الذي يحمل القارئ والسامع على مشاركة الشاعر لحظة الألم والحزن، فتهتز القلوب ، وتتأثر النفوس عند استحضار صورة اليتيم التي نقلها الشاعر بما تستدعيه من معاني التألم له والشفقة عليه ، وقد دعا ذلك الشاعر سعد البواردي إلى أن يخاطب كل امرأة بأن تكون عوناً لكل يتيم ، فتسقيه من ثديها ، وتضمه في حضن الحنان والحب، فقد ماتت له أم رؤوم ، وتلقفتهُ يد المخاوف والمتاعب، فلتكن له أماً تغذيه حباً وعطفا ، وتمنحهُ البسمة والسعادة والأنس،يقول الشاعر في قصيدته "إلى إنسانة " :

اسقيه من ثدي الرضاع فأنهُ مسكين جائع...!(٢)

وضعيه في حضْنِ الحنان فقلبهُ المظلوم دامع !

ماتت لهُ أمُّ الرضا فتلقفتـــهُ يـــد الفـــواجع

وتسلمتْهُ يـــد العـــراء فماله وال.... وشافـــع

. . .

اسقيه من ثدي الرضـــاعِ...ولملمي أعواد حلمه

ودعيه يمرحُ كالصغارِ وقد طوى للأمس يُتْمـــه

ضميه صـــدرك في حنان وامنحيه اليوم بسمـــه

ودعي له أفق الطفولة يستجيـــــب بكل رحمـــه(٣)

---

(١) ديوانه ١/ ٢٢٥ .

(٢) " فأنه " هكذا في الديوان والصواب " فإنه " .

(٣) أغنية العودة ص ٦٩ . ونلحظ في لفظة " أسقيه " كما هي في الأصل ، أن الشاعر وغيره من بعض الشعراء ، كانوا يكتبون همزة الوصل على غير وضعها الصحيح، إذ يضعون تحت الألف أو فوقها همزة ، والصواب أن تكتب الألف بدون همزة .

والصورة نفسها نجدها عند الشاعر أسامة عبد الرحمن في قصيدته "يتيم" حيث يصف يتيما قد نبت البؤس والشقاء بأجفانه وأدمى مقلتيه ، وصارت حياته كلها ألماً وعذاباً . يقول فيها :

نبت البـــؤسُ بجفـــ * ـني وأدمـــى . . مقلتيـــّا

وسقاني مـــا سقانـــي * من أســـى .. شقّ عليّـــا

أين .. من يحضن آما * ـي .. ويرعـــاتـــي صبيّـــا

أين ..من يلمس جُرْحي * أين منـــــــي أبـــويّـــا

.....

إننـــي .. رغـــم قروحي * وجـــروحي .. سوف أحيـــا

سوف أحيـــا ..وطموحي * يبلـــغ الشـــأو القصيـــّا

كم أعـــز الله .. باليـــــ * ـتـــم . . رســـولا ونبيّـــا

ورعـــــى .. بين اليتامـــى * من سمـــــوا..فوق الثريّـــا..(١)

* * *

---

(١) شمعة ظمأى ص٨٧ .

الباب الثاني

قصيدة الأم رؤية فنية "

الفصل الأول : البعد الفكري للتجربة الشعرية

الفصل الثاني : إضاءات لغوية في الكلمات والصيغ

الفصل الثالث : البنية الفنية لقصيدة الأم

الفصـــل الرابع : الأم في دائرة التصوير البياني

والتفنن الأسلوبي

الفصل الخامس : التشكيل الموسيقـــي

الفصل الأول

البعد الفكري للتجربة الشعرية

البعد الفكري للتجربة الشعرية

التجربة الشعرية : " هي الحالة التي تلابس الشاعر ، وتوجّه باصرته أو ذهنه أو بصيرته إلى موضوع من موضوعات ، أو واقعة من واقعات الدنيا ، أو مرأى من مرائي الوجود ، وتؤثر فيه تأثيراً قوياً ، تدفعه في وعي أو غير وعي ، إلى الإعراب عما يرى أو يشهد أو يتأمل " (١)

" وقد حفل الشعر السعودي بمختلف التجارب الذاتية الفنية المؤثرة والمعبرة عن مواهب الشعراء ، وفنهم الشعري ، ومدى القدرة الشعرية المبدعة على تصوير خلجات النفس الإنسانية بتعبير فني صادق ،ونقل تلك المشاعر والأحاسيس إلى القارئ والمستمع نقلاً مؤثراً موحياً " (٢)

ومما يجدر الإشارة به ، أنه ليس بالضرورة " أن يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها ، بل يكفي أن يكون قد لاحظها وعرف بفكره عناصرها ، وآمن بها ، ودبت في نفسه حمياها " (٣) فقيمة التجربة تكمن في إجادة الشاعر حين أحسّ بعمق المعاناة التي ملكت نياط فكره ووجدانه .ففتقت كامن مشاعره وإبداعه عملاً شعرياً ،اتسم بالتنظيم المنسق لعناصر هذه التجربة ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول الشاعر عبد السلام حافظ يرثي أم نازك الملائكة . يقول في قصيدته " الفقيدة : أم نازك الملائكة " :

يا فؤادي مـــا الذي تشكـــــوه منّـــــي

هذه الدنيـــــا مزارٌ وارتحـــــــال

---

(١) مصطفى عبد اللطيف السحرتي : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، ط ٢ ، مطابع تهامة جدة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ، ص ٢٩ وتاليتها .

(٢)عثمان الصويتع : مرجع سابق ٢ / ٤٩٦ .

(٣) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ط د ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ت د ، ص ٣٦٤ .

أبلغـونـــا نعيهـا (أم نـــزار)

فاعترانـــا منه هـمٌّ وانفعـــال(١)

وعلى هذا المنوال أجاد بعض الشعراء السعوديين " إجادة فريدة في تصوير تجاربهم الشعرية ، والتعبير عنها ونقلها إلى القرّاء والمستمعين بلفظ دال وتركيب متماسك وإيقاع متناغم وتصوير موح يحمل الجميع على المشاركة الوجدانية " (٢)

ولا شك أن من أهم خصائص التجربة الشعرية الإخلاص لها والتفاعل معها كي يستطيع الشاعر أن يعبر بها عما يختلج في نفسه ويضطرب في وجدانه .

ويمكن القول إجمالاً إن شعر الأم من أصدق التجارب وأخلصها فهو ينبعُ من قلب الشاعر تجاه أقرب الناس إليه ــ فالأم ــ نبع الحب والعطاء ومصدر الوفاء والولاء ، فلا غرابة أن يكون الشعر فيها مشحوناً بالعواطف مليئاً بالأحاسيس ، لا سيما حين يكون في مجال الرثاء ، حيث تزداد الصلة بين الشاعر وأطروحته " الأمر الذي يُحدث تناغماً أوثق ، بين الشعر وموضوعه،ويرجع هذا بالطبع إلى قرب الشاعر من أقوى طرف من أطراف الحدث [وهي الأم الفقيدة] فالرثاء بعامة من أقرب الموضوعات للنفس البشرية ، فما بالك إذا كانت هذه النفس نفس شاعرة(٣)؟ وما بالك إذا كان الشاعر لا يرثي حاكماً أو قائداً أو عالماً ..إنما يرثي [أماً له] نكاد نجزم أن الصدق في تجربته الشعرية يتمثل في أكمل صورة " (٤)

ويظهر صدق التجربة أيضاً في " قدرة الشاعر على نقلها نقلاً فنياً للآخرين ، حيث يولد

---

(١) تنظر :الأعمال الشعرية الكاملة ، ط ١ ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٠٤-١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، ص٤٨٧ وما بعدها .

(٢) عثمان الصوينع : مرجع سابق ٢ / ٤٩٦ .

(٣) هكذا وردت بدون تنوين ، وصوابها (نفسا شاعرة) بالتنوين خبر كان .

(٤)منير صالح موسى يحي : رثاء الأبناء في الشعر العربي ، ط ١ ، مكتبة المنار الأردن ، ت د ، ص ٥٠ وتابعتها .

في نفوسهم المشاعر والأحاسيس ، التي لا تختلف كثيراً عن مشاعره وأحاسيسه ، وهذا النقل يميز الشاعر المبدع عن غيره من الأشخاص العاديين " (١) وتبرز هذه المقدرة الفنية عند الشاعر غازي القصيبي الذي استطاع أن ينقل لنا تجربة حقيقة له مع جدته حيث بلغه نبأ مرضها فقط حين كان على متن طائرة أقلّته إلى بيروت ولم يكن يعلم بوفاتها إلا بعد وصوله إلى الفندق ، عندها شعر لأول مرة بحقيقة اليتم ومعنى فقدان الأم . يقول الشاعر :

حبيبـــــــــتـــي

الليـــل مطـــــــروح علـــى الخيـــــام

وفـــــــي يـــدي رســـــالـــة

سطـــــورها تهتـــز في ضـــــوء النجـــــوم

حروفهـــا تطفـــو على الضبـــاب سرب بـــوم

رســـــالة تقـــول لـــي : سعـــــاد

ـ وفوقها عبء السقـــام والسنيـــن والحيـــاة ـ

تصـــارع السقـــــام والسنيـــن والفناء

سعـــــاد يـــــا همـــــوم !

. . .

حبيبـــــــــتي

الفجـــــر مصلـــوب علـــى الهضـــاب(٢)

---

(١) مخيمر يحي : مرجع سابق ص ٥٥ .

(٢) " مصلوب " يلاحظ أن هذا مما تسرب إلى الشعر العربي من عناصر التبشير المسيحي .

وطفلـــــك المشـــــــدوه محمولٌ مع السحاب

عينـــــــاه تسألان ..تســـألان ..ثم تصمتـــان

خـــــــوفاً من الجـــــــواب...(١)

استطاع الشاعر نقل تجربتهٔ بنجاح ، وعقد صلة وطيدة بينه وبين من يقرأ وصفه لتلك الساعات المؤلمة والأوقات العصيبة التي قضاها قبل علمه بوفاتها، وحرصه على استحضار الصورة في ذهن المتلقي وكأنها تحدث أمامه الآن .

ومما ساعد على تعميق التجربة، اتّكاء الشاعر على بعض التعبيرات المجازية،والصور البيانية. فسطور الرسالة تهتز في يديه على ضوء النجوم الخافت الذابل تعبيراً عما يعتمل في نفسه من قلق واضطراب ، وإذا بحروفها تطفو على الضباب سرب بوم . والضباب من العناصر التي تجسد معنى العتامة وعدم الشفافية ، والبوم من الطيور التي يحفل تاريخها بمثيرات الشؤم والتوجس ، والفجر المصلوب على الهضاب يبرز معاناة الشاعر وآلامه ، وطفلك المشدوه محمول مع السحاب . فهو طفل مسلوب لا إرادة له ولا عزيمة ، عيناهُ تلحان في السؤال ثم تنتهيان إلى الصمت ، صمت الحائر الذي لا يملك القدرة على الإجابة .

والقصيدة بأكملها ثمرة انفعال شعوري . تضافرت فيها المشاعر والتصورات والأساليب التي نجحت في استدعاء الخواطر وابتعاث عواطف الشاعر المختزنة .

ــ وكما هو معلوم ــ فإنه لا ينبغي أن يكون عمل الشاعر نظماً حرفياً لتجربته ، فالصدق في نقلها ليس الصدق الحرفي في نقل الواقع الخارجي بظواهره وشخوصه ، ولكن الصدق في تصوير ما يثيره هذا الواقع الخارجي .

---

(١) سيرة شعرية ، ط د ، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة الرياض ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، ص ٧٠ .

وللقصيبي قصيدة أخرى بعنوان " أماه" يعبر فيها عن تجربته باعتدال واتزان دون تكلف أو زيف .

يقول فيها :

وتضيـــع بسمتـــك السعيـــدةُ * فوق قفـــر مـــن شقـــائـــك

وأغيـــب عنـــك مع الضبـــاب * أعيـــش فـــي رؤيـــا لقائـــك

. . .

اليـــوم عـــدتُ .. فما وجدتُـــك * مـــا خففـــتُ إلـــى نـــدائـــك

والبيـــت مـــثل الأمـــس.. * لولا الفجـــر يسألُ عن سمائـــك

لـــولا الأسى طيـــرا يعشـــشَ * فـــي الســـتائـــر والأرائـــك

لولا الصغـــارُ على سريـــرك * يعجبـــون مـــن اختفائـــك (١)

فقد تضافرت الأبيات في توضيح تجربة الشاعر ، وتألمه لهذا المصاب الذي ملك إحساسه ومشاعره ، فجاءت معبرة أصدق تعبير عن هذه التجربة ، واستطاع الشاعر من خلالها أن ينقل المتلقي إلى جو المكان وواقع الأحداث ، رافدًا في ذلك سعة الخيال ونضج الفكر .

على أن هناك عنصراً هاماً من عناصر التجربة الشعرية لا يصح تجاهله ،ألا وهو العاطفة، فهي التي تنسب قول الشاعر إلى عالم الشعر،وهي التي تهذّب أفكارهُ ، وتكسبها الصبغة الأدبية(٢) وأهم ما يميز العاطفة صدقها وحرارتها ، ويراد بصدق العاطفة " أن تنبعث عن سبب صحيح ، غير زائف ، ولا مصطنع ، حتى تكون عميقة تهب للأدب قيمه الخالدة " (٣)

---

(١) معركة بلا راية ص ٢٧٩ .

(٢) انظر : مختار يحي : مرجع سابق ص٥٨ .

(٣) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، ط ٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م ، ص١٩٠ .

فالشاعر السعودي عندما يرثي والدته ، لا يبغي من وراء رثائه إلا التعبير عن موقفه وتجربته ومشاعره هو ــ بغض النظر ــ عن متلقيه،فيكون المحرك الأول هو جزع الشاعر وألمه لفقد أمه ، ويتبدّى هذا الجزع في صورة عاطفة حزينة نشعر من خلالها بفداحة الخطب وعظم المصاب . ويتمثل صدق التجربة الشعرية أيضاً ، في تعبير الشاعر عن حبه العميق لأمه وتقديرها،والاعتراف بفضلها ، والتغني بخلالها ، ووصفه الصادق لعاطفة الأمومة الفياضة كما في قول الشاعر سعد البواردي في قصيدته " أمي " :

أمـــــــومـــةً نـــــاطقـــــــة

أمينـــــــــةً ..رافقـــــــــــة

وجنـــــــــة..سـامقـــــــــة

بظلهـــا المـــــورق (١)

حيث عبّر الشاعر هنا عن مخزون وجدانه ، وعظيم حبه وولائه لأمه، فالشعر ــ بطبيعة الحال ــ هو " ما عبر عن مشاعر الإنسان وأحاسيسه الداخلية المستخفية ، واهتزاز عواطفه وامتلاء نفسه بالموضوع ، أي بالحدث أو المشهد أو الفكرة التي يريد أن يصورها ،اهتزازا عميقا وشديدا ، ثم يعبر عما أحس به وما ملأ وجدانه من عواطف وآلام وآمال وعن ذلك الأثر الذي تركه الحدث في نفسه تعبيراً فنياً وحقيقياً عن عواطفه ومشاعره وانطباعاته " (٢) وهذا ما دعا الشاعر محمد حسن فقي إلى أن يعرض لنا في رباعياته قصة شاب قابل جور والده وتصفه بالحلم والحب . فما إن دار بهذا الأب الزمان ، واعتراه الفقر والإملاق ، وتخلى عنه الصحب والخلان ، حتى لجأ إلى

---

(١) أغنية العودة ص ٦٨ .

(٢) عثمان الصوينع : مرجع سابق ٢ / ٤٨٦ .

ابنه طالباً منه العون والمساعدة ، فتلقفته يد البنوة الصادقة محاولة التخفيف عنه ومساعدته . ولم ينس هذا الابن البار فضل أمه العظيمة التي عانت من الأب الكثير والكثير ، فعبّر عما اختلج في وجدانه من حب ومشاعر فياضة تجاه والدته الحبيبة ،وقد امتلأت نفسه من حنانها وبرها وإحسانها. يقول الشاعر في ذلك :

سأقْسِمُ مالي وأُعطيكـــهُ . . وأعطيـــــك من مجـدي .. المستطـاع!

لأمـــي العقيلـــة ديـــنٌ ثقيـــلٌ * فقـد نوّلتنـــي كريم المتـــــاع!

حمتنـــي ولاقيـــت منهـــا الحنُـــوّ.. * ومن غيـــرها قد لقيت الصّـــراع!

ســـأذكـــر ما نلـــت من بـــرّهـــا.. *وأنسى اضطهـــاداً..وأنسى ارتياع(١)

ولا غرابة في ذلك لأن الفقيدة الأم هي أقرب الناس لقلب الشاعر ، وأعظم ما يحتويه فؤاده. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قصيدة الشاعر فؤاد شاكر " أنشودة الألم الحزين " وقد رثى فيها والدته وابنته . يقول في مقدمتها : " هذه النفثة الحزينة ، والأنة الكليمة ، هي زفرة موجعة ، وآهة ممضة تجلت في كلمات ، وتصورت في ألفاظ ومعاني (٢) . وهي قصيدة قلتها في أزمة نفسية حادة أرثي بها والدتي يوم اختطفتها المنية واختطفت معها طفلة رضيعة لي في عمر الورد وسنه الباكر وجماله الغض الناضر.. " (٣) ثم يبدأ الشاعر قصيدته على النحو التالي :

هـــو الحزن حتى ما تجف المدامع * وحتـــى يرد البين ما ليس راجـــــع

هو الحزن لا لـــوم اللوائم نافـــــع * وهيهـــــات لا رشد النواصح شافـــع

---

(١) الأصل الكاملة ٨ / ٤٣٠ ، الارتياع : الفزع (القاموس المحيط : روع)، وقد وردت هكذا في الديوان مراعاة للقافية ، والصواب " ارتياعا " .

(٢) هكذا وردت والصواب (معان) .

(٣) وحي الفؤاد ص ٢٨٧ .

وكيف ولو أن الذي بـــي من الأسى * تفرق في الآفـــاق ، غارت مطالـــــع

تحملت من دهري على طـــول يومـــه * من الهـــول ما تصطك منه المسامع(١)

ويختمها بقـــــــوله :

تركتكمـــــا عند الإلـــــه وديعـــة * وهيهـــات ما ضاعت لديه الودائـــع (٢)

وقد علّق على هذه القصيدة الكاتب " عبد الرحيم أبو بكر "(٣) فرأى أنها لا تخرج عن كونها قصيدة معارضة لعينية الشاعر لبيد بن ربيعة (٤) التي يقول فيها:

فلا جـــزعٌ إن فرّق الدهـــر بيننـــا * فكلُّ فتـــــى يوماً به الدهـــر فاجـــع

(وما النـــاس إلا كالـــديار وأهلهـــا * بها يـــــوم حلُّـــوها وغدوا بلا قـــع)

وما المرءُ إلا كالشهـــاب وضوئـــه * يحـــور رمـــاداً بعد إذ هـــو ساطـــع

.....

(وما المال و الأهلون إلا ودائـــع * ولابـــد يـــوماً أن تـــــرد الودائـــع)(٥)

كما قرّر أنها تفتقد أهم عنصر من عناصر شعر الرثاء وهو شبوب العاطفة وحرارتها .. حيث لم يستطع الشاعر أن يعكس على نفسه ظلال نفس حزينة تنوء بأشجان اللوعة والحرقة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٧ .

(٢) جريدة صوت الحجاز ص ٣ .

(٣) انظر : الشعر الحديث في الحجاز ، ط د ، دار المريخ الرياض ، ت د ، ص ٢٣١ .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، يكنى بأبي عقيل ، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم . ثم أدرك الإسلام ، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب ، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم ، ثم قدم لبيد الكوفة وبنوه ، فرجع بنوه إلى البادية بعد ذلك فأقام لبيد إلى أن مات بها .. (انظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمود شاكر ، ط ٢ ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٦م ، ١/ ٢٧٤وتاليتها) .

(٥) المصدر السابق ١ / ٢٧٨ وتاليتها .

والكمد في ثكله بأمه وابنته الرضيعة (١) ولكننا نرى في تعليق الكاتب قسوة غير خافية ، فالقصيدة وإن كانت معارضة لعينية لبيد بن ربيعة ، إلا أن فيها نفثات صادقة من الحزن والألم ، وزفرات موجعة ، وأنات سيطرت على أبيات الشاعر ، وكآبة اكتنفت مشاعره وعواطفه ، وإذا كان الكاتب ــ عبد الرحيم أبو بكر ــ قد وجد في القصيدة عوضاً عن شبوب العاطفة وحرارتها " حديث العقل الذي يفكر في إتقان الصياغة ، وتصيد الصورة الخيالية الغريبة " (٢) فإن ذلك أمرٌ مطلوبٌ من الشاعر ؛ لأن صدق عاطفة الشاعر هي التي تجعله يبحث لها عن صيغ موفقة دقيقة وصور مؤدية عميقة .

ويظهر صدق العاطفة كذلك في قصائد الشاعرة مريم البغدادي التي تنساب رقة وعذوبة ــ وكما هو معلوم ــ فإن المرأة أرق عاطفة وشعوراً من الرجل ، ويرجع هذا إلى طبيعة المرأة من حيث تكوينها النفسي والانفعالي .ومن شواهد ذلك ،قولها في قصيدة بعنوان " أموت ألف مرة":

لقــد نزلت دمــوعي فوق خدي * فقُلــــتُ أيــا دُمــوع ألن تكْفَــــي؟؟

فقــد أذبلت عينــي من بكـــاء * وهـــل دمعٌ لنــار القلــب يُطفـــي

وقد مــزقت قلبــي والمــآقــي * وقد قــــرَبت في هــذين حتفـــــي

ولو كانــت دمــوعي أو بكائــي * يُعيــدان الحبيـــب إلـــيّ إلفـــي

لكنــت بكيت طول الوقت حتــى * أرى عيني تسيـــل ببطـــن كفــي(٣)

وطالما تنوعت الأغراض الشعرية التي قيلت في الأم ، فهي ــ بطبيعة الحال ــ نابعة من

---

(١) قارن : أبو بكر : مرجع سابق ص ٢٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٠ .

(٣) عواطف إنسانية ص٩٤ .

تنوع عواطف الشعراء أنفسهم،وقد يتخللها عواطف أخرى تلائم عاطفة الغرض نفسه أو تقترب منه ، وفي ذلك يقول المبرد : " فأحسن الشعر ما خلط مدحاً بتفجع ، واشتكاءً بفضيلة لأنه يجمع التوجع والموجع تفرجاً ، والمدح البارع اعتذاراً من إفراط التفجع باستحقاق المرثي " (١) ويصدق هذا القول على قصيدة رثاء الأم ، فهي خاضعة لقبول عواطف ومعانٍ عدة تتواءم معها كالإشادة بمناقبها ، واتخاذ فقدها مجالاً رحباً يشمل فلسفة الموت والحياة .

و كذلك قصائد الحنين والشوق لرؤية الأم،حيث تتلون العاطفة الرئيسة بعاطفة الحب والوفاء ، ومثلها قصائد الشكوى والأنين التي تتمازج معها عواطف أخرى كعاطفة السخط على الأيام والدنيا والبشر أجمع. يقول الشاعر عبد الرحمن اليحيا في قصيدته " ألـــــم " :

ما عــاد يعجب في الأيـــام لذتها * ما يبــرئ النفــس ألحانٌ ولا طــرب

إن الذي عــاش في الأيام قمتهــا * لم يرضه اليــوم إلا النجــم والسحــب

أمشــي طريدا كــأن الخلق تمقتنــي* والأرض والكون حتى الأهــلُ والصحب

مشتت الفكر أقضي اليــوم مكتئبــا * كأنني من حــــداة الموت أقتــرب

أغــالب البحر والأمــواج تجرفنــي * كأننــي زورقٌ في البحــر يقتلــب

أعيش فيهــا بلا فكــر ولا قــدَر * لأننــي بين أهــل البيــت أغتــرب

أحيــا مع الهــم لا ينفــكُ يتبعنــي * كأننــي عاشــقٌ للهــم مصطحــب

.....

واحر قلباه يا أمــاهُ قد وهنــت * فيَ العزيمــةُ والإقــدامُ والشبــب

---

(١) المبرد : مرجع سابق ص ٢٧ .

واحر قلبـــــاه يا أمـــــاه قد ضعفـت • نفسي وروحي وزاد الهمُّ والنصبُ (١)

في هذه التجربة تتردد أفكار الحيرة والضياع والخوف من البشر وخباياهم . ولعل توجه الشاعر إلى التفكير في سرائرهم ومقاصدهم ، وما تطويه نواياهم من خبث وشر ، من أهم الأسباب التي نمّت الشعور بالقلق والتعب من الحياة ، واللجوء لأمه الحنون أعظم الناس قلباً ، وأشملهم حبا وعطفاً ، ليبثها همومه وشكواه . والشاعر استطاع أن يلف تجربته في وشاح من الألفاظ التي توحي بالضياع والخوف والسخط على الناس، وغيرها من الألفاظ التي تتواءم وتجربته الذاتية التي غمرت نفسه بالقلق والسأم ، وملأت روحه فزعاً ورهبة .

* * *

---

(١) الأجنحة المتكسرة ص ٢٦٦ و تاليتها .

الفصل الثاني

إضاءات لغوية في الكلمات والصيغ

١ــ المعجم الشعري :

٢ــ تنوع الأساليـــب :

(أ) الأسلوب الخطابي

(ب) أسلوب التكرار

(ج) أسلوب الحوار

(د) الأسلوب القصصي

٣ــ منابع الثقافة التي استقى منها الشعراء قصائدهم :

٤ــ استدراكات في اللغة والنحو :

إضاءات لغوية في الكلمات والصيغ

اللغة والأسلوب : توأمان لا ينفصم عراهما ،ولا يتصدع بناؤهما ، مرتبطان ارتباط الروح بالجسد، ويُعدان قالبيْن ثريين لمعانٍ جمة ، يتواءمان معها قوة وضعفا ، ورحابة وعمقاً ، متعددا الأطر واللينات ، ومآل هذا التعدد يعود إلى تباين منازع الشعراء ومشاربهم الثقافية واتجاهاتهم الفنية، إضافة إلى تفاوت المضامين والتجارب الشعورية التي تطرقوا إليها.

فاللغة ما هي إلا مجموعة من الألفاظ المشحونة بالمشاعر والأحاسيس ، التي " لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصا من التأليف " (١) وهذه الألفاظ في تلاحمها وتآلفها تُفرغ في قالب واحد ألا وهو الأسلوب،ونعني به " الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني .." (٢)

وكما هو معلوم فإن لغة الشعر تختلف تماماً عن لغة الحياة ؛لأنها تنبثق عن" نفوس حساسة بالضرورة تولد فيها حقائق الحياة والوجود ومظاهر الكون ــ انطباعات عاطفية، تثير مشاعرها ، وتحرك خيالها الذي يستطيع أن يقتنص الصور البيانية التي يسكنها انطباعاته وأحاسيس وجدانه .." (٣) من أجل ذلك فهي شديدة الارتباط بحالة الشاعر الشعورية ، وموقفه تجاه الحياة والناس ، ورؤيته لها ، لذا فقد تباينت هذه اللغة بين الشعراء ، وأصبح لكل شاعر قاموسه اللغوي الذي يرتكز عليه ، ويختار منه ما يعبر عن أفكاره ، ويؤدي معانيه وينقل تجربته الشعورية .

---

(١) الجرجاني : أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، ط ١ ، طبعته مطبعة المدني مصر ، ونشرته دار المدني جدة ، ١٤١٢-١٩٩١م ، ص ٤ .

(٢) أحمد الشايب : الأسلوب ص ٤٦ .

(٣) محمد مندور : الأدب وفنونه ، ط د ، دار المطبوعات العربية بيروت ، ت د ، ص ٣٧ .

ومما يلاحظ على لغة الشعراء السعوديين في قصائدهم لأمهاتهم ، أنها واضحة مأنوسة لكثرة ورود ألفاظها في الشعر العربي، وإن كان بعض الشعراء أحياناً يعمدون إلى اختيار ألفاظ جزلة غريبة تعبر عن تجاربهم الشعرية وتنقلها لنا نقلاً دقيقاً ،إلا أن ورودها قليل في أشعارهم التي تميل في الغالب إلى الوضوح والسهولة،وتبعد عن الكد والغرابة ، والشعراء في الوقت ذاته يحرصون على أن تكون لغتهم معبرة عن غرضهم ومؤدية المعنى المطلوب حتى ينفعل القارئ ويعيش في أجوائها ، وهم في ذلك لا يخرجون عما ذهب إليه النقاد قديماً حين رأوا من الضرورة " أن تقسّم الألفاظ على رُتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ؛ ولا هزلك بمنزلة جدّك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ،بل ترتّب كلاً مرتبته وتوفّيه حقّه، فتلطّف إذا تغزّلت، وتفخّم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرُّف مواقعه ؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدام ؛ فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه " (١)

ولذا فقد حرص الشعراء السعوديون على توطيد العلاقة بين مضامينهم الشعرية والألفاظ المعبرة عنها ، فجاءت ألفاظهم مأنوسة ، بعيدة عن الغموض والالتواء ، فإن رثوا أمهاتهم تدفقت ألفاظهم حزناً وكمداً ، وتقطرت رقةً وألماً ، ولا غرو في ذلك " فالرثاء يجب أن يكون شاجي الأقاويل مُبكي المعاني مثيراً للتباريح ، وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ .." (٢) وكذلك الحال في تصوير عاطفة الأمومة،فهم يعمدون إلى الألفاظ الرصينة التي تلائم أفكارهم،وتؤدي معانيهم المطلوبة،وتواتم مكانة الأم السامية،وهذا ما دعا إليه حازم القرطاجني في قوله عن غرض المدح

---

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ، ط د ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر ، ت د ، ص ٢٤ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، ط د ، دار الكتب الشرقية ، بلد الطبع د ، ت د ، ص ٣٥١ .

وما يجب اعتماده فيه من " السمو بكل طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف ، وإعطاء كلّ حقّه من ذلك ...ويجب ألاّ يمدح رجل إلا بالأوصاف التي تليق به ؛ ويجب أن تكون ألفاظ المديح ومعانيه جزلة مذهوباً بها مذهب الفخامة في المواضع التي يصلح بها ذلك ،وأن يكون نظمه متينا ، وأن تكون فيه مع ذلك عذوبة " (١) ويلاحظ أيضاً مدى سلاسة الألفاظ وعذوبتها ورقتها بشكل واضح في قصائد الحنين والشوق للأم ، وفي شكواهم وأنينهم وبثّ همومهم وأوجاعهم .

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ضرورة تآلف المعاني والألفاظ المؤدية لها .إذ يقول: " اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخصُّ وأولى ، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم ، وهو فيه أجلى " (٢)

وهذه العلاقة الوطيدة بين الألفاظ والموضوع مردها انفعال الشاعر تجاه أمر معين ، فهو يعدُّ قوة وجدانية تسيطر على النفس وتصحبها تغيرات جسمانية ظاهرة وأخرى عقلية باطنة ، واضطرابات عصبية من الممكن أن يلحظها الإنسان في نفسه وفي غيره، في أحوال الغضب والرضا ، والفرح والحزن ، والتفاؤل والتشاؤم ، والفزع والهدوء ، على تفاوت في الكم والكيف وفي طبيعة الانفعال لذة وألماً ، وبساطةً وتركيباً ، إلى غير ذلك ... وحينما تعرض اللغة لتصوير هذه الانفعالات تصويراً صادقاً يلائم طبيعتها ، تكون هذه اللغة موزونة حتماً لتكون عبارتها صدى لقوى العواطف والانفعالات التي تؤديها (٣) وقد استطاع الشعراء السعوديون أن يعبروا عن معاناتهم النفسية ، وتجاربهم الشعورية،وخواطرهم الوجدانية، من خلال قدرتهم على توثيق الصلة بين ألفاظهم ومعانيهم

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥١ .

(٢) الجرجاني : دلائل الإعجاز " الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز " ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، ط ٣ ، طبعته مطبعة المدني بمصر ، ونشرته دار المدني جدة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م ، ص ٥٧٥ .

(٣) انظر : أحمد الشايب : الأسلوب ص ٧٣ وتاليتها .

مما أكسب قصائدهم جمالاً وحيوية ،وتلك الصلة أو العلاقة التي ترى وتحسّ وتلمس بين المفردات ومعانيها كانت من أنجح الوسائل في إبراز المعنى وتأكيده .

١. المعجم الشعري :

مما يجدر التنويه به تنوع المعجم الشعري الذي سار عليه الشعراء السعوديون في إبراز أفكارهم وكشف الحجب عن مشاعرهم وعواطفهم تجاه أمهاتهم ، فمنهم من اتكأ على المعجم التراثي القديم وحافظ عليه وهم شعراء المرحلة الأولى ، وكانت مهمتهم في مطلع هذا القرن " مهمة ريادة وقيادة إذ كان على أيديهم إيقاظ الشعر من غفوته وتنبيهه من غفلته وإنشاطه من كبوته " (١) وممن يمثلون هذه الطائفة الشاعر فؤاد شاكر،فقد كانت قصائده رجع أصداء حقيقية لقصائد القدماء ، ومن ذلك قوله في قصيدته " أنشودة الألم الحزين " :

أحقا ثوت أمـــــي بدجوة موحـــش * من القفرلا تهفو إليه المسامع؟! (٢)

فلفظة " ثوت " منتقاة من خزانة الشعر القديم ، وهي صدى لقول الشاعر أبي تمام (٣) يرثي محمد بن حميد الطائي :

ثـــوى في الثرى من كان يحيا به الثرى * ويغمرُ صرف الدهر نائلَهُ الغمر (٤)

---

(١)محمد بن سعد بن محمد آل حسين :الأدب الحديث تاريخ ودراسات ط ٥، مطابع الفرزدق التجارية الرياض، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ٢/ ٥٩.

(٢) وحي الفؤاد ص ٢٨٧ ، ووقعت على القصيدة في (جريدة صوت الحجاز ص٣) مع تغير قليل في بعض الأبيات . يقول الشاعر :

أحقـــــاً ثوت أمـــــاه في بطن موحـــــش * من القفر لا تهفـــو إليه الصـــــــوادع

ويلاحظ أنه استعمل صيغة التذبة مع أن البيت ليس أسلوب ندبة .

(٣) أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج.. كان أوحد عصره في دباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه ، وله كتاب " الحماسة " التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره ، وغيرها من الكتب .. (انظر : ابن خلكان : مرجع سابق ١ / ١٩٧ وما بعدها) .

(٤) إيليا الحاوي : شرح ديوان أبي تمام ، ط ١ ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٦٧٣ .

وغيرها من الألفاظ القديمة التي احتوتها قصيدة الشاعر كلفظة " دكت ــ لعالع ــ الزعازع .. "(١) ويجاريه أيضا الشاعر أحمد الغزاوي الذي اتصف " أسلوبه بالجزالة والرصانة والقوة ناهجا به نهج القدماء " (٢) كقوله في قصيدته" حنان الأمومة " :

(بلاءً) تساقاهُ(البريءُ) وما جنـــى * وبثَّ به الأطواد تُكـــوى حجارُهـــــا(٣)

كأني إذ شاهدتُـــهُ في غيـــابـــــة * من البؤس شروى العاصفات اعتكارها(٤)

.....

وما هذه الدنيـــا وإن هي أمكنـــــت * سوى (فتنة) مهما ألـــحَّ اغترارها

عجبت لها ممكورةً وهي (ماكرٌ) * يصيـــح بها من جانبيها (بُوارُها)(٥)

وأعجب منها حرصُنا في(ابتسامها) * وما مثلُـــه في الغدر إلاّ (ازورارها) (٦)

فألفاظ : الأطواد ــ غيابة ــ شروى ــ اعتكارها ــ بُوارُها ــ ازورارُها ... هي من الألفاظ القديمة،وغيرها كثير مما اشتملت عليه هذه القصيدة ،وله قصيدة أخرى بعنوان " مأساة ومواساة" ومن ألفاظها : توهيره ــ شفيره ــ نيره..(٧) فهي مفردات استعارها الشاعر من قاموس الأقدمين، وقد كانت بعضها موغلة في الغرابة أحياناً .

---

(١) انظر: وحي الفؤاد ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٢) عثمان الصوينع : مرجع سابق ١ / ٢٨٨ .

(٣) الأطواد : الجبل العظيم ، (اللسان : طود) .

(٤) غيابة : مهبط أو قعر (اللسان : غيب) ، شروى : مثلها (اللسان : شرى)، اعتكارها : اختلاطها (اللسان : عكر) .

(٥) بوارُها : هلاكها (اللسان : بور) .

(٦) انظر : الأعمال الشعرية الكاملة ٤ / ١٦٩٦ وما بعدها ، الازورار عن الشيء : العدول عنه (اللسان : زور) .

(٧) انظر : المصدر السابق ٤ / ١٥٦٨ وما بعدها .

ويتعاون النسيج اللفظي مع باقي العناصر في منح القصيدة حقها من الصدق الفني والتحليق في عالم الفن . ومن الشعراء السعوديين من توخوا في أشعارهم مقومات الصدق الفني من فصاحة وعمق في التعبير وهم شعراء المرحلة الثانية الذين التزموا بأن " تكون التجربة والمعاناة منطلق قولهم ومنزع نظمهم ، فانطلقت مشاعرهم واحساساتهم في تهويمات شاعرية ترف في أفقها أجنحة الخيال وتتألق في أجوائها صور الجمال .... لقد ضربوا بشعرهم في كل سبيل واتخذوا من الصدق الفني والصبغ الجمالي خير دليل يرشدهم إلى الهدف المنشود والمستوى المقصود " (١) ومن أصحاب هذه الطبقة المحافظة الشاعر أحمد سالم باعطب الذي ظل محافظاً على قالب الشعر العربي القديم وفي الوقت ذاته لم يجاف الأفكار الجديدة،والمعاني الحديثة والصور البديعة بل صبّ فيه عصارة تجاربه وخلجات نفسه في قالب تقليدي جميل لا يقلل من مكانة الشاعر وقيمته ؛" لأن المعجم الشعري وثيق الصلة بالماضي وهذا على أي حال لا يفسد لغة الشاعر الأصيل " (٢) والشاهد على ذلك قوله في قصيدته

" أماه إنك لن تعودي":

تصتْ لما صنعت يدا ساعي البريد * صبغت بناتهما الليالي من وريدي

لم تحمــلا يا أمُ نعيــك إنَمــا * خرقت نصالهما الحداد قوى سدودي (٣)

ومن أصحابها أيضاً الشاعر علي زين العابدين في قصيدته " أنا يا أمُ مظلوم" :

شعرت النخس في حلقــي * وطعم المــرّ في فمــي

.....

---

(١) محمد آل حسون : مرجع سابق ٢ / ٦٠ وتاليتها .

(٢) أحمد كمال زكي : شعراء السعودية المعاصرون التاريخ والواقع ، ط ١، دار العلوم للطباعة والنشر ،المكان د،١٤٠٣-١٩٨٣م ص٦٢

(٣) أسراب الطيور المهاجرة ص ١٥٨ .

سقيـم هـائـــم مضنـــي * بـــريء بـــؤت بالرَجـم (١)

وكذلك الشاعر أسامة عبد الرحمن الذي سار على نفس المنوال ،وخطا على ذات الدرب .

يقول في قصيدته " يا جدتي " :

ما عاد في الوادي سوى أطلالـــه * ما عاد يغمره الربيع المؤنق

ما عاد بعد اللحـــن في جنباتـــه * إلا غراب البيـــن فيه ينعـــق

ما عاد يجري النبع فيه صافيـــا * وعلى مشارفه الجوانح تخفق(٢)

أما شعراء المرحلة الأخيرة فهم طبقة المجددين ، الذين جاوزوا تلك الأطر والتقاليد ونبذوا الأوزان المعروفة والقافية المتبعة في بعض قصائدهم ، وتوخوا التجديد في كل شيء، فجددوا في الفكرة والأسلوب وفي المضمون والتصوير الأدبي . ومن أبرز أصحابها :الشاعر غازي القصيبي، الذي يعد من أشهر الشعراء المجددين في الأسلوب والمضمون، وقد بزّ أقرانه من حيث الإنتاج والجودة ،وله العديد من القصائد التي تزخر بالموضوعات الحية والألفاظ الجديدة . ومن ذلك قوله في إحدى قصائده :

حبيبتـــــــــي

ضوء المطار يلســـع المـــــاء(٣)

وطفلك المشدوه موجتـــــان تنبضـــــان

بالرجـــــــاء والشقـــــــاء

---

(١) هديل ص ٢٠١ .

(٢) شمعة فماي ص ٨٥ .

(٣) " يلسع " هكذا وردت في الديوان ، وربما تكون اللفظة " يلمع " حتى يتناسب المعنى .

حبيبتـــــــــــي

الفندق الصـــاخب . . والصـــــديـــق

والســـــــــؤال والجـــواب

سكـــت يا حبيبتـــــي ..(١)

وقد وردت في القصيدة ألفاظ موضوعة في إطار جديد : " المطار ــ الفندق الصاخب .." وكذلك قوله في قصيدته " يا صحراء " :

وعـــدت إليك يا صحـــــــــراء * على وجهي رذاذ البحـــــــر

وفي روحـــي سراب بكـــــــاء * وطيفٌ سابـــحٌ في السحـــــر

وومض ضفيـــرة شقـــــــراء * وفي شفتـــيَ بيتـــــا شعـــــر

وأغنيـــــــةٌ بـــــلا أصـــــــداء (٢)

ففيها أيضا ألفاظ موضوعة في قالب جديد منها : "رذاذ البحر ــ سراب بكاء ــ وومض ضفيرة شقراء " والقصيدة حافلة بألفاظ أخرى مناظرة منها على سبيل المثال : " بمرساتي ــ جعبة التسيار.."(٣)ومن هذه الفئة أيضا الشاعر حسن القرشي في قصيدتيه " أمّاه " و " إلى أمي " (٤) وما

---

(١) انظر : سيرة شعرية ص ٧٠ وتاليتها .

(٢) معركة بلا راية ص ٢٦٢ .

(٣) انظر : المصدر السابق ص ٢٦٣ وتاليتها .

(٤) انظر : نداء الدماء ص ٦٨ وما بعدها ، وديوانه ١ / ٣٩٤ وتاليتها .

اشتملتا عليه من مفردات جديدة منها : " شذى طيوب ــ مائدة الخطوب ــ صدى الأديب ــ اللج الغضوب ــ جدّة العمر .. " وكذلك الشاعر إبراهيم فوده وقد سار على نفس المنوال في قصيدته " أمي " يقول فيها :

هــي شحنـــــة الحـــب التـــي (م) بلــغ الوجـــود بهــا ذراه

وكأنّــها فـــي الحـــي ســـــرّ (م) الكهربَـــــاء لمن وغــاه (١)

لـــــولا الأمومـــــة لم يعــش (م) طفـــل بـــلا صــدر رعــاه

حتى البديـــل مـــن الأمومـــة (م) جـــزؤهــا فيــما احتـــواه

ســـــر الحيـــاة حواه جنبــاها (م) وتسكبـــــه الشفـــــاه

وتشعـــــه منهـــا العيـــون (م) فيشمـــــل الدنيــا ضيـــاه(٢)

ومثله الشاعر صالح الزهراني في قصيدته " مواكب الجلال " و منها قوله :

وماذا سوف أشـــرح عن" فصـــول" * " دراماها " الأمـــومة والوئام (٣)

٢. تنـــوع الأســـاليـــب :

(أ) الأسلوب الخطابي :

يعد الأسلوب الخطابي من أبرز مميزات قصيدة الأم في شعر السعودي بكافة أغراضها ،

---

(١) انظر : مجالات و أعماق ص ١٤٦ .

(٢) " لمن وغاه " وجدت في الديوان بهذه الصورة وهذا خطأ مطبعي ، والصواب " لمن وعاه " من يعيه أي حفظه وجمعه ووعاه ، أما الوغى ــ وهو اسم ــ الصوت والجلبة في حومة الحرب .(اللسان : وعى ــ وغى) .

(٣) انظر : جريدة المدينة " ملحق الأربعاء " ص ٨ وتاليتها .

وربما كان هذا من أوضح المآخذ على كثير من تلك القصائد ، فالشاعر لم تتفجر أكمام شعره ، وتتدفق مشاعره وأحاسيسه ليخاطب قائداً أو عالماً أو فقيهاً من الفقهاء ، بل إنه يخاطب أعمق الناس حباً له ، وأصدقهم تجاوباً معه ، وأعظمهم تأثيراً فيه .

فالأم بؤرة تجربة الشاعر ، وأقرب الناس إليه يخاطبها ويناجيها ، ويبثها مشاعره وأحاسيسه معتمداً في هذا كله على ما حباهُ الله من أصالة وصدق فني وانفعالي " فيما يعبر عنه من مشاعر و أحاسيس ، إضافة إلى حذقه لأساليب العربية في أزهى عصورها الأدبية وأقواها لدى كبار شعرائها ، وقدرته على استنفاد ما في الألفاظ من طاقة باستغلال جانبها الجمالي ، مستثمرا ما تولده من إيقاع ، وصور ، وظلال ، وإيحاء " (١) ولذا تنوعت الأساليب الخطابية وتعددت أشكالها ومعانيها ، فتنقل الشعراء في قصائدهم ما بين أسلوب النداء ، والاستفهام ، والدعاء ، والأمر ، والتمني .. مما أضفى عليها قدراً من الحيوية والحركة المنسجمة مع ما تناولوه من معان مختلفة سواء كان حزنا أو فرحا أو مدحاً أو شوقا و حنينا... وقد كان أكثرها بروزا ، وأوسعها تداولا أسلوب النداء وخاصة في قصائد رثاء الأم .

والشعراء في رثائهم يخاطبون إنسانة عزيزة عليهم ، بعيدة عنهم ، قد طواها الردى ، وغطاها الثرى ، يشتاقون إليها ويحنون لرؤيتها ، وباستخدامهم لأسلوب النداء كأنهم يستحضرونها أمامهم ويجعلونها نصب أعينهم . من ذلك قول الشاعر فؤاد شاكر يرثي أمه :

أنـــاديك يا زين العقائـــــل والتقـــى * ويا خيـــر من ضمت سناه البراقـــع (٢)

---

(١) مفرح إدريس أحمد سيد : الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥ ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، ١٤٢٠- ١٩٩٩م ، ص ٢٤٢ .

(٢) وحي الفؤاد ص ٢٨٨ . والقصيدة وردت في " جريدة صوت الحجاز ص ٣ " مع ورود خطأ مطبعي في هذا البيت :

أناديك يا زين العقائل والتقى * ويا خير من ضحت سناه البراقع

ضحت والصواب ضمت .

وقد نهج الشعراء في استخدامهم أسلوب النداء طرقاً عدة، فمنهم من يناديها بصفة من صفاتها التي تتحلى بها كما في الشاهد السابق ، ومثله قول الشاعر إبراهيم فوده يمدح أم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

يا خير أم في الخليقـــة أنجبـــت * خير الأنام لخير شعب أسلما(١)

وقول الشاعر أسامة عبد الرحمن في قصيدته " رسالة إلى أمي " :

يا مثـــال الطهـــر هـــذي.. * أسطـــري تجثـــو لديـــك (٢)

ومنهم من يناديها باللفظة الحبيبة إلى نفسه أي بصيغة اسم الجنس الموضوعة لها لغويا " أم ــ أمي ــ أماه " مقترنة بالأداة ، فمما جاء بلفظ أماه قول الشاعر عبد الرحمن اليحيا في قصيدته " رسالة إلى أمي " :

سأبكيـــك يا أمـــاه ما عاش خـــافقي * وما ضـــل في روض الرياض دبيب

إذا كنت يا أماه أخطـــأت فاسمحـــي * ففي كـــل دهـــر مخطـــئ ومصيب (٣)

ومثله الشاعر غازي القصيبي في قصيدته " أماه " :

رمضان يا أماه أغبـــرّ * ما توضـــأ من إنائـــك

.....

والعيـــد يا أمـــاه يعثـــرُ * بالغبار على حـــذائـــك(٤)

---

(١) مجالات و أعماق ص ٦٤ .

(٢) شمعة فماي ص ١٠٨ .

(٣) الأجنحة السابحة ص ١٦٧ وتاليتها .

(٤) معركة بلا راية ص ٢٧٩ وتاليتها .

وما كان بلفظة " أمي " كقول الشاعر إبراهيم فلالي في قصيدته " على ضريح أمي " :

لقد أحسنـــت يا أمـــي إليّـــا * ولم أحســن بخـــردلـــة إليـــك(١)

وقول الشاعر طاهر زمخشري في قصيدته " أمـــــي " :

حنانيـــك يا أمـــي حبستك رحمة * فليس علـــيّ اليوم عتبٌ ولا وزْر (٢)

وما جاء بلفظة " أم " قول الشاعر محمد عبد القادر فقيه في قصيدته " قلب الأم " :

يـــا أمُ.. أحزانـــي عليـــك * غضـــا يكفّنـــه الرمـــاد (٣)

ومثله قول الشاعر عبد الرحمن اليحيا في قصيدته " يا أيها الطهر " :

يا أم إن تبكك الأكـــوان إن لهـــا * فيك الطهـــارة قد كانت ولم تـــزل (٤)

ومن الشعراء من تنحى عن استخدام الأداة واكتفى فقط بنداء الأم حتى تصبح وكأنها قريبة منه يخاطبها ويناجيها . يقول الشاعر غازي القصيبي :

أمـــاه : لو يقوى الخيـــال * لراح يهزأ باتطوائـــك

.....

أمـــاه : لو يقوى الخيـــال * لما سقطت أمـــام دائـــك (٥)

ومثله قول الشاعر محمد عبد القادر فقيه في قصيدته " أماه " :

أمـــاه .. يا واحةً غنّـــاءُ ناضرةً * الوردُ ..والزهرُ في أفنانها انعقدا (٦)

---

(١) طيور الأباطيل ص ٧٢ .

(٢) مجموعة قنبل " ديوان أنفاس الربيع " ص ٢٨٩ .

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة " صور وظلال " ص ٥٨٦ .

(٤) الأجنحة السابحة ص ١٦٩ .

(٥) معركة بلا راية ص ٢٨٠ .

(٦) المجموعة الشعرية الكاملة " صور وظلال " ص ٥٨٢ .

ومن الشعراء من يكني عنها بصفة يختارها لها بأسلوب نداء النكرة المقصودة كأن يقول : " يا واحة ــ يا جنة ــ يا حبيبة " ومنها قول الشاعر محمد عبد القادر فقيه في قصيدته " قلب الأم " :

يــا واحة بيـــــن الهجيـــر (م) حُنّوهـــــــا ما يستعـــــاد (١)

وقوله أيضاً في قصيدته " أمـــــاه " :

يــا جنة..من جنان الله قد بعُـدت * طال الحنين لها،والعمر صار سُدى (٢)

ومثله قول الشاعر غازي القصيبي في قصيدته " أمـــــاه " :

هذي القصيـــــدة يا حبيّبـــــة في * حنينـــي .. لا رثائـــــك (٣)

ومنهم من يناديها نداء المتعجب منها ، كأن يتعجب من عظم قلبها العطاء ، ومن عينها التي تفيض بالدمع لأحزانه و أوجاعه ، ومن لمس كفها التي تمنحه الدفء والأمان . ومن ذلك قول الشاعر محمد عبد القادر فقيه في قصيدته " قلب الأم " :

يا لمـــــس . كفيهـــــا على (م) جرحـــي .. الجبائر والضمـــاد

يا عينهـــا .. تبكـــي لأحزانـــي (م) ويجفـــوها الـــــرقـــــاد

يا قلبهـــا المعطـــــاء يـــا (م) كنزاً علـــى عمري جـــواد (٤)

وقد يلجأ بعض الشعراء إلى تكرار ندائهم في أغلب قصائدهم ، إما لغرض تقوية المعنى وتأكيده ، أو لإظهار الأسى والحسرة والألم بسبب فقد الأم ، أو لغرض الاستحضار.(٥)

---

(١) المصدر السابق ص ٥٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٨٣ .

(٣) معركة بلا راية ص ٢٧٧ .

(٤) المجموعة الشعرية الكاملة " صور وظلال " ص ٥٨٦ وتاليتها .

(٥) انظر : القصيبي : معركة بلا راية ص ٢٧٧ وما بعدها قصيدة " أماه " ، و باعطب : أسراب الطيور المهاجرة ص١٥٨ وما بعدها قصيدة " أماه إنك لن تعودي " ، والطشاوي : إلى حواء ص ١٤٢ وما بعدها قصيدة " أنت يا أماه " .

ومن الشعراء من نحا نحواً آخر ، فلم يخاطب الأم ، بل خاطب القبر الذي ضمّ رفاتها . يقول الشاعر محمد حسن عواد في قصيدته " في بيتها وعلى قبرها " :

يا فم الغيـــب ، كم ترى تبلع الذخـــ * ـــر الذي تم صنعـــه من دهـــــور

.....

لا تبالي ، يا قبر ، كم مهـــــج تفـــ * ـــنى حراراً في جوفـــك المسجور(١)

ومثله أيضاً الشاعر فؤاد شاكر في قوله :

ألا أيها القبـــر الذي ضـــم بضعتي * بربك ماذا أنت بالناس صانـــــــع

ألا رد لي أمـــي وفلـــذة مهجتـــي * فهل أنت يا قبر المحبيـــــن سامـــع؟(٢)

ونداء القبر هنا ينبئ عن لطائف وأسرار خاصة ، حيث كشف عن قلب مكلوم ، نهكته الأوصاب والكروب ، فاحتجبت أمامه الحدود والدروب ، وصار ينادي مالا ينادى ، ويسأل من لا يجيب .

وهناك أساليب أخرى استخدمها الشعراء غير أسلوب النداء منها ، أسلوب الاستفهام شأنهم في ذلك شأن الشعراء القدماء والمحدثين ، فهم حين يلجئون إليه لا يقصدون معناه الحقيقي وإنما يتجاوزون به إلى معانٍ مجازية أخرى يحددها سياق الكلام وفحواه ، كالتعجب ، والتهويل ، والإنكار ... وغيرها مما أسماهُ أبو هلال العسكري " تجاهل العارف ومزج الشك باليقين " (٣) ومن ذلك قول الشاعر عبد السلام حافظ في قصيدته " الشوق يا وطني " :

---

(١) ديوانه " نحو كيان جديد " ١/ ١٠٧ وما بعدها .

(٢) جريدة صوت الحجاز ص ٣ .

(٣) الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط د ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر ، ت د ، ص ٤١٢ ، وانظر أيضاً : عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، ط د ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ٢ / ٣٧ وما بعدها .

انقَّل الطـــرف . أين الأم ؟ أينهـــم ؟ * أهلي وموطننـــا الغالي وإخواتي ؟ (١)

ومثله قول الشاعر حسن القرشي في قصيدته " أمـــاه " :

أمَـــــاهُ : هـــل تصغين ؟ مـــــا * عودتتـــــي صمت الغريـــب

هـــــل تسمعيـــن نجـــاء مفـ * ـــجوع بمحبســـه الجديـــب(٢)

وأيضاً قول الشاعر غازي القصيبي :

أمـــاه : كيـــف الموت ؟! هـــــل * أرخـــى الستـــار على عنائـــك

.....

هـــل أسكـــت الغصـــص التـــي * كانـــت تولـــــول في دمائـــك؟

هـــل قال " دونـــك ! فـــانظـــري * صدراً يرحـــبَ بارتمـــائـــك "؟ (٣)

فالحيرة والألم إذا استبدتا بالإنسان جعلتهُ يعيش حالة من الهذيان ، تدعوه إلى طرح العديد من الأسئلة والاستفهامات التي يصعب الإجابة عليها أحياناً ، ويضطر الشاعر في الوقت ذاته إلى تكرارها في أبيات عدة . كما جاء في قصيدة الشاعر محمد حسن عواد " في بيتها وعلى قبرها " :

أهنـــا تنتهـــي الحيـــاة بـــإتســـا * ن عميق تأثيـــرُه في الحيـــــاة ؟

أهنـــا سحرهـــا الجميـــل يغطـــى * بالتـــراب النّـــديّ والظلمـــــات ؟

أهنـــا مهجـــعُ الهـــدى والتسامـــي؟ * أهنـــا موئـــد النُهـــى والأنـــــاة ؟

---

(١) الفجر الراقص ص ١٠٩ .

(٢) نداء الدمـــاء ص ٧١ .

(٣) معركة بلا راية ص ٢٨١ .

أهنـــا تتلف الحصافـــــة والطهـــــ * ـــر ، ويفنـــى التقى لدى الحشرات (١)

وغير ذلك من أساليب الاستفهام مما هو مفرق في ثنايا هذا البحث .

ومن الأساليب الخطابية كذلك ، أسلوب الدعاء ، وهو التضرع لله ــ عز وجل ــ وطلب المغفرة والرحمة للأم الرؤوم ، والدعاء لها بالجزاء العظيم ، والأجر الوفير ، فكم كابدت وعانت وتحملت أشد الأمور وأقساها ؟ لذا لجأ الشعراء إلى هذا الأسلوب الخطابي ، فراحوا يبثون من خلاله الدعوات الطيبة في قصائدهم ، راجين من المولى ــ عز وجل ــ قبولها واستجابتها . يقول الشاعر حسن القرشي في قصيدته " أمـــاه " :

ربـــــاه ، ثـمّ وديعـــــةٌ * في ظـــلّ برزخـــك العجيـــب

حطْهـــا برحمتـــك القـــريـــ * ـــبـــةِ ، أنت عـــــلامُ الغيـــوب ! (٢)

وكذلك قول الشاعر إبراهيم فوده في قصيدته " إلى أم أخـــي " :

نرجـــو لكِ الحسنـــى وندعو ربهـــا * حسن الختـــام ، وللختـــام جـــــلال

وإذا استجاب اللـــه فيـــك دعاءنـــا * شرب الدموع مع النســـاء رجال (٣)

ومثله قول الشاعر عبد الله المسعري في قصيدته " دموع و أشجان " :

فيا رب بوئها الخلـــود مع الرضا * لنَحمـــــدك اللهُمّ دوماً ونشكـــرا

وهبها نعيماً لا يحـــول ومنـــزلاً * بأعلـــى فراديـــس الجنـــان محبرا

لكِ اللهُ يا زيـــن الحرائـــــرِ إنّـــهُ * إلهٌ كريمٌ عفوه وَسِـــــعَ الـــــورى

---

(١) ديوانه " نحو كيان جديد " ١ /١٠٧ .

(٢) نداء الدماء ص ٧٤ .

(٣) تسبيح وصـــــلاة ص ٢٠٧ .

لك الله في كـــرب عليك وغُربـــــة * لك الله فيما قد قضاهُ وقدرا (١)

ومن شواعر النساء من استخدمت هذا الأسلوب،رافعة أكف الضراعة لله ــ عز وجل ــ بأن يحفظ ابنها،ويظله برحمته وغفرانه.تقول الشاعرة مريم البغدادي في قصيدتها " ظل الرحمة " :

الله يحفـــظ عُمـــرك الغالي الذي * أفـــديه عُمري يا حبيـــب المهجـــة

يحميـــك ربي ثمّ يأتيني بكُـــمْ * وعسى جميعـــاً نستظـــلُ برحمة(٢)

وتستمر الشاعرة في مناجاة ربها بدعاء صادق يظلله الحب والحنان . تقول في قصيدتها " عودة ابني " :

يا ربّ صُن ولـــدي وكُلّـــلْ هامـــهُ * بالعزّ والأمجـــــاد والإحســـــان

طمئـــن فؤادي عنْـــهُ يا نبـــع الرجا * هذا دعـــــائي يرتجيـــــه لسانـــي

وكذاك قلبـــــي قد دعا في لوعـــة * فامنُـــــن علـــــيّ برجعة العدنان

هبني حيـــــاة كي أراهُ بجـــانبـــــي * يغـــــــدو فتى الفتيان والأقران (٣)

ومن الأساليب التي تطرق إليها الشعراء السعوديون في قصيدة الأم ، أسلوب التمني وهو " طلب المحبوب الذي لا طمع فيه ؛ بأن يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول " (٤) وقد تعددت مسالك الشعراء في استخدامهم لهذا الأسلوب ، فمنهم من تمنى " بليت " كقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته " وفـــاء " معبراً عن وفاء أمه الحنون و إخلاصها في العطاء له والتضحية من أجله بعد فقده لأبيـــه :

---

(١) مجلة المنهل ٨ / ٨٤٨ .

(٢)عواطف إنسانية ص ٩٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٠ وتاليتها .

(٤) عبد المتعال الصعيدي: مرجع سابق ٢ / ٢٨ .

ليتـــك تصحـــــو ــ يا أبي ــ ساعةً * لكـــي ترى الإخـــلاص في قدره

لكـــي تـــرى مـــــرتع أحـــــلامنـــا * نستَـــروحُ الآمـــال من زهـــــره

لكـــي ترى أمّـــي على عهـــدهـــا * تُرضعُنـــــــا الإيمان من نهـــره(١)

ومن الشعراء من تمنى بـ" لو " كما في قول الشاعر حسن القرشي في قصيدته " أماه " :

لو تُفتدينَ سخـــــا الفـــــدا * ءُ من الجـــــــــوانح والقلـــــوب

وبـــــذلت روحـــــــي أتقـــــي * بطـــــش الـــــردى عند الوثـــــوب (٢)

ومثله قول الشاعر غازي القصيبي ، وقد تمنى لو كانت إرادة الموت بيده ، ليكون تحت الثرى مع جدته حين ماتت :

لـــــــو أننـــــا نمـــــوت عندمـــــا نريد أن نموت

كنـــــت لـــــــديـــــك فـــــــي التـــــــــراب (٣)

وقد لجأ الشعراء أيضاً إلى استخدام أساليب أخرى كأسلوب القسم وأسلوب والأمر ، ولكنهما أقل شيوعاً واستخداماً من الأساليب السابقة ، ففي القسم مثلاً نجد قول الشاعر فؤاد شاكر :

وتاالله لا أنســـاك مهما تقدمـــــت * سنـــــوكَ وانهالت علـــــيَ الفواجع (٤)

استخدم الشاعر هنا أسلوب القسم تأكيداً لحبه ووفائه لأمه ، وإخلاصه لها ، وأنه لن ينساها أو يجحد فضلها مهما تقدّم به العمر ، أو توالت عليه المصائب والنوائب .

---

(١) إلى حواء ص ٥٨ .

(٢) نداء الدماء ص ٧٠ .

(٣) سيرة شعرية ص ٧١ .

(٤) وحي الفؤاد ص ٢٨٨ .

أما أسلوب الأمر فنجده عند الشاعر إبراهيم فلاتي في قصيدته " على ضريح أمي " :

فنامـــــي في ضريحـــك واستريحـــــي

اريحـــــي الجســـم في قـــاع الضريح (١)

ففي البيت ثلاثة أفعال جاءت في صيغة الأمر المقصود به التمني ، وقد آثر الشاعر استعمال لفظة " الضريح " بدلاً من لفظة " القبر " مراعاة للقافية من جهة ، ومن جهة أخرى لأن " الضريح " هو " الشق في وسط القبر" (٢) فكأنه تمثل القبر بيتاً ، والضريح غرفة من غرفه ، وكأنه يتمنى لأمه أن تنام قريرة العين في سكن خاص بها ، وأن تريح جسدها في قاع هذا الشق . وليس هناك راحة أفضل من تلك الراحة التي يكون فيها الجسم ممدداً على أرض سهلة مطمئنة ، وذلك تعبيرٌ عن حب الشاعر لأمه وبره بها .

ومثله قول الشاعر عبد الله باشراحيل الذي طلب من أمه أن تكفكف دمعها عندما أزفت ساعة رحيله طلباً للعلم . يقول في قصيدته " أم عبد الله " :

كفـــي عن الدمع الحزين وخففـــي * من لوعـــة التـــوديع والتهـــويم

لا تـــدمعي عيناً ، ولا تبدي أســـىً * ففتـــاك توّاقٌ إلى التعليـــــم (٣)

وقد ينوع بعض الشعراء في القصيدة الواحدة ما بين أسلوب النداء والاستفهام والأمر أو الدعاء ، مما يضفي على القصيدة قدراً من الحيوية والحركة والانسجام .

* * *

---

(١) طيور الأباطيل ص ٧٢ .

(٢) اللسان : ضرح .

(٣) معذبتـي ص ٥٢ وتاليتها .

(ب) أسلوب التكـرار :

يعد التكرار من الأساليب المألوفة التي كثر تداولها في الشعر العربي القديم ، وقد أشار إليه بعض النقاد والدارسين قديماً وحديثاً (١)

" وعلى الرغم من أن التكرار كان معروفاً للعرب منذ أيام الجاهلية الأولى ، وقد ورد في الشعر العربي بين الحين والحين،إلا أنه في الواقع لم يتخذ شكله الواضح إلا في عصرنا [الحديث] . وقد جاءت على [أبنائه] .. فترة من الزمن ، عدّوا خلالها التكرار ، في بعض صوره ، لوناً من ألوان التجديد في الشعر " (٢) ولا يخفى على الناقد أن للتكرار دلالة نفسية قيمة تسلط الأضواء على أعماق الشاعر ووجدانه فتثيرها لنطلع على الغرض الذي قصده . فعندما " تلوح ظاهرة التكرار في النص الأدبي فإنها لا تلوح عبثاً ، بل تؤدي الدراسة الداخلية للنص إلى الوقوف على بواعث هذا التكرار الذي لا يأتي عفوياً ، بل يقصده الشاعر أو الكاتب،أي يقصده قصداً فنياً غير عامد أو ظاهر ، بل قد يصعب على الناقد الاهتداء إلى دوافع هذا التكرار عند الشاعر ،مهما وافقنا البلاغيين القدماء في بحثهم لظاهرة التكرار " (٣)

وظاهرة التكرار عند الشعراء السعوديين في قصيدة الأم ، يمكن أن نردها إلى نوعين من أنواع التكرار التي حددتها نازك الملائكة في دراستها " لأساليب التكرار في الشعر " (٤) وهما :

---

(١) انظر : العسكري : مرجع سابق ص ١٩٩ وتالييها ، وابن رشيق : مرجع سابق ٢ / ٧٣ وما بعدها ، ونازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، ط ٨ ، دار العلم للملايين بيروت ، تشرين الأول / أكتوبر١٩٩٢م ، ص ٢٦٣ وما بعدها ، ويوسف حسن نوفل : في الأدب السعودي " رؤية داخلية " ، ط ١ ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام الرياض ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ، ص ٨٩ وما بعدها .

(٢) نازك الملائكة : مرجع سابق ص ٢٦٣ .

(٣) يوسف نوفل : مرجع سابق ص ٩٠ .

(٤) قضايا الشعر المعاصر ص٢٨٠ وما بعدها .

(١) التكرار البيانـــي :

و " هذا الصنف من التكرار أبسط الأصناف جميعاً وهو الأصل في كل تكرار تقريباً .. والغرض العام [منه] هو التأكيد على الكلمة المكررة أو العبارة " (١) والأمثلة على ذلك كثيرة ، من بينها قصيدة الشاعر أسامة عبد الرحمن " يا جدتي " ، وفيها يكرر الشاعر كثيراً من الكلمات والعبارات : فقد تكررت كلمة " ماتت " سبع مرات في خمسة أبيات متتالية هي :

ماتت ويصفعنـــي البريد بموتهـــا • ماتت وتسحقنـــي الدموع..فأسحق

ماتت ولم تكمـــــل بقيـــة قصـــة • كنّا إلى أحداثهـــــا نتشـــوق

ماتت وفي يـــــدها الزهورُ نديـــة • ماتت وفي فمها الصباحُ المشرق

ماتت وتلجمنـــا الحقيقـــةُ مـــرة • ويشلُّنـــا القـــدر الخؤون..ويخنق

ماتت ويمضغنـــا الأسى في جوفـــه • والحزنُ فوق جفـــوننا..يتسلـــق(٢)

ونلاحظ هنا تكرار الكلمة بصيغة الماضي الذي وقع مصحوباً بتكرار آخر هو" واو الحال" ، حيث يصور الشاعر وقع الصدمة وأثرها ، ثم جانباً من حياة جدته ، ثم صورته في جماعته بعد الصدمة ،وبذا يؤدي التكرار معنى يمتد إلى الماضي و الحاضر و المستقبل ، المادي والمعنوي (٣)

ونجده أيضاً يكرر لفظة " ما عاد " ست مرات في أربعة أبيات متتالية :

ما عـــاد في الوادي ســـوى أطلالـــه • ما عاد يغمـــره الربيع المؤنـــق

ما عـــاد بعد اللحـــن في جنباتـــه • إلا غراب البيـــــن فيه ينعـــق

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٠ .

(٢) شمعة فماى ص ٨٦ .

(٣) انظر : يوسف نوفل : مرجع سابق ص ٩٦ .

ما عـــاد يسرى النجـــم عبر سمائه * ما عـــادت البشرى عليه تحلـــق

ما عـــاد يجري النبـــــع فيه صافيا * وعلى مشارفـــه الجوانح تخفق (١)

وفي القصيدة صورٌ أخرى من التكرار حيث تكررت " ما للعقيق " ثلاث مرات و" الحزن " أربع مرات.

والتكرار عند الشاعر أسامة عبد الرحمن " في قصائده ــ بصفة عامة ــ يرتبط بالصياغة الشعرية وبالحالة الشعورية ، أو الموضوعية ، ولكل أشكاله : تكرار مفردة ، وتركيب ، وعلم ، و أدوات ، ومعانٍ ــ ومرد ذلك في الغالب ــ التركيز على نمطية الإيقاع و رتابته وإفراغ الشحنة الانفعالية ، وكثيراً ما يعقب ذلك شيء من الاسترخاء مع التراكيب الطويلة . مع ما يحققه من عوائد دلالية ، وتأثيرية أخرى كتأكيد الاهتمام . والتكرار عنده لا يمثل ثراءً لغوياً ، بقدر ما يمثل حالة شعورية يعجز القياس ابتداءً عن استيعابها ، فتبقى الكلمة وبطريقة عفوية تتكرر في مطلع كل بيت حتى تستنزف هذا الشعور وتستفرغ هذا الملل ، يدفع إليها الحرص الملموس عنده على الوحدة الشعورية " (٢)

ومثله الشاعر أحمد سالم باعطب الذي كرر كلمة " أماه " ثماني مرات في قصيدته " أماه إنك لن تعودي " يقول فيها :

أمـــاه إن ناديت عـــودي لن تعـــــودي * بعدت مسافاتي وما وضحت حدودي

أمـــاه منذ رحلت حالفنـــــي الأســـــى * وخبا البريق بمنزلي وذوت ورودي

.....

أمـــــاه كنت لي اللحـــــاء فكيف يـــو *رق بعد نزعكِ في خريف العمر عودي

---

(١) شمعة فماي ص ٨٥ .

(٢)حسن فهد الهويمل : النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ط ١ ، مطابع النادي الأدبي الرياض ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م ، ص١١٥ .

أماه فضّلت الرحيـــل على البقـــاء * هنـــا فكنت سفيـــرة الرأي الســـديـــد

.....

أماه عصرك بالجديـــديـــن ازدهـــى * وحديث أيامـــي بـــلا فجـــر جـــديـــد

أماه ما أخلفـــت لـــي وعـــداً وإن * عبثـــت بي الأيـــام كـــاذبـــة الوعـــود

أماه كنـــت الروضـــة الغنـــاء لـــي * أماه إن ناديـــتُ عودي لـــن تعـــودي(١)

ومن الملاحظ أن أسلوب التكرار في قصائد الأم أكثر ما يكون في الرثاء وذلك بهدف إظهار التحسر والأسى والتوجع ، وقد تنبه صاحب العمدة إلى ذلك حيث قال : " وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ؛ لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع " (٢)

وقد يخرج أسلوب التكرار من الرثاء إلى أغراض أخرى متنوعة ، فنجد مثلاً الشاعر غازي القصيبي يكرر كلمة " حبيبتي " أربع مرات ، تأكيداً على حبه العميق ، ووفائه النبيل لأمه الرؤوم . يقول :

حبيبتـــــــــــي

الليـــل مطـــــروح على الخيـــــام ..

حبيبتـــــــــــي

الفجـــــر مصلـــــــوب على الهضـــاب..

حبيبتـــــــــــي

ضـــــوء المطـــــار يلمـــع المـــاء..

---

(١) لسراب قطوف المهاجرة ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) ابن رشيق ٢ / ٧٦ .

حبيبتـــــــــــي

الفنـــــــدق الصاخـــــب ..والصديق ..(١)

وكذلك يكرر الشاعر محمد إبراهيم جدع كلمة "أمـــاه " ثلاث مرات في أبيات منفصلة من قصيدته " أمومة " التي صاغها على لسان أحد شباب المجتمع ، يتوجه فيها بعتاب رقيق لأمه على إسرافها في تدليله حال حياتها :

أماهُ قد أمعنـــــت في إيذائـــــي * بحنانـــــــك الفيّاض في إنشائي

أمـــاه لو كبـــرت بناتُ مقاصدي * ونشأتُ بالتّـــــــوجيه في إنمائي

أمـــاه ما نيل الفخـــــار طراوةَ * وميـــوعةً تجنـــي على الأبنـــاء (٢)

على أن تكرار العبارة قد يقصد منه تسليط الضوء على نقطة حساسة فيها والكشف عن اهتمام المتكلم بها (٣)ومن نماذجه،قول الشاعر عبد الرحمن اليحيا في قصيدته "رسالة إلى أمي " :

سأذكر يـــا أماه بالفخـــر والدا * نقيـــاً طهـــــــوراً في الزمان لبيـــــب

سأذكر يـــا أُمَاهُ حبـــاً عرفتـــهُ * وقلبـــاً رؤوفـــــاً للإلـــــهِ قريـــــــب

سأذكر يـــا أماه بالبـــر مؤمنـــا * لهـــا من حجاهـــا فـــارسٌ و أديـــب (٤)

فالغرض من التكرار هو التأكيد على أن رحيل الأم لن يكون سبباً في نسيان الشاعر لأفضالها عليه وعواطفها نحوه بل سيكون عاملاً مساعداً على استحضار شريط الذكريات لكل تلك

---

(١) سيرة شعرية ص ٧٠ وتاليتها .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ص ٦٧ .

(٣) انظر : نازك الملائكة : مرجع سابق ص ٢٧٦ .

(٤) الأجنحة السابحة ص ١٦٧ .

الحياة العريضة التي نعم فيها بأسمى معاني الحب والحنان في كنفها وتحت رعايتها .

ويكرر الشاعر أيضاً في قصيدة أخرى بعنوان " ألم " عبارة " واحرّ قلباه يا أماه " خمس مرات في خمسة أبيات متوالية هي :

واحرّ قلبـــاه يـــا أمُاه قد وهنـــت * فيّ العزيمـــــة والإقـــــدامُ والشبـــــب

واحرّ قلبـــاه يـــا أماه قد ضعفـــت * نفســـي وروحي وزاد الهـــم والنصـــب

واحرّ قلبـــاه يـــا أمُاه قد عصفت * نارُ الضيـــــاع وفـــي الأحـــــداق تلتهبُ

واحرّ قلبـــاه يـــا أماه قد عصفت * نارُ الضيـــــاع وما يكفـــي لهـــا النســـب

واحرّ قلبـــاهُ يـــا أماه ما عرفـــت * روحي الضيـــاع لعطـــفِ الله أرتقـــــبُ(١)

وهو في تكراره لتلك العبارة يلح على إبراز ما أصاب حياته بعد رحيلها من تغير وتحول ، وما ألمّ به بعد غيابها من ضياع وتشتت، وأنها كانت سنده القوي الذي يلجأ إليه في الملمات ويحتمي به عند الشدائد ، وربما يؤكد هذا تكراره لعبارة " نار الضياع " في بيتين متتاليين ثم اتباعها بكلمة " الضياع" في البيت الذي يليهما .

ونجد كذلك الشاعر سعد البواردي يوجه نصيحته لكل أم ذاقت طعم الأمومة ، وعاشت في خصبها الروحاني ، بأن تكفل اليتيم المعتر الذي هو أعوز ما يكون إلى صدر أم تحنو عليه ، وترعاه كما ترعى وليدها ، لذا يكرر عبارة " اسقيه من ثدي الرضاع " ثلاث مرات في قصيدته " إلى إنسانة " ويقصد من ذلك تذكير تلك الأم بصغر ذلك اليتيم وحاجته إلى ثدي يغدق عليه لبن الرضا والهناء ،فلبن الرضاعة ــ كما يشير علماء النفس ــ من أكبر الروابط بين الوليد وأمه،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٧ وتاليتها .

حيث يتم التواصل بينهما بعد الولادة ، فجسمه ينمو على ما تمده به من عصارة حياتها ، فضلاً عما توفره عملية الاحتضان أثناء الرضاعة من توافق نفسي يستمر معه طوال حياته ويساعده على التمتع بحياة هادئة مستقرة (١) يقول في قصيدته :

اسقيـــــه من ثدي الرضـــــــاع فأنه مسكين جائـــــع ..!

اسقيـــه من ثدي الرضـــــــاع .. ولملمـــي أعواد حلمه ..

اسقيـــه من ثدي الرضـــــاع وجففـــــــي بيد دموعـــه (٢)

(٢) تكـــرار التقسيـــم :

وهو تكرار " كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة من القصيدة " (٣) ومنه نوع آخر " يرد فيه التكرار في أول كل مقطوعة " (٤) ومن نماذج النوع الأول من هذا التكرار قول الشاعر إبراهيم الدامغ في قصيدته " نداء الوطن " ، وفيها يكرر الشاعر نداء (الأم الوطن) لفلذات كبدها ، مستجدية استجداءً شبه يائس بأن يمنحوها البذل والعطاء ، وتحقيق النصر والظفر على الأعداء :

بنـاتـــي أين حقّـــــــي يا بناتـــي * أخبـــراً صغتموهُ إلى الـــــرواة ؟

أمْ التعـــريضُ بالنعـــرات يوفي * لحـــق ذاك رأس المـــوبقـــــات

---

(١) انظر : محمد جميل منصور ، وفاروق سيد عبد السلام : النمو من الطفولة إلى المراهقة ، ط ٤ ، تهامة جدة ، ١٤١٠هـ ـ١٩٨٩م ، ص ٢٢٠ومابعدها

(٢) أغنية العودة ص ٦٩ وتاليتها .

(٣) بارك لملائكة : مرجع سابق ص ٢٨٤

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٤ .

سلـــوا من كان يُفْديّنـــــــي بعــزم * أَبــيٌ يستطيب لظى الممات؟ (١)

حيث يختم المقطوعة بتكرار العبارة نفسها التي ابتدأ بها :

بناتـــــي أين حقـــي يا بناتـــــي ؟

ويتبعها بمقطوعة أخرى يقول فيها :

غرست لكم بكفـي خيـر غـــرس * وسقـــت لكم بلا ثمـن سراتـي

وأودعـت المجاهـل من كنـوزي * وحمّـلت المـواخـــر بالهبـات

وصغـت لكـم عقـود الـزهر حتى * دعيتـم بالأشـــاوس والأُبـــاة

.....

فهـل عـرف البنـون حقـوق أم * روت بالحـــب مغـــروس النواة

ثم يختم الشاعر قصيدته بنفس العبارة التي اختتم بها المقطوعة الأولى :

بنـــاتي أيـــن حقـــي يا بنـاتـي ؟ (٢)

أما النوع الثاني ، فمثاله تكرار الشاعر طاهر زمخشري عبارة " حنانيك أمي " في أول مقطوعتين من مقاطع قصيدته " أمـــي " يقول فيها :

حنانيـك أمـــي لا عقوق ولا نُكـــــرُ * ولكنهـــا الآلام في قبضتـــي سفر

قرأت به الآيات تُفـرى حشاشتـــي *ويُعشى بها طرفي ويُطوى بها العمـــر

فمن مقلتـــي الدمعُ السخين سحـــائبـاً * على الخد يهميهـا فؤادٌ هو البحـــر(٣)

---

(١) شرارة الثأر ص ٣١ وتاليتها .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٣) وردت في الديوان هكذا (سحائباً) بالتنوين لضرورة الشعر والصواب (سحائب) بلا تنوين ، وسيشار إليها في الملاحظات اللغوية في الاستدراكات في اللغة والنحو .

ثم يبدأ المقطع الثاني بنفس العبارة التي بدأ بها المقطوعة الأولى :

حناتيـــك أمّي فالهمـــــومُ تـــلاحقت * ولولا البـــلاءُ المرّ ما حيّـــر الفكر

قساواتُ آلام ، وشكـــوى متـــاعـــب * وينْهشُني من وقعهـــا النابُ والظُفرُ

فإن قلت : صبراً عاث بالصبر عاصفٌ *يجرعنـــي كأساً ثمالتها الصبـــــرُ (١)

وبالرجوع إلى القصيدة كاملة في الديوان ، نلحظ أن النص الشعري حافل ببصمات نفسية معبرة عن أزمة الشاعر ، وإحساسه المؤلم الذي طال عليه الأمد ، وكأني به يعض أصابع الندم والحسرة بسبب مآل والدته ودخولها (مستشفى الصحة النفسية) ، ولكن ما كان بيده أن يفعل وقد نهشته الهموم والأحزان ، وأرقته المدامع والعبرات ، وهو يرى أمه تهذي بما لا تعي ، وتفعل ما لا يُعقل ، فلم يجد لهذا الأمر بُدّاً إلا أن يقيها نفحة المس، ويدثرها بلباس الرحمة والرأفة ، ويقبل بدخولها المستشفى .

واستهلال الشاعر بعبارة " حناتيك أمي " في بداية المقطوعة الأولى من النص ، ثم تكرارها في بداية المقطوعة الثانية ، كل هذا كان له وقعه الملموس في إفضاء مشاعر الحب والحنان من جهة ، وإلحاح يستل مرارة الجحود والنكران من قلب الشاعر من جهة أخرى .

وتتنوع استخدامات الشعراء السعوديين لأساليب التكرار ، فمنهم من يحرص على تكرار بعض الصيغ والأدوات والحروف . والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها تكرار الشاعر عبد السلام حافظ لأداة الاستفهام " أين " ست مرات في خمسة أبيات . يقول في قصيدته " الشوق يا وطني " :

أنقّـــل الطرف . أيـــن الأمُ ؟ أينهـــم * أهلـــي وموطننـــا الغالـــي وإخوانـــي ؟

أين الصحـــابُ الكـــرام الصيد تنْظُمنا * مجالس الأنس في صفـــو وتحنـــــان ؟

---

(١) انظر : مجموعة النيل " ديوان أقداس الربيع " ص ٢٨٨ .

أين المشـــاهدُ من دار الرســـول بهـــا * معـــاهدُ الفضلِ والتقـــوى وألحاني

.....

أين العبيـــر يغذّينـــــي إذا خشعـــــت * جوارحي في مناجاتـــي بإيمـــاني؟

أين المـــرائي التي كُنّـــا نُعانقُهـــا * وتحتوينـــا بإحساسٍ وأجفـــان؟(١)

في هذه الأبيات تتبدّى غربة الشاعر من خلال صيغة الاستفهام " أين " وتكرارها الدؤوب ، فهي تحتل بؤرة شعوره وانفعاله ، ساقها الشاعر في موجات متلاحقة ، ودفقات وجدانية متتابعة ، يستقطب من وراتها الماضي التليد بشخوصه وأحداثه ، ويستدعي الذكريات الجميلة أملاً في استحضارها من جديد لتبدد من عالمه اليأس الكئيب ، فربما كان إحساس الشاعر بالغربة وتكاثف أجواء الأسى حوله مدعاةً لأن ينظر للحياة بسوداوية قاتمة ، فلا الزمان هو الزمان ، ولا المكان هو المكان ، ولا الأهل ــ لذةُ الشاعر وهناؤهُ ــ هم الأهل .

ونلمح هذه السمة الأسلوبية أيضاً عند الشاعر إبراهيم صعابي في قصيدته " إلى حبيبتي أمي " وفيها يكرر أداة الاستفهام " كيف " ثلاث مرات في ثلاثة أبيات . حيث يقول :

كيـــف أنســـاك وقد أفنيـــت عمـــراً * ترسميـــن الحب حولـــــي والأمـــان(٢)

كيـــف أنساك وفي قلبـــي هـــــوى * صاغه النـــور وحروفـــاً من لساني (٣)

كيـــف يا أمّـــاهُ أنســـى قبلـــــةً * ويـــداً كلّ مُناهـــــا في احتضـــــاني (٤)

فهنا نلحظ ثمة خطرات وجدانية صادقة،حاول الشاعر رصد آثارها من خلال جملة تساؤلات

---

(١) الفجر الراقص ص ١٠٩ وما بعدها .

(٢) هكذا وردت " الأمان " والصواب " الأماني " حتى تنسجم موسيقى البيت .

(٣) هكذا وردت " صاغه النور وحروفاً " ، الواو هنا غير مستساغة ، والصحيح " صاغه النور حروفاً " حتى يستقيم المعنى .

(٤) أحمد المعافا : فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بجيزان ١/ ٤٧ .

تتخطى مقتضى الظاهر؛ لينقب عبرها عن سر حبه لأمه التي تلتقي فيها شتى المشاعر والأحاسيس من حنان وشفقة ورعاية وعطاء بلا حدود .. ومن أجل تقرير هذه الحقيقة وخلودها ألح الشاعر في تكرار أداة الاستفهام " كيف " مصحوبة بتكرار آخر هو الفعل المضارع " أنسى " إلحاحاً يومئ إلى اتصهار عواطف الأمومة وعظيم فعالها في بوتقة فكره ووجدانه ، ورسوخها للأبد .

ويكثر هذا الأسلوب عند الشعراء السعوديين في قصائدهم لأمهاتهم التي سبق الحديث عنها في مناسبات مختلفة من هذا البحث .(١)

وقد يكرر بعض الشعراء الضمير، كضمير الشأن " هو " . يقول الشاعر فؤاد شاكر في مطلع قصيدته " أنشودة الألم الحزين " :

هو الحزن حتـــى ما تجـــف المدامـــع * وحتى يـــرد البين ما ليـــس راجـــع

هو الحزن لا لـــوم اللوائـــم نافـــــع * وهيهـــات لا رشد النواصح شافع(٢)

استهل الشاعر قصيدته بضمير الشأن " هو " ، وهذا الاستهلال يعطي طابع الإيقاظ والتنبيه . فالشاعر قد ربت أحزانه وآلامه حتى اجتاحت أسوار الفكر ومحت معالمه .من أجل هذا أراد أن يلفت الانتباه لفداحة هذا المصاب، وعظم هذا الخطب ، فجاء بالضمير " هو " مكرراً لينبه السامع أو القارئ ويمهد لما سيأتي بعده من بوح نفسي أليم .

أو تكرار ضمير المخاطب " أنت " . كما في قول الشاعر إبراهيم العلاف في قصيدته " المرأة " :

---

(١) ولمزيد من الضوء انظر على سبيل المثال :الدامغ :شرارة الثأر ص ٤٦ " قصيدة نداء الأم الثكلى إلى ابنها العاق ، يكرر الشاعر أداة الاستفهام أين ست مرات ، والقصيبي معركة بلا راية ص ٢٧٧ وما بعدها " قصيدة أماه ، وفيها يكرر الشاعر أداة الاستفهام هل خمس مرات " ، والعواد : ديوانه " نحو كيان جديد" ١/ ١٠٧ " قصيدة في بيتها وعلى قبرها ، تكررت أداة الاستفهام الهمزة خمس مرات .

(٢) وحي فؤاد ص٢٨٧ .

أنـــت أسمـــى من الهـــوى المعثـــار • أنـــت أم عظيمـــة المقـــــدار

أنـــت نصـــف الحياة ، بل ثُلُثـــــاها • وانبعـــاث الشريـــــك للأوطـــار

أنـــت وحـــي الفنون ، أنت هداهـــــا • أنـــت لطف مشـــوق الأســـرار

أنـــت مجلـــى أنـــاقـــة و جمـــال • أنـــت رمـــز الســـلام والإيثـــار(١)

فقد كرر الشاعر الضمير " أنت " ثماني مرات في أربعة أبيات متتالية ، وفي ذلك تأكيد على مكانة المرأة وعلو شأنها،خاصة حين تكون أماً عظيمةً تؤدي جميع واجبات الأمومة تجاه أبنائها،

ومثله أيضاً الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته " أنت يا أماه " وفيها يكرر الضمير " أنت " ست مرات في خمسة أبيات متتالية هي :

أنت ــ يا أمـــاه ــ أنشـــو • دة عطـــف ووفـــــاء

أنت عنـــوانٌ عظيـــــمٌ • في سجـــل العظمـــاء

أنت مهّـــــدْتِ طـــريقـــي • أنت أكمـــلت بنـــائـــي

أنت ــ يا أمـــاه ــ نبـــــرا • سٌ جـــلا بالنـــور دربي

أنـــت عطـــفٌ بـــــدّد الآ • لام ، عن صفحـــة قلبي (٢)

وتكرار الضمير " أنت " في هذه القصيدة يُشكل مرتكزاً وجدانياً ، يوفر للشاعر مجالاً للبوح عن رواية الحب والعطاء ، وسجل العظماء والأوفياء ، وقد بدت ماثلةً في خصال أمه وفعالها ، سردها الشاعر من خلال الضمير " أنت " متلاحقة متنامية بعواطفه الجياشة التي يقرر من خلالها أن لذة الحياة وسعادتها تكمن في قلب الأم الزاخر بأنفس المشاعر وأنبل الصفات .

---

(١) ديوانه ص ٩٢ .

(٢) إلى حواء ص ١٤٤ وتاليتها .

ويلجأ بعض الشعراء إلى تكرار اسم الإشارة " هنا " (١) ، أو " هذي " كما في قول الشاعر حسن القرشي في قصيدته " أماه " :

هــذي الحيـــاة نعيـشُ عـــا * لمهـــــا على وهـــم كـذوب

هــذي الحـــياة وثـــمّ مســـ * ـبحُنـا على اللُّـــــجّ الغضوب(٢)

فالشاعر هنا يخرج من عمق اللحظة شارداً متأملاً في حقائق الحياة ومفارقاتها ، وقد هاله أن يرى البشر يكدحون ويمرحون ، غير عابئين بذلك العالم المجهول ، والمصير المحتوم . وقد استدعى ذلك التأمل جنوح الشاعر جنوحاً تشاؤمياً يائساً من الحياة ، تولد من حزنه وجزعه لفقد أمه الذي كان نهاية مطاف لكل شيء . فكان استخدام الشاعر لاسم الإشارة " هذي " للتعبير عن حياته وما يكتنفها من أوهام ، فيه إيحاءٌ بتجسيم المعاني وتصويرها بصورة محسوسة ؛ حتى يعطيها صفة المصداقية والإقناع المستمر ، وزاد من شأن ذلك تكرار اسم الإشارة تأكيداً على خداعها وزيفها .

ومن الشعراء من يكرر الحرف في بعض أبيات القصيدة ، كتكرار الشاعر إبراهيم فلالي حرف " الحاء" أربع مرات في بيت واحد من قصيدته " على ضريح أمي " :

فنامـــــي في ضريحـــك واستريحـــي

أريحـــــي الجســـم في قاع الضريح (٣)

فحرف الحاء من الأصوات " الرخوة المهموسة التي يسمع لها نوع من الحفيف عند النطق بها"(٤)

---

(١) انظر مثلا : العواد : ديوانه" نحو كيان جديد" ١/ ١٠٧ ، " قصيدة في بيتها وعلى قبرها ، وفيها يكرر الشاعر اسم الإشارة هنا اثنتي عشرة مرة " .

(٢) نداء الدماء ص ٧٣ .

(٣) طيور الأباطيل ص ٧٣ .

(٤) إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩م ، ص٨٧ .

ولما كان غرض الشاعر رثاء أمه النابع عن عاطفة رقيقة ، ومشاعر صادقة كان لصوت الحاء وإيحاؤه ، وتكراره ، وقعه المهموس الذي يتلاءم وغرض الرثاء . ومثله الشاعر علي زين العابدين حين كرر حرف السين في قصيدته " أنا يا أم مظلوم " . يقول :

فحسبـــــي منك تحنـــان * دواء قـــد شفـــى كلمـــى

سيُنسينـــي شقا عُمـــري * وما قد ذقـــتُ مـــن لطْـــم

ســـأنســـى ظلـــم أولادي * وما بثّـــوه فـــي عظمـــي

سأرويهـــم بـــإحسانـــي * بكـــل العطـــف والحِلـــم

سأهديهـــم برضـــوانـــي * بكـــلِّ الفضـــل و الرُّحـــم

سأعفـــو عـــن عداوتهـــم * ولن أقسُـــو و لـــن أرمـــي (١)

كرر الشاعر حرف السين في القصيدة عدة مرات ، والسين حرف هامس ، ربما يعطي المستمع دلالة التنفيس عن خلجات الشاعر ومكنوناته ، وبث شكواه وآهاته .

* * *

---

(١) جدول ص ٢٠٥ وتاليتها .

(ج) أسلـــوب الحـــوار :

وهو من الأساليب التي تضفي على الشعر حيوية وحركة ، وتنفي عنه " الرتابة والجمود بما تضفيه من حياة وحركة حين يتنازع أطراف الكلام أكثر من شخص"(١) ويعتبر عنصرا قوياً في عرض الانفعالات والدوافع والعواطف ، لذا تحاور الشعراء مع غيرهم من الأشخاص والظواهر الطبيعية الأخرى داخل النص الشعري ، وتبادلوا معهم أطراف الأحاديث سواءً كان المخاطبون أمهاتهم أو أبناءهم أو ذواتهم . . أو غيرهم ممن حولهم، وممن يرمزون لهم . وقد أطلق بعض النقاد على هذا الأسلوب (المراجعة) ، يقول ابن حجة الحموي : " ومنهم من سمى هذا النوع ــ أعني المراجعة ــ السؤال والجواب وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ، ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك ، وألطف معنى وأسهل لفظ إما في بيت واحد أو في أبيات " (٢) ومن نماذج ذلك، محاورة الشاعر طاهر زمخشري لمن حوله في قصيدته " غلبت على أمري " :

وأسألُ من حولي : أ نامتْ ؟ فقيلَ لي : * نعم إنّها نامت وإنك يقظـــــانْ

فقلت : إذن سوّوا عليها غطـــاءهـــا * ففي صدرها من وقدةِ الداء نيرانْ

ولكنها أغفتْ ولم تصـــــح بعدهـــا * فقالوا : عزاءً ، قلت : ذلك بهتانْ

أ سطوةُ عادي الموت غال شبابهـــا ؟ * فوا لهف نفسي ثارَ للموتِ عدوانْ

يقولون لي : ماتت . فقلتُ : أنا الذي * أموتُ ، وحسبي أنّ قلبي أســـوانْ

---

(١) عبد القدوس الأنصاري : يزيد بن مفرغ الحميري ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٣٩٦- ١٩٧٦م ، ص ١٥٨ .

(٢) ابن حجة الحموي : خزانة الأدب ، شرح : عصام شعيتو ، ط ٢ ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، ١٩٩١م ، ١ / ٢١٨ .

يقولون لي : ذابت فقلت : أنا الذي • أذوب ، ونوب القلب نوح وأشجان (١)

نسج الشاعر من خيوط الألم والحزن قصيدته تلك ، وقد توشحت بسلسلة من الحوارات المتنامية التي قامت على ثنائية الصوت (صوت منكر) و (صوت مقر) فالشاعر ينكر الغياب الأبدي لزوجته وأم بناته،ومن حوله يقرون بذلك محاولين إقناعه،والقصيدة يتخللها جملة من المتناقضات والتساؤلات التي تعبر عن صراعات نفسية ممضة ،وثورات وجدانية هائجة تموج في ذاته . لقد أراد الشاعر أن يصف حاله المتردي تحت وطأة اليأس ، ومرارة الفراق ، فابتدع هذا المشهد الحواري الذي يكشف عن حيرته ومرارته ، وعن خواطره وانفعالاته .

ويتماثل هذا الموقف المأساوي للشاعر طاهر زمخشري مع موقف الشاعر عبد الرحمن اليحيا حيث يمضي ــ تمشياً مع أسلوبه ــ عبر البنية الحوارية ، فينسج قصيدة بعنوان " رسالة إلى أمي " إلا أن هناك ثمة مفارقات بين معاناة الشاعرين ، فنجد الشاعر طاهر زمخشري يخالطه الشك باليقين في حقيقة موتها ، أما الشاعر عبد الرحمن فيقر بفناء عمر والدته ورحيلها ، بينما يظل ذكرها وحسن فعالها عمراً ثانياً لها . يقول فيها :

يقولون ماتت قلت ماتتْ ولم تمت • وفي القلب منها سائلٌ ومجيب

فوالله لن يفنى وان عشت ذكرها • من القلب ما خـطَّ الرثاء خطيـب

تداعى عليها الدهر فاصفر لونها • وما كـان إلا صابـر ومنيـب

تنادى عليها الطب من كـلِّ جانب • فأعيا شفاها قـارئٌ وطبيبْ ..(٢)

وكذلك يبرز الأسلوب الحواري عند الشاعرة مريم البغدادي وابنها عدنان ، حين سمعت صوته على سماعة الهاتف في قصيدتها " مكالمة هاتفية " :

---

(١) مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع " ص ٢٨٠ .

(٢) الأجنحة السابحة ص ١٦٤ وما بعدها .

وسمعت صوتـك يا بُنيّ بهاتـــف * ويقول : يا أمـــي السلام عليـكم

فرددتُ : أهـلاً يا بنـيّ ومرحـباً * بـك من فؤادي إنني لمُتيّـم

قل كيـف حالك ؟ قُلْ وطمئن خافقي * إني أنـوءُ بلـوعتي أتـألـم

يا من شغـلت الفكر حدّثني ، أجـل * إني مشـوقٌ يا بني ومُغـرم

بك يا حبيبـي ، قال : كُفّي واهدئي * إني بخـير ،طيّـبٌ و منعـم

لا تقلقـي يا أم إنـي قـادمٌ ، * ومتـى ؟؟ سألت ، فقال :حالا أقدم

وفرحت من قلبي ، وقمـت بسرعة * لأُعِـدّ ما يهفو إليه القـادم

زيّنتُ داري بالـزهور وبالشـذى * عطّرتُ أرجـائي وكنتُ أتمتـم

وأضأت شمعا كي يراقص فـرحتي * وبدأتُ أشـدو للقـاء أترنـم(١)

.....

وطرقـت بابي فارتعشتُ وقلتهـا : * أهـلاً حبيبي ، واحتضنتك والدم

قد عاد في جسمـي وردّ الروح لي * حين احتضنتك يـا بُني ، أتعـلم

هذي الحقيقة والأمومـة رحمـةٌ * ومتى تجـد أمًّا تجدْ من يرحـم (٢)

يلاحظ أن القصيدة جملة شعرية كاملة ، تقوم على أساس من البنية الحوارية ، التي نلمح من خلالها ملمحاً درامياً تتوالى فيها المشاهد ممزوجة بالحيوية والحركة لتنمو الفكرة التي قصدت الشاعرة إلى إبرازها عمداً من خلال النص، وهي الإفصاح عن مدى تعلقها بقرة عينها وحبيبها

---

(١) " للقاء " كان في إمكان الشاعرة حذف الهمزة حتى تنسجم موسيقى البيت .

(٢) عواطف إنسانية ص ٩٧ .

عدنان ، وإفضاء الشوق واللهفة التي اكتنفت مشاعرها . ويجاريها أيضا الشاعر عبد الرحمن العشماوي الذي أجرى حواراً مع أمه في صورة تساؤلات متتالية ، لكن الأم التي يعنيها هنا ليست الأم بمعناها الضيق المحدود،وإنما هي الأم بالمعنى الذي يسع جميع الأبناء ويشمل كافة المنتمين ، (الأم ــ الوطن)بأرضه الطيبة التي تنادي كل من نبت على ثراها أن يتقدم لنصرتها والذود عنها . يقول في قصيدة له بعنوان " عندما يتحدث الجرح ــ حوار بيني وبين أمي " :

أمّي تُساءلُنـــي تبكـــي من الغضـــب * ما بال أُمّتُنـــا مقطوعـــة السَّبـــب ؟

ما بال أمتنـــا فلّـــتْ ظفـــائـــرها * وعرّضت وجههـــا القمحيّ للّهـــب ؟!

ما بال أمتنـــا ألقـــتْ عبـــاءتهـــا * وأصبحت لعبةً من أهون اللّعـــب ؟!

ما بالُ أمتنـــا تجـــري بلا هـــدف * وترتمـــي في يدي بـــاغ ومغتصـــب؟!

.....

أمـــي تُساءلُنـــي . والحزنُ يُلْجِمُنـــي * بُنيّ مـــالك لم تنطق ولم تُجـــب؟!

ألست أنت الذي تشـــدوا بـــأمتنـــا * وتدّعـــي أنها مشدودة الطُّنُـــب؟!(١)

وتدّعـــي أنها تسمـــو بهمتهـــا * وتدعـــي أنها مرفوعـــةُ الـــرُّتـــب ؟!

بنـــي ، قـــل لي ، لماذا الصمت في زمن *أضحى يعيش على التهريج والصّخب؟!

.....

أمـــاه .. لا تسألـــي إني لجـــأت إلى * صمتي ، لكثرةِ ما عانيتُ من تعبـــي

إنـــي حملت همـــوما ، لا يصوّرها * شعـــر ، وتعجز عنها أبلغ الخطـــب

---

(١) " تشدوا " وردت هكذا في الديوان ، والأصل " تشدو " الواو أصلية من بنية الكلمة وليست واو الجماعة .

ماذا أقول ؟، وفي الأحـداث تذكـرةٌ * لمن يعـي ، وبيانٌ غير مقتضب

تحـدث الجرحُ يا أمَاهُ فاستمعـي * إليه واعتصمي بالله واحتسبي (١)

فهذا الحوار المروي في النص الشعري ، هو عماد النهج الذي اعتمده الشاعر في صياغة أبياته ، ويتضح ذلك منذ الوهلة الأولى من خلال العنوان " عندما يتحدث الجرح ــ حوار بيني وبين أمي ".وهذا الحوار الدائر يقوم على السؤال والجواب،بين السائلة " أمه " والمجيب " الابن الشاعر " . والظاهر العام في إطار القصيدة يوهم القارئ أو السامع بأنه بتمام السؤال والجواب ، تُغلق دائرة الحوار ، ولكن من يغوص في أعماق النص يتبين له أن الأمر على العكس من ذلك ، بل يبدو الحوار الشعري وكأن ما يتضمنه من تساؤلات تتضمن في الوقت ذاته الإجابات ، والإجابات ذاتها تحفل بسلسلة من التساؤلات . وهكذا استطاع الشاعر أن يعبر عن كامن مشاعره من خلال البنية الحوارية الحيوية ؛حتى لا يلجأ إلى البوح المباشر الذي يعبر عن واقع أمة مكلومة ، مما يضاعف من ألم الشاعر وحزنه .

والحوار الذي يدور بين طرفين يكون أعمق وقعاً وحيويةً من الحوار الذي يُساق من جهة واحدة . مثلما أجرى الشاعر غازي القصيبي حواراً مع أمه الفقيدة دون أن ينطقها بشيء. يقول في قصيدته " أماه " :

أمَاهُ : كيـف الموت ؟ هـــل * أرخى الستـــار على عنائـــك

هـــل أبعـدَ الجـــراح عنـك * لتصحبيـــه إلـى شفـــائـــك

هـــل أسكـــت الغصـــص التي * كانت تـــولولُ فـي دمـــائـك

---

(١) يا أمة الإسلام " وقفة على ضفاف الجرح " ، ط د ، مكتبة العبيكان الرياض ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص٤٩ وما بعدها .

هـــل قـــال " دونـــك ! فانظري • صـــــدرا يرحب بارتمـــائـــك "؟(١)

ويلاحظ أن الحوار هنا قد أفصح عن براعة الشاعر في تصوير عاطفته ، وتشخيص عمق المصاب الذي ألم به .

ومثله الشاعر حسن القرشي في قصيدته " اليتيم " وفيها يجري حواراً على لسان يتيم مع والديه اللذين أصمتَهما رجام المقابر . يقول :

كـــم ينادي : أبـــي تعال فإنـــي • حـــرتُ في الناس لا أرى غير كاشـــرْ

آدنـــي البأس يا أبي ونوى الـــــدّا • ءُ بجسمـــــي ، وأرّقتني المـــآسر

أو يحلـــو لك المنـــامُ قـــريـــــــراً • ومهـــادي هنـــا مُـدى وخنـــاجر؟

وينادي : أمـــي ألا رحمـــةَ بـــي • كيف أحيـــا أنا العديـــم الذّاكـــر

ليس تدري طعـــم الرقاد عيـــونـــي • غير تذريـــف ضوئهـــا المتناثـــر

إيـــه ، أمّي ، أبي تعالا خُـذانـــي • واقهـــــرا قسوة الزمانِ الجـــائر

.....

غيـــر أنّ الأب الذي يناديـــه والأمّ • (م) أصمتَهُما رجـــــام المقابـــر

لا يحيـــران للسُـــؤالِ جـــــواباً • جفّ معنى الجواب من فم عـــاذر(٢)

وقد يلجأ بعض الشعراء إلى المناجاة الداخلية. يتضح ذلك من خلال قصيدة الشاعر سعد البواردي " بكر الخمسين " يصف فيها معاناة زوجة في الخمسين من عمرها حملت ، وكانت من قبل تحلم بالأمومة متمثلة في قرة عين تبهج حياتها ، فجعلها الشاعر تشكل محوراً أساسياً من محاور

---

(١) معركة بلا راية ص ٢٨١ .

(٢) ديوانه ١ / ٢٣٣ وما بعدها .

رؤيته الشعرية ، وتركها تتحدث مع نفسها، وتنزع للتعبير عن ذاتها ، وترتحل لعالمها الداخلي مفصحةً عما أثار دهشتها واستغرابها ، وموحية بمشاعر متناقضة من الفرح والحزن والخوف من المجهول . والشاعر في كل ذلك يستعمل ضمير الغيبة ، مما يوهم بأنه يتحدث عنها ، لا أنها تتحدث عن نفسها مستخدمة ذلك الضمير :

خمسون عـــــاماً دون طفـــــــل

ويـــــح ماضيهـــــا الخئـــــون

وطغـــى بهـــا اليـــــأسُ المُـــر

يـــعُ ..وأجدبتْ منهـــا الظنـــون

حتـــــى إذا بلـــــغ الـــزُبـــــى

مـــن يأسهـــــا ...ضحك اليقيـــن

وتلمســـــت أحشـــــاءهـــــا

. . ربـــــاهُ مـــا هذا يكـــون ؟ !!!

خمســـون عاماً ســـوف تُنْجِـــبُ

بِكْـــــرها ؟ ! يا للجنون ! ؟ ...(١)

في حين نجد البعض الآخر يغاير هذا الاتجاه ، فيلجأ إلى محاورة(الأم ــ الصحراء)عالمه الأول الذي احتضنه منذ طفولته، حيث يجد فيها صورة الأم الحانية الرؤوم . من هؤلاء الشاعر غازي القصيبي في قصيدته " يا صحراء " يقول فيها :

---

(١) أغنية العودة ص ٧٧ .

وعـــدت إليك يـــا صحـــــــراء

عـلى وجهـــــي رذاذ البحـــــر

وفي روحـــــي ســراب بكـــــاء

وطيـــفٌ سابـــــــحٌ في السحـــر

.....

وعدت إليك .. القيتُ بمرساتـــــي

علـــــــى الرمـــــــل

غســلت الوجـــــه بالطَّـــــل

كأتـــــك عندهـــا ناديْتِنـــي

وهمســـت فـــي أُذُنـــــي :

" رجعت إلـــيَّ يـــا طفلـــي ؟ "

اجـل .. أمَـــاهُ..عدت إليـــكِ

طفـــلاً دائـــــم الحـــزن

تغـرّب فـــي بـــلاد اللـــــه ..

لـــم يعثـــر عـلى وكـره

وعـــــاد اليومَ يبحـــثُ فيك عن عُمْـــــرِه... (١)

---

(١) معركة بلا راية ص ٢٦١ وما بعدها .

فالشاعر هنا عاد إلى (الأم ــ الصحراء) رمز العطاء والانتماء ، بعد أن تغرّب في آفاق المدنية الزائفة والحضارة الغربية الخادعة ، رجع إليها محملاً بالخيبة المريرة والفشل الذريع مقرا بأن حضن أمه الصحراء هو مرفأ الحنان والصفاء لشراعه المحطّم .

وعودة الشاعر إلى عالم الطفولة والبراءة لم تكن هرباً من المجتمع وشروره وآثامه ، بل للانتماء الأصيل إلى المجتمع الأم . من أجل هذا كان اختيار الشاعر للشكل الحواري الذي دار بينه والصحراء جعله أقدر على تقرير هذا الأمر في نفس المتلقي والتسليم به . (١)

ومثلما حاور الشاعر القصيبي الصحراء الأم ، كذلك حاور الشاعر أحمد سالم باعطب الوطن المكلوم الجريح بسبب عقوق أبنائه له ، وشخّص صورة هذا الوطن في صورة الأم دفق الحب والسخاء . يقول في قصيدته " العقوق " :

أمـــــاه لا تحزني إن لملم العمـــــرْ * صفو الحيـــاة فأيّام الفتى عبـــرْ

لا تحزنـــي فالمنـــى صبـــرٌ وتضحيـــةٌ * يطيب للطامحيـــن المسلك الوعـــر

لا تتركـــي خطـــوةً زلّت بهـــا قـــدمٌ * تُقصيك في مهمـــه الشكوى وتنتصر

لا تحزني إن تمادى الغـــيُّ وانتفخـــت * أوداجهُ وتعـــالى الزّيـــفُ والبطـــرْ

.....

قالت عقوق أخيكـــم جـــذّ لي جلـــدي * أكـــاد من حنـــق الأحزان أعتصرْ

قد كنتُ أوثِرُهُ بالحـــب طامحـــةً * إمّا دعـــوتُ إلى الهيجاء يبتـــدرْ

.....

قلت اهجريه وغضيّ الطرف عنه قلىً * إن الكرام إذا لم يُكـــرَمُوا هجـــروا

---

(١) تنظر : "محمد صالح الشنطي : في الأدب العربي السعودي " وفنونه واتجاهاته ونماذج منه " ، ط ١ ، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ، ١٤١٧ هـ ، ص ١٨٦ وما بعدها .

دعيــه ينسج من الأوهام حلّتــــه * ما طاب عيشُ امرىء بالوهم يأتزر

دعيــه في عالم النسيــان محتضراً * فالخوف يخنقُــه والشـــك والحذر

دعيــه يعصر لــه من غيّــه سكرا * غــداً تُحطّمـــهُ الأطماع والسكــر

.....

قالت أخاف على ماضٍ خلدتُ بــهِ * إن لم نصُنْـــهُ سيبلى ثُمّ يندثـــر

أخــاف أن تنخر الشحناء قوّتنــا * إن الحقوق بنار الضعــف تنصهــر

قلتُ اسلمي لم تلن يوماً شكيمتُنــا * وأنت إحساسُنــا والسمــع والبصر

أرضعتنــا الحُبّ إخــلاصاً وتزكيةً * وقُدْتنــا بالهــدى والليــلُ معتكــر

في حضنِ صدرك كم طابت لنا حقبٌ * وكم تباهت بنـــا في عينك الصُور

قالت أخاف سموم الــداء تحصدُنــا * فقلت بالبتـــر هذا الــداء ينحسر

لا يسكن الــداء إلا بيئــة خبُثـــت * وليس للشــر إلا مخبــأ قـــذر

قالت أخـــاف بُغــاث الطير تنهشُنا * ونحن في غفـــلة تلهو بنا الحير

.....

قلت انعـــي أنت نبراسٌ لوحدتنــا * ومكــرماتُـــك في علياتنــا غــرر

.....

يا أم لا تقنطـــي إن خار عزمُ فتــى * فللبطــولات منّـــا والعُــلى زمــر

لن يخنُق الليــلُ في أدغالـــهِ أبــداً * شمساً تسامت بها في عــزّة عُصُرْ(١)

---

(١) الروض الملتهب ص ٥٦ وما بعدها .

هذا الحوار الطويل الذي يبدو كأنه مشهدٌ دراميّ في مسرحية مأساوية يشف عما يعتمل في نفس الشاعر من ألم وحزنٍ ممتزجين بالحنق والضيق مما يعانيه الوطن الجريح من أوصاب وأثقال بسبب تخاذل بعض أبنائه عن نصرته والذود عن حياضه.

ويجاريهما الشاعر حمد العسعوس في قصيدته " رؤوسكم هي دائي " وفيها يخاطب الشاعر(أمه ــ الوطن)، يسألها عن سر شكواها وأنينها ، فينتفض وجدانها،وتتوهج خواطرها ، معبرة عن أصداء تلك النكسات المؤلمة والصراعات المدويّة في أعماق كيانها ، ومفصحة عن غدر شقي خذل أمته ، ونقض سياج الكيان العربي والإسلامي :

سمعتُها ــ في ضحى البلوى ..تناديني * تشكو ، وتبعث من أنات مطعون

سألت ..ما الأمر يا أمــاه ــ فانتفضت * وقالت .. الأمرُ يخزيكم ، ويُخزيني

والأمرُ.. يصفعُ أمجـــادي ، ويخذلني * ومن كؤوسِ الضنَى ، والذُلّ يسقيني

أضحــى يغرغر أمجادي ، ويفضحنــي * أمــرٌ لمستنقعات اليأس .. يدنينــي

. . أبكـــي لغدر شقيّ .. خان أمتـــه * وفي مهاوي الردى _ عمداً سيلقيني

تصابـــح القــومُ ــ إنكاراً لفعلتـــه * ــ ظنــاً ..بأن صياح البوم يرضيني

.....

.. فأرسلت أمّتي تنهيدةَ ، وبكـــت * قالت .. تــرفّق ..فهذا ليس يكفينــي

الأمر ــ يا ولدي ــ داءٌ بُليتُ بـــه * وليس فيكــم طبيبٌ قد يُداويّنـــي

.. رؤوسكم هي دائي ــ هل سيمكنكم *جدع الرؤوس..هنا عزّي،وتمكيني..!(١)

---

(١) دوائر للحزن والفرح ص ٤٧ وما بعدها .

(د) الأسلـــوب القصصـــي :

من الأساليب التي استخدمها الشعراء في صياغة تجاربهم الشعرية انتهاج النهج القصصي كوسيلة من وسائل التأثير على المتلقي وجذبه للتعايش مع التجربة . ومن المعروف أن الشاعر من حقه أن يستفيد من بعض الأدوات التعبيرية التي يستعيرها من فن القصص وقد لاحظ أحد الدارسين استفادة كل من الشعر والقصة من بعضهما ، فالقصة ــ كما يرى ــ تستفيد من الشعر التعبير الموحي المؤثر ، بينما يستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية ،فهي بنية متفاعلة ، يستفيد كل شق فيها من الآخر ، وينعكس عليه في الوقت نفسه (١)

ومن نصوص الشعر السعودي التي تدور حول موضوع الأم ، والتي توافرت فيها مقومات العمل القصصي ، كالراوي ، والحدث ، والشخصيات ، والسرد والحوار ، قصيدة الشاعر محمد حسن فقي " مجد الطهر " وفيها يعرض قصة امرأة مات عنها زوجها ، وليس لها في الدنيا سوى طفلين،تساورت عليهما ركام الدنيا وحطامها ، فما كان من الأم الرؤوم إلا أن بذلت قصارى جهدها للحصول على عمل تستطيع بعائده أن تسد رمق طفليها وتكفل لهما حياة هانئة سعيدة ، على الرغم من كثرة المغريات التي انهمرت عليها انهماراً مهيئةً لها سبل الانحراف والسقوط ، لكنها قاومت وأبت حتى أتاها الفرج وقادها القدر إلى رجل توسمت فيه الخلال الحميدة،وهو في قرارة نفسه يتحلى بأخبثها وأسوئها،إلا أن سمو فعالها ونبل أخلاقها،وحرصها على كرامتها من أن تهان وتحتقر،دفع هذا الرجل في النهاية إلى احترامها وتقديرها،ومن ثمّ تقديم العون والمساعدة لها .

بدأها الشاعر الفقي بتقديم شخصية الأم ــ وهي الشخصية الرئيسة في القصة ــ من خلال تصوير لقاء تمّ بينها وبين ذلك الرجل الذي ساقتهُ الأقدار إليها ، فتعرّف من جراء ذلك اللقاء على محاسنها الفائقة ، التي حركت رغباته وأثارت غرائزه :

---

(١)ينظر:عز الدين إسماعيل:الشعر العربي المعاصر " قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية " ، ط ٣ ، دار الفكر العربي مصر، ١٩٧٨م،ص٣٠١ .

جاءت إليــه ، وطفلة تمشـــي * من خلفهـــا ، وأمامهـــا طفـــل

كـزجاجة شُـــرخت .. وأمسكهـا * من أن تســاقط . . هيكـــلٌ عبـــلْ

وكــأن قامتهـا .. وما حمـــلـت *غصـــنٌ يميـــل بعـــوده الحمْـــلْ

في وجههـــا ألـقٌ يُرقْرقـــهُ * مـــاء الشبـــاب ..وعـــزّةٌ تغْلـــو

طمع الغـلام بهـــا .. فحـاولهـا * فتجنّبتْـــهُ ، وحـــاول الكـهـــلْ

فرأى النبيـــل مفاتنـــاً صدفـــت *عنـــه..فكفكـــف غرْبـــه النُبْـلْ (١)

ورأى السفيـــهُ بأنهـــا بخلـت * فأثـــاره ــ لسفاهـــه ــ البخـــل

هي حُـــرّةٌ .. لا البخـلْ يشْنؤُهـا *فيمـــا تحـاولـــه . .ولا البـــذْلْ(٢)

وبعد أن فرغ من عرض مظاهر حُسن تلك المـرأة وجمالها الباهر ، عرّج للإشارة إلى معاناتها وفقرها المدقع ، قائلاً :

كـــاد الزمـانُ لهـــا .. فأتكلها * ولقد يُـــزلـزل ربّـــهُ الثُكْـــلْ

وتزوجـــت .. فإذا بفـــرحتها * يمضـــي بها ــ لهـــلاكـــه ــالبعْـل

فاليـــوم ليس لها .. لشقْوتهـــا * بعـــلٌ..وليس يعـــولُهـــا أهـــل(٣)

ثم أتى الشاعر إلى كشف النقاب عن مشاعرها الوجدانية ، وما يداخلها من صراعات نفسية بسبب فقد زوجها ، إضافة إلى تجردها من جميع متع الحياة ، لكن عزة نفسها تأبى عليها سؤال

---

(١) "مفاتناً" وردت هكذا في الديوان بالتنوين لضرورة الشعر والصواب "مفاتن" بلا تنوين ، وسيشار إليها ضمن الملاحظات اللغوية في الاستدراكات في اللغة والنحو . غرْبهُ : حدّهُ ، (اللسان : غرب) ، النُبْلُ : الفضل ، (اللسان : نبل) .

(٢) الأصال الكاملة ٣ / ٥٢٨ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٥٢٨ وتاليتها .

الناس ..إلى غير ذلك من صراعات نفسية حرص الشاعر على إبرازها في قوله :

قالت لـــه .. وبحلقِهـــا غُصـــصٌ * شـــدّت عليـــه .. كأنهـــا الحبـــلُ

وبنفسهـــا ممـــا تقـــول جـــوى * ولقـــد يكيـــد نفوسنـــا القـــولُ (١)

ثم يعطيها الشاعر قدراً من الحرية ويطلق عنان لسانها ؛ لتعبر لذلك الرجل عن مأساتها ، وألمها من جراء تصرفات ذئاب البشر الذين حاولوا دفعها إلى هاوية السقوط والرذيلة . يقول الشاعر على لسانها :

قـد جئت أســـأل سيـــدي عمـــلاً * والحـــرُّ ينجـــحُ عنده السُّـــؤلُ

إن الذئـــاب غـــدت تُناوشنـــي * وأنا .. يذيـــب حشاشتـــي الأكْـــلُ

فإذا استلنـــتُ ، فقـــد تُسمّنـــي * أمـــد الحيـــاة ..نيوبُهـــا العُصـــلُ(٢)

فاعجل إلـــيَّ فقـــد يداهمنـــي * خطـــرٌ وقد يتحيّـــفُ المطـــلُ

ولو أننـــي في البـــؤس واحـــدةٌ * لم يطـــوني ــ لكليهمـــا ــ الـــذُّلُ

كالبرعميـــن .. نضارةً وشـــذى * فإذا رأيـــت . . رأيت ما يحلـــو

العيـــشُ ليس لـــه بدونهمـــا * طعـــمٌ .. و أبردُ مشربـــي منهـــلُ

فهمـــا من الدنيـــا . . بما رحبـــت * شُغـــلي .. إذا ما عزنـــي الشُّغْـــلُ

لو كنت أعمـــلُ .. طاب لي عملـــي * أو كنت أغـــــزل طاب لي الغزلُ

أسعـــى لأجلهمـــا ..ويُسعـــدُنـــي * أن يسعـــدا ..ويرُوعنـــي الهـــولُ...

---

(١) المصدر السابق ٣ / ٥٢٩ .

(٢) العُصلُ : أي المعوج الشديد (اللسان : عصل) .

ورأى الكـريم . . على مبادئـه * حُسنـاً .. وليس كمثلـه مثْـل

حُسنـاً يشدُ إليـه ناظـره * ويخيـب في سلوانـه العـذْل

كالروض تنْشـقُ من أزاهـره * طيب الشّـذى ..ويـروقك الشكْل

الطّهـر يعصمُهـا.. بفطرتـه * ويردُّهـا عن غيّهـا.. العقْـل

يُغْـريك منهـا دلُّهـا .. فـإذا .. * حـاولت منـه . . تجهـم الـدلُ

كالشهد تُبصـرُهُ .. وتحسبُـهُ * سهـل الجنـى ..فيصدُك النَحْل(١)

ولم ينس الشاعر أن يقفنا على بعض من ملامح شخصية هذا الرجل ، وقد وقفت أمامه تلك المرأة البائسة تشكو إليه الحال والمصير وهو منصتٌ إليها ، ويعلم مدى حرصها على شرفها من أن تمتد إليه أيدي اللئام . يصف الشاعر حال الرجل بعد أن استمع إليها :

أغضـى لهـا . . ورأى بمقلتهـا * جـدّاً يـذوب أمـامـه الهـزْل

كـم حُـرّة . . قنعـت بمتربـة . . * فكـأن طـلّ حياتهـا . . وبـل

وتمـرغت في الوحل غانيـةٌ * فهـوى بهـا .. لحضيضـه الوحل

ما كـان يُغضـي .. حين تفتنـهُ * يوم الصبابـة .. أعيُـنٌ نُجـل

.....

وهـي الطـريدةُ .. غير مُثْخنـة * فلقد أضـلّ طـريقهـا النَبْـل

وهو المطارِدُ . . ليـس يُعجبُـهُ * إلا الفخـارُ .بـأنـه الفحـل (٢)

---

(١) الأصمعيات القاسمية ٣ / ٥٢٩ وتابعتها .

(٢) المصدر السابق ٣/ ٥٣٠ .

ثم تأتي النهاية غير المتوقعة من سياق تلك الأحداث متضمنة الحل الختامي لهذه القصة ، متمثلا في مساعدة الرجل لتلك الأم المكلومة بدون مقابل ، حفزه إلى ذلك نبلها ، وطيب خصالها :

أعطـــى . . ولـــم يأخُذ وكان لـــه * ماض يســـاومُ حبّـــه . . قبـلْ

ولقـــد هـــداه لفعلـــه . . ألـمّ * مـــن أمســـه . . فتبـــارك الفعْـلْ

الحـــرُّ يأنـــفُ مـــن سعـادته * يأتـــي بها . . ويـرُوضُها الختْلْ (١)

وعلى الرغم من قصر القصة ، وإيقاعها السريع ، فإننا نلحظ حضور معظم عناصر العمل القصصي ومقوماته ، فهناك الراوي الذي يحكي لنا الحدث ، وهو الشاعر نفسه ، وهناك الشخصيات التي تعد عنصراً أساسياً في العمل القصصي ، منها شخصية الأم وهي الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث القصة ، وكذلك شخصية الرجل الذي تعوّد أن يخضع دائماً لنزواته ورغباته الجامحة. وتبرز الحبكة القصصية من خلال عرض الشاعر للشخصيتين المحوريتين في قصته ، فالأم مكبلة بالجراح ، وخلفها طفلان صغيران لا عائل لهما سوى الله ــ عز و جل ــ ترفض مغريات ضعاف النفوس ، حفاظاً على طهرها وكرامتها ، ثم تقودها الأقدار إلى رجل ممتهتر ، لم يحمل في أعماقه سوى صفات الخبث والسوء ، وأخيراً يأتي الحل المفاجئ وغير المتوقع الذي لا يوحي به سياق القصة ، وهو قيام الرجل بمساعدتها بدون مقابل ، والسبب يعود في النهاية إلى نبل المرأة وطهارة فعالها ، التي أيقظت في جوانحه مشاعر الإنسانية وطيب الأخلاق،وأوهجت في ذاته الندم على ما كان عليه في سالف زمنه الغابر من فساد وطغيان .

ومن نماذج النصوص الشعرية التي نهجت نهجاً قصصياً ، قصيدتا الشاعر أحمد الغزاوي " مأساة ومواساة " و " حنان الأمومة " ، فالأولى نظمت في حادثة واقعية لولادة تعسرت لحفيدة

---

(١) المصدر السابق ٣ / ٥٣٠ ، والختل : التخادع عن غفلة (اللسان : ختل) .

الشاعر " بنت ابنته " فقدت فيها قرة عين لها . يقول الشاعر :

(هولٌ) كأنّ الذّر من تفجيـــره * طويت به الدنيـــا بنفخة صـــوره

و(بذات حمل) لم تكن إلا كمـــا * جـــاء الربيع بنفحـــه وزُهُـــوره

حمـــلت ولم تكُ قبل ذلك لا بســـت * ألم (المخاض) بويلِـــــه وثبـــوره

حسبتْـــهُ سهلاً وهي في أطيافها * عُنيت بما تحبـــوه مـــن تحبيـــره

وترقبت إهـــلاله في غبطـــة * تعتـــدُ ما يكســـوه يوم بُـــدوره

واستبشرت وتربصـــت وبدا لهـــا * (متبسماً) في مهـــده وسريـــره

وقضت شهوراً في الرؤى خـــلابةً * وتراه فـــي آصـــاله وبكـــوره

وتقـــرُ عينـــا أنهـــا بوليدهـــا * في نعمـــة مزدانـــة بحبـــوره

وترقبتهـــا ساعـــةً ما مثلهـــا * في (الطلق) إلا المـــوت في توهيره

فاتقـــضَ بمخضُها وكل فريصـــة * منها تكـــاد تجـــز من تفـــزيـــره

وكأنمـــا هي في احتضار خـــانقٍ * دوّى الصـــدى بنذيره ونفيـــره

وحيالهـــا اشتـــفّ التـــأوُّهُ أهلهـــا * وعـــلا (التضرع) صاعـــداً بأثيـــره

ومضـــت بذلك ليلتـــان ومـــا همـــا * إلا المعـــاد بذرعـــه وذعـــوره(١)

(الطبُ) فيها عاجـــزٌ متهيـــبٌ * و(طبيبـــه) متحيّـــرٌ بغـــروره

ورأى الضيـــاء جنينهـــا مستصرخاً * مما تخبـــط فيه مـــن ديجـــوره

---

(١) ذرع : صفة الرجل رحب الذراع ، أي واسع القدرة والقوة والبطش (اللسان : ذرع) ، والذعر : الخوف (اللسان : ذعر) .

ما كان إلا وهـو في غمـــراتـه *(أنثى) احتواهـا قبـــرُهـــا بشفيـره

صرختْ وأعْيتْ وارتمتْ وتململتْ * بل جـــاء طـوّقهـا الحمـــامُ بنيـــره

و(الأم) في الوهنِ المضاعف همُها * أن يســـلم (المولود) بعـد عبـــوره

فإذا بهـا تُمنـى بما لم تحتسـب * من صمتـه وخُفـاتـــه ومصيـــره

ويزيد ذلك من تـــأزُم بـُؤسها * وشقـــائها في(كبدهـــا) وجُـــذوره

وتخـــرُ مُجهشـــةً فلولا أنّهـــا * رهن البـــلى لعـدتْ إلى مقـــدوره

.....

يا من تمـــزّق كبـــدها وفؤادهـا * وبهـــا تلظـى الحُـــزنُ في تنُّوره

(بشراك) (بالحسنى) وأنت سليمـة * وثقي (بلطف الله) في (تقـديـره)

وتذّرعـــي بالصبر طوعـــاً واسجدي * لله حمـداً واصدعـي بشكـوره (١)

تتناول القصة حدثاً ذا صبغة وجدانية ، فقد ترجم الشاعر الحدث على حقيقته ، ورصد نبضه الواقعي كما هو . مستعيناً بمقومات العمل القصصي من حيث الشخصية المحورية المتمثلة في الأم التي حاصرتها الآمال والأحلام ، وهي تبني منتجعاً للطفولة المقبلة السعيدة .

وعلى الرغم من بساطة الحدث ، إلا أنه جاء متنامياً ، تتصاعد فيه الأحداث من خلال النص الشعري . وتمثل هذا التصاعد في كثرة الواوات المتتابعة ، فمنذ أن حملت الأم بالجنين ، جندت كافة طاقاتها وإمكاناتها في سبيل توفير سبل الراحة والهناء له ، إلى أن حانت ساعة الولادة وتعسرها ، ومن ثمّ موت الجنين وإطلاق روحها لخالقها ، عندها تبددت أحلام الأم وصارت هباءً منثوراً . وقد

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ٤ / ١٥٦٨ وما بعدها .

برزت من خلال السرد عقدة القصة التي تخللت تتابع الأحداث ، وفي ختام النص كانت خاتمة القصة وانقضاؤها متمثلة في وفاة المولود ، واستسلام الأم لقضاء الله وقدره ،فكانت بذلك نهاية مأساوية مؤلمة .

ونلحظ ظهور الشخصيات الثانوية بجانب الشخصية الرئيسة في القصة ، فهي تعتبر روافد تسهم في إلقاء الضوء على الشخصية المحورية ، وتنير جوانبها المختلفة ، كشخصية الطبيب ، وكذلك الأهل من حولها .أما البيئة المكانية التي تحركت فيها الشخصيات ، فكانت إحدى مستشفيات مكة مبهمة الاسم ، أما زمان الحدث فكان ليلة ٢٩/ ٣٠ رجب من عام ١٣٨٨هـ استناداً إلى ما جاء في الديوان ،وتحديد الشاعر لتاريخ قصته يحمل دلالة نفسية معينة ، وهي أن تلك الليلة لا تزال محفورة في ذهنه بكل ما مر فيها من أحداث مؤلمة ووقائع متسارعة ، فهي عملية استحضار واستدعاء لمشاهد غائبة حاضرة وأحداث قديمة متجددة .

أما القصيدة الثانية " حنان الأمومة " فيصف فيها الشاعر مشهداً واقعياً لحريق تعرض له أحد الأطفال على مشهد من أمه وأخواته ، يقول فيها :

أحاط بهـا مثل الإطـــار (صغارهـا) * وقرّت بهم عيناً وطـاب نهارهـــا

وفي (حجرها) طفلٌ غريـــــرٌ كـأنّما * تقسّـــمُ فيه رُوحُهـا (وفقارهـا)

رضيـــعٌ كصفو (الطفْل) لم يعد (ثالث) * وكالعيـــنِ يستهوي القلوب احْورارُها

تناغيـــه جذلـــى وهو يرقص غبطـــةً * ويُمنـــى يديهـا حـــوله ويسـارُهـا

وأخواتـــه صغـــرى وكبـــرى لقـــاءهـا * يُـــداعبنه والأم يحـلو افترارهـا

. . .

تطلّعـــن يبغيـــن الحليـــب وإنّـــه * لبالقـــدرِ يغْلـــي كالغمـــامِ (بُخارُها)

ومن تحتهـا " فوّار غازٍ " كأنـــه * صدى " ديمة "يروي الأديـم انهمارها

. . .

مشت نحوها (زحفاً) وضمّت حِفافها * فمالت بها واشتـــبّ فيها أوارهـا

هنالك لم تملـك من الأمر حيـــلة * وألقـــت (حشاها) واستعزّ خيارها

.....

وبالرغـم منها والقضاء مُسلّـــطٌ * أصيب وأعيـاهـا عليه اصطبارهـا

فضجّ وضجـت بالبكـاء وأقبلـــت * إليـه هُيـامـاً (والحنان) خمـارها

. . .

تقول ألا اســـلم (فلذة الكبد) ولأمُتْ * فداءك والآلام ينكـــو استعـارها

إذا انطلقت من قلبـه (الغضّ) آهـةٌ *عـدت (صرخةٌ) منها عميقٌ قرارها

. . .

وتجهـش حسرى أمُّها (وقرينها) * (ووالدها) إذ هم عليهـا (سوارها)

.....

لقد شـاط من (أمّ الوليد) نياطُها * وكالمهـل أضحى جلدُها وغمـارهـا

فلم تـعِ إلا ما أصـاب رضيعـها * وهيهات أن يُغني الصَّريـع انفطارهـا

وتسأل هل يحيـا على ما أصابهُ * وهل هو نـاجٍ والدُموع نثـارهـا

. . .

كأن لم تكن تدري وقد فُجعت به * شوتهـا اللظـى أم لم ينلهـا شرارها

.....

كـلأتُك (رب العالمين) فإننـا * (بلُطفك) ننجو ما تصـدّى عُثـارُها

ويا أمّ هذا (الطفلُ) ما أنت بالتي * تفـرّدتِ بالأشجانِ شتـى خطـارُهـا

تواصي بما أوصى (الإلهُ) حبيبـهُ * فمـا نحن والأقـدار إلا اختبـارُهـا

ويا باغماً في المهـد يُفضي أنينُـه * إلى (ذات قلب) شفّ عنه انكسارُهـا

أعينكِ بالرحمن من كُلّ لمّـــــة * ومن كل عينٍ كالشهابِ احمرارُها..(١)

ومن الملاحظ في هذا السياق القصصي ، دقة وصف الشاعر للمشاهد بأحداثها وشخوصها ، وكذلك إحكامه لتتابع الأحداث ، كل حدث يفضي إلى الآخر ، وكل واقعة تمثل موقفاً معيناً .

\# \# \#

(١) المصدر السابق ٤ / ١٦٩٦ وما بعدها .

٣. منابع الثقافة التي استقى منها الشعراء قصائدهم :

تفصح القصائد التي أنتجتها قرائح الشعراء السعوديين تجاه الأم عن ألوانٍ من الثقافات التي استقوا منها فكرهم ، و أشكال تعبيرهم وألوان صورهم ، فظهرت الثقافة الدينية ، والثقافة العربية القديمة، والثقافات الحديثة متمثلة في شعر البارودي ، وشوقي ،وحافظ إبراهيم من مصر ، ومعروف الرصافي من العراق ، وكذلك شعراء المهجر ...

ومن نماذج الثقافة الدينية ، نجد بعض الشعراء الذين نهلوا من معين القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، متأثرين بالمعجم القرآني والبيان النبوي صياغةً وفكراً وشعوراً ، كقول الشاعر محمد حسن عواد :

كنتُ إن قلتُ " هاتْ " كأسك تُزْجِيْ * ـها دهاقاً فلم منعت دهاقك ؟ (١)

ففيه اقترابٌ من قوله تعالى : ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ (٢)

وقوله أيضاً :

لا تبالي ، يا قبرُ ، كم مهجٍ تفـ * ـنى حراراً في جوفك المسجور (٣)

فيه تأثرٌ بقوله تعالى : ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ (٤)

وكذلك قول الشاعر علي زين العابدين :

أ كنتُ بوالدي عقّاً * كنوداً عقّ بالرّحم (٥)

---

(١) ديوانه " نحو كيان جديد " ١/ ١٠٧ .

(٢) سورة النبأ آية ٣٤.

(٣) نحو كيان جديد ١ / ١٠٨ .

(٤) سورة الطور آية ٦ .

(٥) هديل ص ٢٠٤ .

ربما يكون فيه تطلع للآية الكريمة : (إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦) (١)

أما قول الشاعر أحمد الغزاوي في قصيدته " حنان الأمومة " :

ومـــرتْ بنا (الساعاتُ) حرّى كأنّها * (دهورٌ) وفي (سَمِّ الخياطِ) مدارُها (٢)

ففيه اقتفاءٌ لقوله تعالى : (حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ) (٣)

ومثله أيضاً قول الشاعر إبراهيم فلالي في قصيدته " على ضريح أمي " :

لقــد أحسنــت يا أمـــــي إليّـــا

ولــم أحســن بخــردلـــــة إليـــك

ســوى أنّـــي أطعتـــك مستجيبـــاً

لأمــرِ الله إذ أوصـــــى عليـــــك (٤)

فيه اقترابٌ من قوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا) (٥)

وكذلك قول الشاعر أحمد الغزاوي في قصيدته " مأساة ومواساة " :

(هولٌ) كأنّ الـــذّر من تفجيــره * طــويت به الدُنيــا بنفخةِ صوره (٦)

فيه تأثرٌ بقوله تعالى : (فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣) (٧)

---

(١) سورة العاديات آيــة ٦ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ٤ / ١٦٩٧ .

(٣) سورة الأعراف آيــة ٤٠ .

(٤) طيور الأبابيل ص ٧٢ .

(٥) سورة العنكبوت آيــة ٨ .

(٦) الأعمال الشعرية الكاملة ٤/ ١٥٦٨.

(٧) سورة الحاقة آيــة ١٣

وقول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدته " العقوق " :

أطعمتــه عرقـــي أنفلتُه بدمـــي * وصُنتُـــهُ وجحيـــمُ الجوزِ تستعـــرُ (١)

فيه التناسّ بقوله تعالى : (وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾) (٢) .

أما التأثر بالبيان النبوي ، فنجده عند الشاعر علي زين العابدين في قوله :

أبعـــد الجهـد والكـــــدّ * ألاقـي الغـــــرم في الغُنـــــم (٣)

ربما يكون فيه اقتفاءً لقول المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ " اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرماً " (٤)

ومنه أيضاً قول الشاعر أحمد الغزاوي في قصيدته " مأساة ومواساة " :

(فرطٌ) إلى الفردوسِ إلا أنّـــــهُ * كالجمرِ في إحراقـــه وسعيـــره (٥)

وقول الشاعر عبد الله المسعري في قصيدته " دموع وأشجان " :

وما هـــي إلا فارطٌ ووديعـــةٌ * وفي الأجر عنـــد الله ترْجـــى وتحْسبُ (٦)

ففيهما استعانةٌ بقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ "صلوا على أطفالكم فإنهم من أفراطكم " (٧)

---

(١) الروض الملتهب ص ٥٧ .

(٢)سورة التكوير آيــ١٢ــة .

(٣) هديل ص ٢٠١ .

(٤) نص الحديث : عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إذا أعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها ، أن تقولوا اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرماً . (انظر : ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ط د ، دار الفكر بيروت ت د ، كتاب الزكاة ١ / ٥٧٢ .

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة ٤ / ١٥٧٠ ، والفرط : ما تقدّمك من أجر وعمل ، وفرط الولد :صغارُهُ ما لم يُدركوا . وفي الدعاء للطفل الميت : اللهم اجعله لنا فرطاً ، أي أجراً يتقدّمنا حتى نرد عليه . (اللسان : فرط) .

(٦) مجلة المنهل ٨/ ٨٤٦.

(٧) ابن ماجة : مرجع سابق ، كتاب الجنائز ١/ ٤٨٣ .

ونجد كذلك قول الشاعر محمد حسن العواد في قصيدته " في بيتها وعلى قبرها " :

أهنـــا سِحْـــرُها الجميلُ يُغطَّـــى * بالتـــراب النَّـديِّ والظلمـــات (١)

فيه استشرافٌ لحديث المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رواية عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : مر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على قبر ، فقال : ائتوني بجريدتين فجعل إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ، فقيل يا نبي الله : أينفعه ذلك ؟ قال : لن يزال أن يخفف عنه بعض عذاب القبر ما كان فيهما نَدُوٌ " (٢)

وقول الشاعر عبد الله المسعري :

لعمْـــــرُك ما الدُّنيا سوى حُـــلْمِ لحظة * متـــاعُ لُعـــاعٍ ومضة ثم يـــذهبُ(٣)

فيه اقتباسٌ بما جاء في خطبته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الأنصار في غزوة حنين بعد ما قسّم الغنائم بين المسلمين ولم يقسم للأنصار ، ومنها قوله للأنصار : " .... أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ..." (٤)

وكذلك قول الشاعر أسامة عبد الرحمن في قصيدته " رسالة إلى أم " :

مـــــا ارتوى إلا نميـــــراً * ورضـــــابـــــاً من يديـــك (٥)

فربما كان فيه تطلعٌ لحديث أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ : " الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وسقانا النمير " والماء النمير الناجع في الري (٦)

---

(١) ديوانه " نحو كيان جديد" ١/ ١٠٧ ، والتراب الندي : الذي فيه نداوة وبلل من الماء(اللسان: ندى).

(٢) الإمام أحمد بن حنبل ، ٢/ ٤٤١ .

(٣) مجلة المنهل ٨/ ٨٤٤ ، اللعاعة : النبت الناعم في أول ما ينبت ،(اللسان: لعع).

(٤) انظر : الإمام أحمد بن حنبل ، ٣/ ٧٦ وتاليتها .

(٥) شمعة الفداء ص ١٠٨ .

(٦) حاولت العثور عليه في بعض مصادر الحديث ولم أجده ، فوافقته من (اللسان : نمر) .

ومن جوانب الثقافات الأخرى التي استقى منها الشعراء ، توظيف التراث العربي متمثلا في الأمثال والشعر القديم . فقول الشاعر سعد البواردي في قصيدته " بكر الخمسين " :

حتـــى إذا بـــلغ الـــزُبـــى * من يَأسّهـــا .. ضحـــك اليقيـــن (١)

فيه تلميح إلى المثل المعروف : " بلغ السيل الزُبى " (٢) ، وقول الشاعر فؤاد شاكر :

تحمّلْتُ من دهري على طول يومـــه * من الهول ما تصّطكُّ منه المسامعُ (٣)

فيه تذكيرٌ بالمثل القائل : " استكت مسامعهم "من باب دعاء الإنسان على صاحبه بالصمم.(٤)

ومثله قول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدته " عقوق " :

قالـــت أخـــاف بُغاثُ الطيرِ تنْهشُنـــا * ونحن في غفـــلة تلهو بنـــا الحيرُ(٥)

معناه متكئٌ على المثل المعروف : " إنّ البغاث بأرضنا يستنسرُ " يضرب مثلا للئيم يرتفع أمره ويعزّ شأنه. (٦)

---

(١) أغنية العودة ص ٧٧ .

(٢) يضرب لما جاوز الحد . قال المؤرج : حدثني سعيد بن سماك بن حرب عن أبيه عن ابن المعتمر قال : أتي معاذ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسد في زَبية فلم يدر كيف يقتلهم فسأل علياً ــ رضي الله عنه ــ وهو معتب بفناء الكعبة ، فقال : قُصَّ عليّ خبركم، قالوا : صدنا أسدا في زبية ، فاجتمعنا عليه ، فتدافع الناس عليها ، فرموا برجل فيها ، فتعلق الرجل بآخر ، وتعلق الآخر بآخر ، فهووا فيها ثلاثتهم ، فقضى فيها علىّ ــ رضي الله عنه ــ أن للأول ربع الدية ، وللثاني النصف ، وللثالث الدية كلها ، فأخبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقضائه فيهم . فقال : لقد أرشدك الله للحق . (الميداني : مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط د ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت ، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢م ، ١ / ٩١). والزبية : الرابية التي لا يطوها الماء ، وقيل : بئر أو حفرة تحفرُ للأسد . قال الفراء: سميت زبية الأسد زَبية لارتفاعها عن السيل ..(اللسان : زبى) .

(٣) وحي الفؤاد ص ٢٨٧ ، ولفظة اصطك هنا بمعنى استك ، فجميع المعاجم التي وقعت عليها يرد فيها اللفظ استعمال تستك المسامع بمعنى صمت وضاقت وليست تصطك ، وربما يكون هذا الاستعمال فيه نوع من التجوز من قولهم : صكّ الباب : أغلقه ، وتستك المسامع : أي تنغلق فلا تستطيع سماع أي شيء . ومما يتضح أيضاً أن صيغة (تصطك) فيها قلب ، حيث قلبت التاء طاء لأجل الصاد .

(٤) ابن سلام : الأمثال ، تحقيق : عبد المجيد قطامش ، ط ١ ، دار المأمون دمشق ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص ٧٧ .

(٥) الروض الملتهب ص ٥٩ .

(٦) ابن سلام : مرجع سابق ص ٩٣ .

أما الشعر القديم ، فإننا نجد بعض الشعراء السعوديين قد امتلأت ذاكرتهم من روائع القدماء ؛ فاستوحوا معانيهم وصورهم الشعرية ، ومن نماذج ذلك قول الشاعر حسن القرشي في قصيدته " أماه " :

نمشـــي وتسبقُنـــا المنـــا • يـا في المسـالكِ والـدُّروب (١)

وهذا المعنى ربما استوحاه الشاعر من قول الشاعر نويفع بن نفيع الفقعسي (٢) :

يسعى الفتى لينـالَ أفضـلَ سعيِّـهِ • هيهـات ذاك ودون ذاك خُطـوبُ

يسعى ويأمُـلُ والمنيّـةُ خلفـهُ • تُوفـى الإكـام لهُ عليهِ رقيـبُ (٣)

وقول القرشي أيضاً في قصيدته " اليتيم " :

إيـه ، أمّـي ، أبـي تعالا خُذاني (م) واقهـرا قسوة الزمانِ الجائـرْ

أنتما أصـلُ شقوتي وابتئاسـي (م) فامضيـا بي حيثُ النّعيمُ المُبادر(٤)

قد يكون الشاعر استوحاه من قول أبي العلاء المعري :

يُشقـى الوليدُ ويُشقـى والداهُ بهِ • وفاز من لم يُـولَدْ ولـدْ(٥)

---

(١) نداء الدماء ص ٧٣ .

(٢) بالنسبة لترجمة الشاعر ، فقد تضاربت الآراء حوله ، واختلف في تسميته ، فتارة هو نافع بن لقيط الأسدي وثانية نافع بن نفيع ـ بالقاف ـ وثالث نافع بن نقيع ـ بالقاف ـ ورابعة نافع بن نويفع الأسدي وغيرها .. لذا تعذّر عليّ معرفة الشاعر والتعريف به .(انظر : الأيوبي، ياسين : معجم الشعراء في لسان العرب ، ط ٢ ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٤٢٢) .

(٣) اللسان : مـرط .

(٤) ديوانه ١ / ٢٣٤ .

(٥) أبو العلاء المعري : اللزوميات ، الناشر : أمين الخانجي ، ط د ، مكتبة الخانجي مصر، ت د ، ٢٣٩/١

ويقول القرشي أيضاً في قصيدته " أماه " :

هـذي الحيـــاةُ وثـــمّ مســـ * ـبحنـــا على اللّـــجّ الغضوب (١)

ربما استوحاه أيضاً من قول أبي العلاء المعري :

ومـــا العيـــشُ إلا لجـــةٌ ذاتُ غمـــرةٍ * لهـــا مولـــدُ الإنسانِ والموتُ شطّان(٢)

ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدته " أماه إنك لن تعودي " :

نذروا التراب ونحـــنُ منْهُ وإن نمتُ * يعُـــدِ الطريفُ من التراب إلى التليد (٣)

حكمة رائدة ، وفكرة صائبة استلهمها الشاعر من حكمة أبي الطيب المتنبي :

يُـــدفّنُ بعْضُنَـــا بعضـــاً وتمْشِـــي * أواخِرُنَـــا على هـــامِ الأوائـــلِ (٤)

وحكمة أبي العلاء المعري :

خفّـــفِ الوطء ما أظُـــنّ أديم الـــ * أرضِ إلا مِـــنْ هـــذهِ الأجســـاد (٥)

وبالنسبة للثقافات الحديثة المتمثلة في شعر أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومعروف الرصافي ، فقد ذكرت نماذج منها سلفاً (٦) ، وكذلك سير الشعراء السعوديون على منوال شعراء المهجر(٧).

---

(١) نداء الدماء ص ٧٣

(٢) المعري : مرجع سابق ٢/ ٣٧٠ .

(٣) أسراب الطيور المهاجرة ص ١٥٩ .

(٤) العكبري : مرجع سابق ٣ /١٨ .

(٥) عبد الرحيم وآخرون : مرجع سابق ٣ / ٩٧١ .

(٦) انظر : الفصل الرابع في نموذج الأم السعودية في أعين الشعراء السعوديين .

(٧) انظر:الفصل الرابع في غرض الشكوى و الأنين .

٤ـ استدراكـــات في اللغـة والنحـــو :

أباح بعض الشعراء السعوديين لأنفسهم ، تجاوز حدود اللغة ، وقواعد النحو ، باعتبار ذلك ضرورة شعرية ، وخاصية فردية مُنحت لهم ، ولم يضع هؤلاء في حسباتهم أن مثل هذا التجاوز لا يمكن اعتباره سنة متبعة يتوارثها الخلف من السلف ؛ لأن ذلك يُعد عبثاً بقواعد اللغة ، وإهداراً لجمال التجربة الشعرية ، وإنقاصاً من سموها الفني ، وهذا ما دعا الشاعرة الناقدة نازك الملائكة إلى أن ترفض بشدة هذا التجاوز اللغوي إحساساً منها بقداسة التعبير الشعري إذ تقول : " نحن نرفض بقوة وصرامة أن يبيح شاعر لنفسه أن يلعب بقواعد النحو واللغة لمجرد أن قافية تضايقه أو أن تفعيلة تضغط عليه. وإنه لسخف عظيم أن يمنح الشاعر نفسه أية حرية لغوية لا يملكها الناثر . فمن قال إن الشاعر الموهوب يستطيع أن يبدع أي شيء في غير الإطار اللغوي لعصره ؟ إن كل خروج على القواعد المعتبرة ينقص من تعبيرية الشعر ويبعده عن روحية العصر . ولسنا ، على كل ، نفهم لماذا يريد الناقد أن يكون الشاعر الحديث طفل اللغة المدلل فيخطئ ويرتكب المحذورات ما شاء دون أن يحاسب؟ " (١)

وفي قصائد الألم يُلاحظ خروج بعض الشعراء على القاعدة ، ومخالفة القياس ، من ذلك أن يرفع الشاعر خبر ليس مراعاة للقافية . كقول الشاعر فؤاد شاكر في قصيدته " أنشودة الألم الحزين " :

هو الحـــزن حتى ما تجفُّ المـــدامع * وحتى يردَّ البيـــنُ ما ليس راجـــعْ(٢)

وقد كانت أمام الشاعر مندوحة في أن يستبدل بصيغة اسم الفاعل صيغة الفعل المضارع فيقول :

---

(١) نازك الملائكة : مرجـع سابق ص ٣٣٢ .

(٢) وحي الفؤاد ص ٢٨٧ .

..... • وحتى يـــرُدّ البينُ ما ليس يرجـــعْ

وقد أشار إلى هذا الخطأ النحوي الكاتب عبد الرحيم أبو بكر حيث يقول : " إن من كان حريصاً على احتذاء نهج القدماء ، وتصور تراكيبهم وتصرفهم في الكلام بهذه الدرجة ، خليق به ألا يقع في هفوة واضحة فيرفع خبر ليس عنوةً واقتداراً ، لأن روي القصيدة مرفوع فيقول : " ما ليس راجعُ " هكذا فهذا خطأ غير مقبول من شاعر تقليدي ينسب إلى مدرسة شعرية اشتهرت بحرصها على المحافظة على قواعد اللغة " (١)

ومن المؤاخذات اللغوية أيضاً ما أخذ على الشاعر طاهر زمخشري في استخدامه لفظة " زيفان " في قصيدته " غلبت على أمري " يقول فيها :

ويـــا شـــطر نفسي ما دفنتُك في الثرى • لأحيـــا بشطر إن ذلك زيفانْ (٢)

" زيفان " على زنة فعلان ، بمعنى التبختر في المشي فقط (٣) ولم ترد ــ وهي على هذا الوزن ــ بمعنى الخداع والغش الذي يقصده الشاعر في بيته بل ورد في ذلك " زيفٌ و زَيَفٌ وزيوف فهو زائف (٤) فربما كانت ضرورة شعرية ــ غير مستساغة ــ لجأ إليها الشاعر مراعاة للقافية .

ويؤخذ على الشاعر أيضاً صرفه الممنوع من الصرف في لفظة " نشواناً " للضرورة الشعرية من قوله :

فأختالُ نشواناً ويـــا نشوة الأســـى • تغيبُ بإحساسي كما يفعلُ الخمـــر(٥)

---

(١) عبد الرحيم أبو بكر: مرجـــع سابق ص ٢٢٧ وتاليتها .

(٢) مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع " ص ٢٨١ .

(٣) اللسان : زيف .

(٤) المصدر السابق.

(٥) قصيدة " أسى " ، مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع " ص ٢٨٨ .

والصواب " نشوانَ " من غير تنوين ؛لأنه اسم ممنوع من الصرف للوصفية وزيادة الألف والنون .

ونفس المأخذ يؤخذ على الشاعر محمد حسن فقي في قوله :

فرأى النبيـــلُ مفاتنـــــاً صدفتْ * عنهُ .. فكفكفَ غربَهُ النُّبْـــــلْ (١)

" مفاتنـــــاً " بالتنوين ، والصواب بدونه ؛ لأنه اسم ممنوع من الصرف على صيغة منتهى الجموع " مفاعل " .

ومثله الشاعر طاهر زمخشري في قوله :

فمنْ مقلتي الدمعُ السخينُ سحـــائبـــاً * على الخـــــدِّ يهمِيْها فؤادٌ هو البحرْ (٢)

" سحائباً " بتنوين ، والصحيح بدونه ؛ لأنه اسم ممنوع من الصرف على صيغة منتهى الجموع " فعائل " .

# # #

---

(١) قصيدة " مجد الطهر " ، الأعمال الكاملة للشاعر ٣/ ٥٢٨ ، غربه : حدَّتُهُ ، (اللسان : غرب) ،النُّبْلُ : الفضل ، (اللسان : نبل).

(٢) مجموعة النبل " ديوان أفلاس الربيع " ص ٢٨٨ .

الفصل الثالث

البنية الفنية لقصيدة الأم

البنيـة الفنيـة لقصيدة الأم

القصيدة الشعرية بناءً فني متكامل ،تباينت عناصرها ، وتفاوتت أشكالها ، كل عنصر من عناصرها له وظيفته ودوره في بنائها ،فهي وحدة متناسقة لا يمكن فصل شكلها الخارجي عن بنائها الداخلي، حتى تتواءم أجزاؤها و" تتلاءم التجربة الشعورية والعاطفية والخيال والمشاعر والأحاسيس والمعاني والأفكار والغرض والمغزى وغير ذلك مما يتصل بالمضمون والمحتوى للقصيدة فيتلاءم هذا كله مع البناء الفني لها ، وهو انسجام الألفاظ والأساليب والصور الجزئية والتجسيم والتشخيـص ، والإيقاع الداخلي والخفي والموسيقى الخارجية في الوزن والقافية . لتتلاحم هذه العناصر كلها في انسجام وتناسب " (١)

وشعر الأم هو شعر العاطفة والوجدان ، تحققت في أبياته وحدة الموضوع ، ووحدة الجو النفسي العام ،ووحدة المشاعر التي يستقطبها ،وهي ما يطلق عليها الوحدة الموضوعية.والنماذج على ذلك كثيرةٌ جداً وردت شذراتٌ منها في ثنايا البحث (٢) وعلى ضوء هذه الوحدة الموضوعية نمت الوحدة العضوية التي تجاوزت وحدة الموضوع ووحدة الإحساس ووحدة الأثر إلى وحدة البناء العضوي .

وعلى الرغم من كون شعر الأم وجداني عاطفي ، فقد يتعذر على الشاعر " ترتيب الصور والأفكار ترتيباً متنامياً تتخلّق من خلاله القصيدة تخلقاً عضوياً طبيعياً ،يفضي فيه كل جزء إلى

---

(١) علي علي صبح : المذاهب الأدبية في الشعر الحديث في جنوب المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، مطبوعات تهامة جدة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص ١٤٨ .

(٢)انظر على سبيل المثال:الزهراني:جريدة المدينة " ملحق الأربعاء" ص٨ وتاليتها " قصيدة مواكب الجلال "وانظر:القرشي:نداء الدماءص٦٨ ومابعدها " قصيدة أماه " ، و الدوارد :أغنية العودة ص ٦٧ وتاليتها " قصيدة أمي " ، و زمخشري :مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع" ص ٢٨٠ وتاليتها قصيدة" غابت على أمري" ، وص٢٨٤ وتاليتها قصيدة " شاربات الدمع " و ص ٢٨٨ وتاليتها قصيدة " أمي" وغيرها كثير .

وظيفته إفضاء متسلسلاً ، بحيث نصل في النهاية إلى بنية حية للقصيدة تشابه تماماً بنية الكائن الحي " (١) ولكن ــ طالما أن بعض القصائد نظمت على نسق قصصي ــ وسهلٌ على الشاعر الاسترسال فيها ومتابعة موضوعها ، دون انقطاع في الأفكار،حتى انتهى من الموضوع الذي قصده ، فإن هذا النوع من القصائد قد تتوافر فيه الوحدة العضوية ؛ لأن " الشعر الوجداني متى كان ذا طابع قصصي، كانت الوحدة العضوية فيه أظهر ، وبدا متماسكاً لا تستقل أبياته كما كانت مستقلة في شعرنا القديم... " (٢)

ومن نماذج القصائد التي تحققت فيها الوحدة العضوية ، قصيدة الشاعر غازي القصيبي " جزيرة اللؤلؤ " فهي تعد قصيدة وجدانية توهجت في ثوب قصصي رائع،وانفعال حساس ، ووحدة قوية و "بنية حية متنامية ، رحلة فنية تتكامل المرحلة السابقة فيها مع اللاحقة ، وتنبثق الثانية من الأولى في تطور طبيعي ،ففي المشهد الأول يتكاثف الإحساس بالزمن، وينغرس الشاعر بوصفه ذاتا تطلع من قلب التجربة في نسق اللحظة ، لحظة الوداع ، ويتبدّى في تجليات متعددة هو وما حوله ، ولكنه لا يغادر تلك اللحظة ، بل يتلظى في أُتونها ، من هنا كان الحقل الدلالي المهيمن يتمثل في تردد مفردات خاصة بالزمن : اليوم ، إذ ، والعمر ، والشباب ، والمضي ..الخ "(٣)

ففي أحد مشاهد القصيدة (القصة) يقول الشاعر :

اليـــــوم .. والأحـــلام ضائعـــــةٌ

مبـــــــــــددةُ الشبـــــــــــابِ

---

(١) محمد أحمد الخرب : عن اللغة والأدب والنقد " رؤية تاريخية ورؤية فنية "، ط د، المركز العربي للثقافة والعلوم، بلد الطبع د ت د، ص ٣٧٥.

(٢) محمد غنيمي هلال : مرجع سابق ص٤٢٩ .

(٣) محمد صالح الشنطي : " التداعيات النصية وتجلياتها في الشعر السعودي" ، من بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة المكرمة في المدة ٥-٧شعبان١٤١٩هـ جامعة أم القرى مكة ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ٣/ ٢٩٠ .

والعمـــــرُ أشـــــلاءٌ ممـــــزقةٌ

بـــأنيـــــــــاب الســـــراب

اليـــــوم إذ حـــان الرحيـــــل

وهمـــــــت فـــي دنيـــا اغترابي

ومضـــــى شـــراعي واهن الخفقات

يُبحـــــــر فـــــي الضبـــــاب (١)

وبعد ذلك ينبلج المشهد الثاني مصوراً حالة الشاعر الانفعالية مجسدة في أساليب الاستفهام المتتابعة على مدى المشهد كله ، تصاحبها مدلولات أخرى تجسد الحزن والألم سواء فيما يتعلق بتلويحات الذراع أو النظرة الملتاعة أو اضطراب الشراع :

مـــا ضـــرٌ لو قبـــل الرحيـــل

منحتنـــــي قبّـــــل الـــوداع ؟

لـــو جئـــت عـــن بعد تطالعنـــي ..

تُلـــــــوّح بـــالـــــــذراعِ ؟

أو مـــا بدت فـــي نـــاظـــريّـــك

علـــيّ بـــارقـــــةُ التيـــــاعِ ؟

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة " أشعار من جزائر اللؤلؤ " ص ١١ .

أو مـــا رثيـت لذلـك المـلاح

فـــي ليـــــل الضيـــاع ؟

ذاك المســـافرُ لا يُسامـــرُه

ســوى خفـــق الشـــراع (١)

وحين تبلغ الانفعالات ذروتها ينبثق المشهد الثالث " في لوحة بدت فيها عناصر التشكيل الصوري متواشجة : الصوت والرؤية واللون ، وتراسلت الحواس في اتجاه تكريس عنصر الصوت بدلالته التعبيرية البوحية التي تومئ إلى وصول الانفعال ذروته بخروجه من الصمت المتأمل في المشهد الأول إلى التساؤل الحائر في المشهد الثاني إلى الصراخ المدوي في المشهد الثالث " تمر به العيون تكاد تصرخ .. يا غريب ." (٢) وهذا الصراخ يترجم الحنين والشوق المتمثلان في تكرار أسماء الإشارة ترافقها ظواهر طبيعية " أرضي ــ الشواطئ ــ المزارع ــ السهول ــ الشمس المضيئة ــ النخيل .. " و أيضاً عناصر بشرية " أمي ــ أبي ــ رفاقي .." :

أنـــا ذلك الطفـــــلُ الغـريـــرُ

رمتـــــهُ للدنيـــا الخطـــوب

تركتـــهُ في صخـبِ الجمـوعِ

يكـــــادُ يخنُقُـــــــهُ النحيـبُ

---

(١) المصدر السابق ص١٢ .

(٢) محمد الشنطي : مرجع سابق ص٢٩٠ وتاليتها .

أبـــدا تمـــر بـــه العيـــــون

تكـــــاد تصـــرخ :يا غريـــب !..

مـــن ذا رمـــــاني ريشـــــــــةً

في الليـــل تلفظهـــــا الدروب؟

لا هـــــذه أرضـــــــي .. ولا

أهـــلي لـــــديّ .. ولا الحبيب

. . .

أرضـــــي هناك .. مع الشواطئ..

والمـــــزارع ... والسهـــول

فـــي موطن الأصداف..والشمس

المضيئـــــــة .. والنخيـــــــل

أمـــــي هنـــاك .. أبي .. رفاقـــي

نشـــوة العيـــــش الظليـــل (١)

ويأتي الشاعر في المشهد الرابع وقد خلع حالته الوجدانية على الظواهر الكونية: البحار الأربعة والأفق والشفق المخضب والسماء .. وبذلك يتحول الشاعر من الطبيعي إلى الكوني بما

---

(١) أشعار من جزائر اللؤلؤ ص ١٢ وتاليتها

يتلاءم ومساره الانفعالي :

أرضـــي هناك .. مع الشواطـــئ

والبحـــــار الأربعـــــه

والأفق . . والشفـق المخضّب

حيـن ينثـــــر أدمعـــــه

فتظـــل ترمقـــه الميـــاه

كأنـــهـــا تبكـــي معـــهُ

حيـث المســـاء يطـــل

في صمـــت ويخطر في دعة (١)

وتبرز الخاتمة وقد رسا على مرافئها زورق الأمان و الاطمئنان ، وعانق الغريب حضن الأم ، وطغى على المشهد مظاهر المكان الآمن المستقر، و" يغلب على هذا المقطع مفردات ذات حقول دلالية توحي بالتفاؤل ــ الانفراج ــ الفرح ــ الضوء ــ والابتسام ــ والهمس ــ ونداء المئذنة ــ ورفرفة الحمام ..لذا جاءت القافية الميمية منتهية بالهاء الساكنة حيث يتساوق الإيقاع مع الاستقرار والهدوء ، في حين كانت القافية في المقطع الأول مسبوقة بحرف المد الذي يوحي بالآهة الحزينة وكذلك المقطع الثاني والثالث والرابع " (٢) :

---

(١) المصدر السابق ص ١٤ .

(٢) محمد الشنطي : مرجع سابق ص ٢٩١ .

الضـــوءُ لاح .. فديتُ ضـوءك

فـــي الســـواحلِ يا منامـــه

فـوق الخليـــجِ أراكِ زاهيـــة

المـــــلامح كـابتســـامـــة

المـــرفـــأ الغافـــي وهمستُـــــه

يهنّـــــئ بـــالســـــلامـــة

ونـــــداءُ مئـــذنة مضـــوّأة

تـــــرفـــرفُ كـــالحمـــامـــة

يا مـــوطنـــي ! ذا زورقـــــي

أوفـــى عليك فخـــذْ زمامـــة (١)

*　　*　　*

---

(١) " أشـعار من جزائر اللؤلؤ " ص ١٤ وتاليتها ، والوحدة العضوية تحققت أيضاً في قصائد أخرى ،انظر مثلاً: البواردي: أغنية العودة ص ٧٦ وما بعدها " قصيدة بكر الخمسين " ، وانظر : الفزاوي : المجموعة الكاملة ٤ /١٥٦٨ وما بعدها " قصيدة مأساة ومواساة " ، و٤ / ١٦٩٦ وما بعدها " قصيدة حنان الأمومة " .

الفصل الرابع

الأم في دائرة التصوير البياني والتفنن الأسلوبي

الأم في دائرة التصوير البياني والتفنن الأسلوبي

التصوير أمرٌ فطري في الإنسان ، فهو شغوف بطبعه أن ينقل للآخرين ما قد شاهد ، أو سمع ، أو عايش من تجارب وجدانية ، وأحداث متعددة الجوانب والاتجاهات . تظل مختلجة في داخله ، إلى أن ينقلها إلى غيره ، فيجعل سامعه أو قارئه يحس بما يحس ، ويشعر بما يشعر ، بقدر إحساسه وشعوره لتلك الأمور .

لذا تعد الصورة في العمل الأدبي دعامة من دعاماته الأساسية ، ولبنة من لبناته التي يتكأ عليها الشاعر في نقل أفكاره وعواطفه ؛ لأنه " عندما يلجأ إلى الصورة فإنه يسعى من وراء ذلك إلى التأثير في وجدان المتلقي لشعره ، وجعله يعيش التجربة التي عبر عنها ، ويتفاعل معها سلباً أو إيجاباً ، سواء كانت التجربة المعبر عنها نابعة من ذات الشاعر ومعاناتها ، أو عامة أحس بها حوله ، فعمد إلى جمع عناصرها ، ولم شتاتها ، وقام بمعايشتها والاندماج فيها ، ثم عبر عنها ونقلها إلينا ، لحملنا على مشاركته في التأثر بتجربته تلك " (١)

والصورة الشعرية ــ في أحد معانيها ــ " هي الوعاء الذي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه وسامعيه " (٢) ومن أقوى الملكات المبدعة لهذا الوعاء الفني ، الخيال الذي " يجسّد صور الشاعر من ناحية ، وهو الذي يركّز ما فيها من احساسات ومشاعر تتضافر جميعا لتخرج لوحاته وترسم صوره ، وكلما كان الخيال مركزاً كانت صور الشاعر غنية بالإيحاء والتعبير " (٣)

وهذا الوصف الخيالي يرتكز بالدرجة الأولى على دعامتين اثنتين هما : التشبيه

---

(١) مفرح سيد : مرجع سابق ص٣٥٥ .

(٢) الشايب ، أصول النقد الأدبي ص٢٤٢ .

(٣) خليل إبراهيم أبو ذياب : النزعة الفكرية في الرومنسيات ، ط د ، الشركة العربية للنشر والتوزيع مصر ، ١٩٩٥م ، ٢/١٨٠ .

والاستعارة ، وهما في حقيقتهما إثبات لوشائج جديدة بين المظاهر الكونية المتفاوتة ، بين الطبيعة والإنسان . ولا يؤلف هذه الوشائج إلا الشاعر المفلق بما وهبه الله ــ عز وجل ــ من ملكة خيالية قوية ، وإحساس فسيح بعناصر الكون المختلفة ، وقدرة عالية على لمّ شتاتها وتشكيلها تشكيلا بديعا لا عهد للقارئ بها ، وعلى هذا فالشعراء لا يتركون " شيئاً في الطبيعة إلا وينفثون فيه من عواطفهم وخواطرهم ومشاعرهم " (١) فيحيلونها بذلك إلى شعب حيوية نرى من خلالها آلامهم و آمالهم ، ونرى فيها أفراحهم و أحزانهم ،ونسمع فيها أنينهم و بكاءهم ، وحنينهم ونجواهم ، نجدها متجسدة في ذرات الكون المختلفة وقد خلع عليها الشاعر من أحاسيسه وعواطفه ما يجسمها تجسيماً ، ويشخصها تشخيصاً ينبض بالحياة .

وبناءً على ــ ما ذكر سلفاً ــ فإن " وظيفة الصورة قد عظمت في شعرنا العربي المعاصر، وأصبح لها دور حقيقي في نقل تجربة الشاعر إلى القارئ ، وذلك بما تثيره في نفسه من دلالات نفسية وإيحاءات تعبيرية ، معتمدة فيها على الأدوات البلاغية القديمة التي ما تزال تعطي الصورة خصوبة وامتلاء " (٢)

ولما كان شعر الأم في الأدب السعودي كغيره من جوانب الشعر الأخرى ،يعبر عن أحاسيس صادقة،ومشاعر فياضة تجاه الأم الحنون،فقد لوّن الشاعر السعودي قصائده بصور شعرية متعددة الألوان، ومتباينة الأشكال من تشبيهات واستعارات وكنايات ..وغيرها ، وهو في الوقت ذاته" لم يجمد عند اقتباس صور السلف ، أو تجسيد صور البيئة ، ولم يكتف بترسم المحدثين من زملائه العرب ، بل كان يمزج القديم بالحديث ، ويضيف إليها ألواناً محلية مناسبة ، فنجح إلى حد

---

(١) شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ط ٢ ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٦م ، ص١٧٢ .

(٢) عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ١٤٣ .

مقبول ، وكان يحلق تارة ويبدع ، وأخرى يقلد ويلتمس قبسات من الأجداد ، فهو بين مدّ وجزر . لكنه لم يستطع ــ في الغالب ــ أن يبقى في مستوى واحد من التقليد والإبداع في قصيدة واحدة " (١) ومن نماذج الصور البيانية التي اشتملت عليها قصائد الأم ، ما جاء في قول الشاعر محمـــد عبد القادر فقيه في قصيدته " أمـــاه " :

أمـــاه .. يا واحـــةً غنّـــاء ناضـــرةً * الـــورد .. والزهرُ في أفنانها انعقدا

تحنـــو على كبدي الواهـــي خمائلُهـــا * وتمسحُ الدمـــعَ من عينـــيّ والسّهدا

تحنـــو عليّ وتـــرويني جداولهـــا * وأقطـــعُ العمر في أفيـــائها رغـــدا

يا جنـــةً .. من جنانِ الله قـــد بعُـــدت * طال الحنينُ لها،والعمرُ صار سدى(٢)

شبه الشاعر أمه بالواحة الغناء النضرة ، وقد تعانقت ورودها وأزهارها ، تحنو عليه ، وتمسح دمعه وأحزانه . وشبهها أيضاً بالجنة الفسيحة ذات الخضرة والبهاء ، ووجه الشبه بينهما الصفو والحنو ، والجمال والنقاء .

وكذلك تشبيه الشاعر حسن القرشي والدته بالشجرة الوارفة الظلال يستظلون بها ، ويتقون لفح الأعاصير والكروب ، وكذلك تشبيهها بالدرع الواقي الحصين الذي يرد عنهم عاديات الزمان وخطوبه :

كنّـــا بظلّك نتقـــي * لفـــح الأعـــاصـــرِ والكـــروب

ونـــردُ عـــاديـــة الـــزمـــا * ن بـــدرعكِ الـــواقـــي المُهيـــب

فاليـــوم لا ظـــلّ يقيـــ * ـــنا لفحـــةَ الهـــولِ العصيـــب

---

(١) انظر : بكري أمين : مرجع سابق ص ٤٢٦ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة " صور وظلال " ص ٥٨٢ وتاليتها .

كـــــلا ولا درعٌ يحطُّـــــــ * ـــمُ رميـــــة السهمِ المصيـــب (١)

المتأمل في هذه الصور الشعرية السابقة ، قد لا يشعر بتدفقٍ عاطفيٍ ، أو اهتزازٍ شعوري؛ لارتكاز الشعراء ــ تقليدياً ــ على صور بيانية سطحية صريحة . وهذا مما أفقدها الجمال والابتكار، " فالصور التعبيرية الإيحائية أقوى فنياً من الصور الوصفية المباشرة " (٢)

أما الشاعر عبد الرحمن اليحيا فقد شبه أمه بالقدس ، والسبب في اختياره القدس إيحاؤه بالتقوى والورع والصلاح ، فكأن الشاعر قد خلع هذه الصفات الحميدة على أمه ، فصارت مجسدة فيها . يقول الشاعر في قصيدته " يا أيها الطهر " :

عشنـــــا سنينـــا وكنت القدس في ورع * تبكيـــن لله في بحـــر وفي جبـــل(٣)

ومن التشبيهات أيضاً تشبيه الشاعر إبراهيم فوده فقده لأمه كمن فقد الحياة بمظاهرها المختلفة ، جمالها وصفاؤها الذي لا يشوبه كدر أو ضيق ، وشبه وجودها من قبل كأنها سر الكهرباء التي تنير الحي وتبث فيه الحياة . يقول في قصيدته " أمـــي " :

أُمّـــــي ومن فقـــد الأمـــومـــةَ (م) شبْـــــه من فقـــد الحيـــــاه

هي شُحنَـــــةُ الحـــــبِ التـــي (م) بلـــغ الـــوجـــودُ بهـــا ذراه

وكأنّهـــــا في الحـــي ســـرٌ (م) الكهـــــرباء لِمَـــنْ وعـــــاه(٤)

شبه الشاعر الأم بسر الكهرباء ؛ لأنها تبعث الحياة بدون أن يرى أحدٌ أثرها .وتشبيه الأم هنا بسر الكهرباء معنى جديد في الشعر الحديث ، لم يتطرق إليه الشعراء قديماً ، إلا أنهم شبهوا بما يماثل

---

(١) نداء الدماء ص ٧٢ .

(٢) محمد غنيمي هلال : مرجع سابق ص ٤٢٦ .

(٣) الأجنحة المسافرة ص ١٧١ .

(٤) مجالات وأعماق ص ١٤٦ .

هذه الصورة ، وهي النار التي تضيء المكان ، وترشد الزوار ، ونجد ذلك عند الشاعرة الخنساء(١) ترثي أخاها صخر :

وإن صخـــراً لتأتـــمّ الهـــداة به • كأنه علـــــمٌ في رأســـــه نـــــارُ (٢)

فكأن الشاعر إبراهيم فوده حرص على انتزاع صورته الشعرية من بيئته وما يتناسب وركب الحضارة والتطور ؛ لأن أصالة الشاعر تكمن في اختياره للصور البيانية الصادقة ، حتى تكون " مادة غزيرة للكشف عن جوانب الحياة والطباع ،ومظاهر السلوك ، والنشاط الإنساني ، في أطوار البداوة والحضارة " (٣)

ومما يلاحظ أن بعض الشعراء قد اعتمدوا على التشبيه في تشكيل صورة الأم الفقيدة ــ لا سيما أن ــ لهذه الظاهرة علاقة كبيرة بعاطفة البنوة ، فحديث الابن عن أمه كثيراً ما يأتي في معرض حديثه عن صفاتها ومناقبها ." ومن هنا امتزجت عاطفة الاعتزاز والفخر بعاطفة الحزن الهائجة ، مما أدى إلى التخفيف من عنفوانها ، فكثر التشبيه في هذه الصورة لأنه لا يستخدم في حالة الانفعال الشديد " (٤)

والشعراء لم يقف بهم الحدّ عند التشبيه لغرض الإبانة والتوضيح ، بل حلّقوا على أجنحة الاستعارة لبث الحركة والتجسيد . وهاهو الشاعر حسن القرشي ، وقد تجلت نفسيته الحزينة المتألمة من خلال صورته الخيالية التي نهلها من معين الشعراء في الأدب العربي (٥) حين شبه الموت

---

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد ، شاعرة جاهلية ، كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني ، وتقف بالموسم فتسوّم هودجها بسومة. وقد تعاظم العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ابني عمرو ، وتشددهم فتبكي الناس .. (انظر : ابن قتيبة : مرجع سابق ١/ ٣٤٣ وما بعدها) .

(٢) ديوانها ، ط د ، دار صادر بيروت ، ت د ، ص ٤٩ .

(٣) علي الأردي : غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، ط د ، دار المعارف مصر ، ١٩٨٣م،ص١٩.

(٤) منير صالح يحي : مرجع سابق ص ١٦٠ .

(٥) من ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي : وإذا المنية أنشبت أظفارهـــــا • ألفيت كل تميمة لا تنفـــــع

والهلاك وهو يبطش بالإنسان في قوة وشدة ، بالحيوان المفترس حين يثب على فريسته فينهشها نهشا حتى الموت ، وحذف المشبه به الحيوان وأتى بشيء من لوازمه وهي الوثوب على سبيل الاستعارة المكنية . يقول الشاعر في قصيدته " أماه " :

لـو تفتـــدين سخـــا الفـدا * ء مـن الجـــوانـــح والقلـــــوب

وبـذلتُ روحـــــي أتقـــي * بطـــش الردى عنـــــد الوثـــوب(١)

وهناك قول الشاعر محمد حسن عواد مخاطباً القبر في قصيدته " في بيتها وعلى قبرها ":

يا فـم الغيب ، كم ترى تبلع الذخـ * ـر الذي تمّ صُنعُـــه من دهـــور ؟

.....

لا تبالي ، يا قبر ، كم مهـــج تفـ * ـنى حـــراراً في جوفك المسجـــور (٢)

فالشاعر صور القبر تصويراً يعكس همومه وآلامه وأحزانه ، فقد شبه القبر وفي جوفه ذخائر نفيسة وعقول حصيفة ، بالإنسان وقد أكل أجود الطعام وأنقاه ، وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الفم والجوف على سبيل الاستعارة المكنية .

وتبرز الاستعارة بجلاءٍ ووضوحٍ أكثر ، في مواقف الموت والفراق والوداع والغربة والأنين " لأنها هي التي تلائم ثورة العاطفة وحدة الوجدان " (٣) ولذا أكثر الشعراء السعوديون من استخدام الاستعارة في رثائهم لأمهاتهم ، وقد عبروا فيها عن مشاعرهم تعبيراً صادقاً يخاطب

= والشاعر هو خويلد بن خالد بن محرث .. أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام فحسن إسلامه . له ابن يقال مازن بن خويلد ، ويكنى أبا شهاب ، وهو أحد شعراء هذيل .. (ينظر : المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، ط ٦، مكان الطبع د ، بلد الطبع بيروت ، ت د ، ص ٤٢٢) .

(١) نداء الدماء ص ٧٠ .

(٢) ديوانه " نحو كيان جديد" ١ / ١٠٧ وتاليتها .

(٣) شوقي ضيف : في النقد الأدبي ص ١٧١ .

العاطفة والشعور والوجدان . فالعاطفة هي قوام العمل الأدبي الذي عليها يقوم ، وعماده الذي عليها يرتكز، وزمامه الذي يقوده لكل حسن وبهاء ، ونواته التي منها ينطلق وإليها يؤول ، فإذا اجتمع حسن التصوير وجيد الخيال ، وصدق العاطفة وعمق الوجدان في قول الشاعر فإنه يبلغ في النفوس أقصى درجات التأثير .

والشواهد ــ بالإضافة إلى ما سبق ذكره ــ كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال ، قول الشاعر فؤاد شاكر حين شبه ضعف الجنان ــ وهو معنى ذهني مجرد ــ بإنسان يقارع ويحارب :

وما أنا خَوّارُ الجنانِ وإنّما * يُقارِعُني طوراً وطوراً أُقارِعُ (١)

والمتأمل لهذه الصورة الخيالية يتبين له ، ما وفر لها من الخطوط والألوان التي أسهمت في إبراز جمالها ، وأول تلك الخطوط البارزة ، صيغة المبالغة " خوّار " على وزن فعّال ، وقد أدت دورها في بيان قوة الصبر والتحمل التي تمثل بها الشاعر ، أما الخط الثاني من خطوط الصورة الخيالية التي اتكأ عليها الشاعر ، فهو أسلوب القصر " قصر الصفة على الموصوف ب"إنما" التي استعملت لتصوير حقيقة النفس البشرية في حالتي الصبر والجلد ، أو الاستسلام والانهيار ؛ لأن الشاعر إذا قارع الضعف وحاربه وانتصر عليه ، عندها يستطيع الشاعر أن يثبت أمام النوازل ، أما إذا قارعه الضعف والخوار وانتصرا عليه ، عندها ينقلب صبر الشاعر جزعاً ، وعزمه قد انهار واندثر . والشاعر هنا في تناقض مع نفسه ، فبعد أن حاول إيهام القارئ بأنه يمتلك عزيمة وصبرا تجاه مصائب الدهر ، وعلى رأسها فقد أمه وابنته ، فإذا به يجزع وينهار . وتلك سمة عامة في النفس البشرية ، فهي مجموعة من العواطف والمشاعر التي تقوى حيناً ، وتضعف حيناً آخر . وقد أدت الصورة الجمالية " يقارعني طوراً وطوراً أقارعه " دورها وأثرها في تقوية المعنى ، فقد شخص الشاعر الضعف وجعله في صورة إنسان يقارع ويحارب ، فحذف المشبه به الإنسان ،

---

(١) وحي الفؤاد ص ٢٨٧ .

وأتى بشيء من لوازمه وهي المقارعة والقتال على سبيل الاستعارة المكنية .

ومثله أيضاً الشاعر قول الشاعر غازي القصيبي في جدته :

حبيبتـــــــــــي

الفنـــدقُ الصاخـــــبُ ،،والصـــديـــق

والســـــــــؤال والـــجـــــــواب

سكـــــــــت يـــــــا حبيبتـــــي

وعـــــــــربـــــد العـــــــــذابُ (١)

شبه الشاعر العذاب بإنسان سيئ الأخلاق والأفعال ، وحذف المشبه به ، وأتى بشيء من لوازمه وهي " العربدة " أي سوء الخلق ، على سبيل الاستعارة المكنية التي كان لها دورٌ في تشكيل تجربة الشاعر وتصيقها . يقول شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في معرض حديثه عن الاستعارة المفيدة : " فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والمعاني الخفية بادية جلية ، وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جُسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون " (٢)

ولم يبلغ أحد من الشعراء في كثرة استعاراته في القصيدة الواحدة مبلغ الشاعر عبد الرحمن اليحيا ، الذي بزّ أقرانه في كثرة اعتماده على التشخيص والتجسيم في قصيدته " ألم" ، وقد أدى الخيال دوره في بعث الحياة في المعاني والمجردات ، وتحريك الأفكار والجمادات، فإذا بنا نجد " النفس " وهي أمر معنوي مجرد يجسمها الشاعر في صورة محسوسة تبكي وتتألم، وكذلك صنع

---

(١) سيرة شعرية ص ٧١ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٤٣ .

مع "الروح" ، فجعلها تحترق ، و" الأفكار" وهي كذلك معنى ذهني مجرد ، يحيلها إلى إنسان يقاتل ويحارب ، و"الفهم" أيضاً جعله الشاعر كإنسان يقع في حيرة وتردد ، و" الأيام" غاضبة عابسة ، و" الدهر" قد جار وظلم ، و" الآلام " قد أصابها الحزن والغم والكرب ، و" الضحك " قد هلك ومات..

الجرحُ قد غـار في الأعماقِ يلتهبُ • والقلبُ في الصدرِ بات اليوم يضطربُ

والنفس تبكي مـع الأيام غُربتَهـا • والروحُ تُحـرقُ والأفكارُ تحتَـربُ

والفهـمُ قد حار والأيامُ عابسـةٌ • والدهـرُ قد جار والآلامُ تكتـربُ

والضَحكُ قد مات مما عشتُ منتحـرا • والصبرُ قد عـزَّ والعينـان تنتحبُ(١)

والشعراء ــ بصفة عامة ــ " عندما يتناولون الماديات والمحسوسات التي لا حياة فيها ، يميلون إلى تشخيصها ، وذلك بإضفاء الصفات الإنسانية عليها ، محاولين إبراز معالم الصورة وجوانبها ؛ حتى يقترب المعنى الذي جلبت لتأديته ويتضح ، ومن ثمّ التأثير في عالم المتلقي " (٢)

ومن الصور الخيالية التي اعتمدت في تصويرها على الاستعارة المكنية ، قول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته " عندما يورق الحب " :

أمّـاهُ..يا لحن الصفـاءِ بخاطري • لا تخذلـي همـاً ولا أحـزانـا

مهمـا تطاولـت الهمومُ ، فإنّهـا • تُغْضِـي أمـامَ المُتَّقـي، إذعانا(٣)

فقد شبه الشاعر الهموم وهي تغضي أمام التقي المؤمن إذعاناً ، بالإنسان الذي يغضي جفونه إذعاناً واستسلاماً ، وحذف المشبه به الإنسان ، وأتى بشيء من لوازمه وهو الإغضاء على

---

(١) الأجنحة السابحة ص ٢٦٥ .

(٢) مفرح سيد : مرجع سابق ص ٣٦٨ .

(٣) صراع مع النفس ص٩٧ .

سبيل الاستعارة المكنية .

ومثله قول الشاعر سعد البواردي في قصيدته " بكر الخمسين " :

خمســـــون عامـــاً دون طفـــل

ويـــــح ماضيهـــا الخئـــون

وطغـــى بهـــا اليـــأس المـــر

يـــع .. وأجدبـــت منها الظنون

حتـــى إذا بلـــغ الـــزُبـــى

من يـــأسِهـــا... ضحك اليقيـــنُ(١)

فعندما بلغ الجهد غايته بالمرأة التي كانت تحلم بالأمومة ، وبلغ بها اليأس أشده ، ضحك لها اليقين " دلالة على تحقيق الأمر وإزاحة الشك " وعلى هذا النحو تم عرض المعنى مصورا بصورة محسوسة ليزداد بذلك تعريفاً ووضوحاً .

ولا يفوتنا أيضاً اهتمام الشاعر ببثّ الحركة والحيوية في أوصال عباراته ، حتى بدت نابضة بالحياة مليئة بالحركة ، وذلك حين أسبغ بخياله الخصب على اليقين ثوب الحياة الإنسانية . فإذا هو يضحك ويفرح .

وإلى جانب تلك الصور البيانية التي اعتمد فيها الشعراء السعوديون على التجسيم والتشخيص ، هناك صور أخرى تتمثل في الكنايات التي تعتبر وسيلة من وسائل التعبير البياني ، وعرفها الشيخ الجرجاني بقوله : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ

---

(١) أغنية العودة ص ٧٧ .

الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفُهُ في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم : "هو طويل النجاد " يريدون طويل القامة .." (١) ومن نماذج الكنايات التي احتوتها قصائد الأم قول الشاعر فؤاد شاكر :

تحملـــت من دهـــري على طول يومـــه * من الهول ما تصطكُّ منه المسامعُ(٢)

" تصطك منه المسامع " كناية عن انتفاء السمع . وقوله أيضاً :

أتاني رســولُ البرقِ في ملعبِ الهــوى * فيا سُــوء ما زفَّتْ إلـــيَّ الطــوالعُ(٣)

كنى الشاعر بعبارة " ملعب الهوى " عن مكان تواجده حين علم بوفاة أمه وابنته " مدينة الإسكندرية " . واستطاع الشاعر باستخدامه لتلك الأداة البيانية أن يعرض للقارئ المعنى بصورة مفعمة بالدلالة ، ويبين له كيف كان يعيش حياته في لهو ومرح غير مدرك لكثير من الأمور .

ومن تلك الكنايات التي أبرزت المعنى وجعلته أكثر وضوحاً ، قول الشاعر محمد حسن عواد في قصيدته " المرأة بإيحاء طفلة جميلة " :

واجـــبٌ تهذيبُهـــا فهـــي لنـــــا ال * أمُّ والزوجـــةُ والحصـــنُ المكيـــــن (٤)

" الحصن المكين " كناية عن الصيانة والحفظ .

وكذلك قول الشاعر طاهر زمخشري في قصيدته " أمي " :

أهـــاض جنـــاحي مذْ أُصيبـــتِ بلوثةٍ * فضاع بهـــا منكِ التـــودُدُ والبِـــرُ(٥)

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٦٦

(٢) وحي الفؤاد ص٢٨٧ .

(٣) المصدر السابق ص٢٨٧ .

(٤) ديوانه " أناس وأطلال" ١/ ٧٥ .

(٥) مجموعة النيل " ديوان قفاص الزبيع " ص ٢٨٩ ، أهاض : كسر (اللسان : هيض) ، بلوثة : اللُّوثةُ مس جنون (اللسان : لوث)

" أهاض جناحي " كناية عن ضعفه وقلة حيلته .

ومثله الشاعر عبد الله إدريس في قصيدته " مأساة الطائرة " :

عطفُ الأمـــومـــةِ كمْ تجلـــى باهـــــراً * في مشهـــد لا يحتويـــــه إطـــــارْ

أمٌ على الطفـــلِ الصغيرِ تكـــــــــورتْ * شُحًّا بـــــه أنْ تجتـــويَه النـــــارْ (١)

أراد الشاعر أن يصف حب الأم وحنانها وخوفها على طفلها،من أن تجتويه النار فتحرقه ، فأتى بما يدل على الإحاطة به وتحمل المشاق ، ومجابهة الأخطار في سبيل حياته ،وقال " تكورت " كناية عن الإحاطة والشمول .

وبالإضافة لتلك الصور البيانية التي ذكرت سلفاً ، هناك صور أخرى أعتمد الشعراء فيها على الرمز ، ونهجوا في سبيل ابتداع صورهم الرمزية تراسل الحواس ، أي " وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى ، فتعطي المسموعات ألواناً ، وتصير المشمومات أنغاماً ، وتصبح المرئيات عاطرة ..."(٢) ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر غازي القصيبي في قصيدته " أماه " :

" تمضـــــي ؟ " ويرتعـــشُ الأســـى * سُحبـــاً تحـــــومُ على سنائك (٣)

وإن كان في تركيبه اللغوي " يرتعش الأسى " نوعٌ من الاستعارة ، حيث شبه الأسى بالإنسان ،وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهي الرعشة ، على سبيل الاستعارة المكنية. إلا أن هناك جانباً آخر جديراً بالملاحظة ،وهو اعتماد الشاعر في تصويره البياني على تراسل الحواس ؛ لأن الرعشة تدركها حاسة اللمس أو البصر ، أما الأسى فهو شعورٌ معنوي يدرك بالعقل ،

---

(١) في زورقي ص ١٩٥ .

(٢) محمد غنيمي هلال : مرجع سابق ص ٣٩٥ .

(٣) معركة بلا راية ص ٢٧٨ .

نقله الشاعر من الإحساس بالعقل إلى حاسة أخرى وهي الارتعاش .

ومن تراسل الحواس أيضاً قول الشاعر حسن عبد الله القرشي في قصيدته " اليتيم " :

حيــثُ يسري الدفءُ اللذيذُ بنفسي * بعد برد عاتــي الطبيعةِ جائـــــرْ (١)

" فالدفء إحساس لمس ، إلا أن الشاعر حوله عن طريق هذا التركيب اللغوي إلى مجال حاسة أخرى ، وهي حاسة الذوق ، حيث نعته باللذة " (٢)

وبناءً على ما سبق ذكره من نماذج تراسل الحواس ، يلاحظ أن الشاعر السعودي وإن تشعبت معانيه وأفكاره ، فإنها لن تنصهر في بوتقة لغة التعبير الأدبي المألوفة ، لتوحي بما اكتنفه من أحاسيس ، وما غمض من مشاعر ، إلا إذا لجأ إلى أسلوب تراسل الحواس ، واستعان به ليجعل المحسوسات تخلع عنها حسيتها وماديتها ، وتحيلها إلى مشاعر فذة من نوعها ، وأحاسيس لها خصوصيتها وكيانها .

ومما يجدر الإشارة به في نهاية مطاف هذا الفصل ، أن الشعراء السعوديين ، قد تباينوا في استخدامهم لتلك الأدوات البيانية السالفة الذكر ، وتباينوا في رسم صورهم الخيالية التي ساعدتهم في تسجيل خلجاتهم ، ونقل معانيهم ، والتعبير عن عواطفهم وأفكارهم ،إذ إن التعبير بالحقيقة المجردة ، لم يكن ليبلغ بتلك الأحاسيس والمعاني والأفكار والخلجات ما يبلغه بها التعبير بالتصوير والخيال ؛ " لأن الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس به ، سريعة إلى التأثر بصوره".(٣)

* * *

---

(١)ديوانه ١ /٢٣٤ .

(٢) مفرح سيد : مرجع سابق ص ٢٧٥ .

(٣) أحمد أحمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب ، ط د ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٩م ص٥١٠ .

الفصل الخامس

التشكيل الموسيقي

التشكيـــل المـوسيقـــي

شغف الفكر الإنساني بالثنائيات منذ الأزل ، فقد تلمسها في نفسه روحاً وجسداً ، وتمثلها في جنسه ذكراً و أنثى ، واتسدلت على أفعاله خيراً وشراً .

وقد أسبغ الفكر الإنساني هذه الثنائيات أيضاً على فنيات العمل الأدبي ، ما اتفق منها وما اختلف كالفكر والأسلوب،والوزن والقافية اللذين يعدان لبنتين من اللبنات الأساسية لبناء شكل الشعر ، وتوفير الإيقاع الموسيقي لبنائه . ويرى صاحب العمدة : " أن الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالبٌ لها ضرورة " (١)

والشعر بهذه النغمة الموسيقية ، تتوافر له نواحٍ جمالية تنبعث من معناه ، إذ إن للشعر الموزون إيقاعاً " يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حُسن تركيبه واعتدال أجزائه ، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة وزن المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تمّ قبوله له ، واشتماله عليه ، وإن نقص جزء من أجزائه التي يكمُلُ بها ــ وهي : اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الألفاظ ــ كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه " (٢)

وموسيقى الشعر تعتبر من أفضل الصور الموسيقية وأعلاها شأناً ــ وكما هو معلوم ــ أن النثر تتوافر فيه موسيقى نابعة من السجع ، إلا أن الموسيقى الشعرية " تزيد من انتباهنا ، وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً واقعياً علمياً ، إضافة إلى ما تهب الكلام من مظاهر العظمة والجلال ، وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه " (٣) لذا حرص الشعراء على أن يكون لشعرهم نغمٌ موسيقيٌ يغذي المشاعر

---

(١) ابن رشيق ١/ ١٣٤ .

(٢) ابن طباطبا العلوي : مرجع سابق ص ٢١ .

(٣) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر، ط ٥ ، دار الطبع وبلد الطبع د ،١٩٨١م ، ص ١٦ .

والنفوس ، ويمكن من خلاله التعبير عن تجربة الشاعر الذاتية ؛ " إذ يُعدُّ الوزن بنية هامة من بنيات التركيب العام للتجربة ، وسبباً من أسباب الالتحام ، والالتئام ؛ فهو يسهم مع غيره من بنيات النص في تصوير الوجدانات من خلال إيقاعه الذي يُفترض فيه أن يكون منسجماً مع السياق الشعري باعتبار الوزن جزءاً من الأسلوب الشعري العام في مفهوم الأسلوب الواسع " (١) وهذا ما دعا بعض النقاد القدامى والمحدثين إلى أن يتطرقوا إلى الحديث عن العلاقات والوشائج التي تربط بين الأوزان الشعرية ، والمعاني التي يتطرق إليها الشعراء ، والحالات النفسية التي تنتابهم ، محاولين الربط بينهما .

من النقاد القدامى الذين أشاروا لمثل هذه العلاقة أبو هلال العسكري في قوله لمن أراد أن يعمل شعراً " أن يطلب للمعاني التي أحضرها فكره وزناً يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها " (٢) ووافقه هذا الرأي ابن طباطبا فرأى " أن الشاعر إذا أراد بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه " (٣)

أما نقاد الطبقة المجددة من القدامى ، فهناك حازم القرطاجني في معرض حديثه عن بناء الأشعار على أوفق الأوزان إذ يقول : " ولمّا كانت أغراض الشعر شتّى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان و يخيّلها للنفوس . فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد في موضع قصداً هزليا

---

(١) محمد بن مريسي الحارثي : عمود الشعر العربي "النشأة ، والمفهوم" ، ط١ ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص ٤٩٧ وتاليتها .

(٢) الصناعتين ص١٥٤ .

(٣) عيار الشعر ص٧ وتاليتها .

أو استخفافياً وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء " (١) وكما حاول بعض النقاد المحدثين أن يربطوا بين الوزن الشعري والمضمون ، كذلك ربطوا بين الوزن والعاطفة ، وقد لاحظوا أن للعاطفة وحالة الشاعر النفسية دوراً كبيراً في اختيار الوزن الشعري ، وعلى هذا الرأي ذهب كولردج إلى أن " مصدر الوزن هو العاطفة أو الانفعال بمعنى أن الذي يختار الوزن الشعري انفعال الشاعر نفسه ، فعندما تثور في نفس الشاعر عاطفة جياشة يلجأ إلى الوزن أو الموسيقى لأنهما أقرب الوسائل للتعبير عن العواطف المشبوبة ، ولأنها هي الأخرى بدورها أكثر الوسائل قدرة على تبليغ العاطفة وإثارتها عند القارئ أو السامع " (٢) بل ذهب بعضهم إلى " تحديد طابع نفسي لكل وزن أو مجموعة من الأوزان الشعرية ؛ فبعض الأوزان يتفق وحالة الحزن،وبعضها يتفق وحالة البهجة وما إلى ذلك من أحوال النفس "(٣) وقد ربط إبراهيم أنيس بين العاطفة والوزن، فرأى " أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه ، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات.."(٤) . وقد ينطبق هذا على قصيدة الشاعر علي زين العابدين " أنا يا أم مظلوم " وفيها يبث أنينه وحزنه لأمه ، ويشكوها عقوق أبنائه له . يقول في مطلعها :

حصـــــدتُ الشـــــوك يا أمّـــــي * وبِئْـــــس الشـــــوكُ مِنْ طُعْـــــمِ (٥)

---

(١) منهاج البلغاء ص ٢٦٦ .

(٢) محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، ط ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ، ١٩٧٨م ، ص٢٤٧.

(٣) عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب ، ط ٤ ، دار العودة بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٥٩ .

(٤) موسيقى الشعر ص ١٧٧ وتاليتها .

(٥) هذيل ص ٢٠١ وما بعدها .

فقد ثارت في نفسه عاطفة جياشة ، فدعاه ذلك إلى أن ينظم قصيدته على مجزوء الهزج الذي يتلاءم وسرعة انفعاله وألمه ، وازدياد نبضات حزنه وهمه . وقريب منه الشاعر محمد عبد القادر فقيه ، الذي نظم قصيدة بعنوان " قلب الأم " يرثي فيها والدته ، وإن كان الشاعر قد نظمها على مجزوء الرجز ، وهو بحر قصير يتلاءم وسرعة التنفس والانفعال ،إلا أنه ــ من وجهة نظري ــ أشعر بأنه بحرٌ قصيرٌ راقص ، قد أسبغ الشاعر على مقاطعه غنائية لا تتلاءم وعاطفة الرثاء . يقول الشاعر في مطلعها :

كـــــمْ مُهجـــــةٍ ضلَّـــــتْ علـــى * خطْبِـــي وغـــادرها الســـدادُ (١)

أما إذا كان الشاعر في حالة من الهدوء والاسترخاء، والتعقل فإنه يميل إلى البحور ذات المقاطع الطويلة ، ومثال ذلك قول الشاعر فؤاد شاكر يرثي أمه وابنته ، في قصيدته " أنشودة الألم الحزين " وقد نظمت على بحر الطويل ، الذي يتلاءم والمراثي الشجية الطويلة بعد أن " هدأت ثورة الفزع ، واستكانت النفوس باليأس والهم المستمر " (٢) يقول في مطلعها :

هـــو الحزنُ حتى مـــا تجِفُّ المدامع * وحتى يـــرُدَّ البينُ ما ليس راجعْ (٣)

ومثله نظم الشاعر طاهر زمخشري قصيدتيه " أمي " و " غلبت على أمري" على بحر الطويل .يقول في مطلع الأولى :

حنانيّـــــكِ أمي لا عُقوقٌ ولا نُكرُ * ولكنَّها الآلام فـــي قبضتي سفرْ (٤)

وفي مطلع الثانية :

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة " صور وظلال " ص ٥٨٤ .

(٢) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ص ١٧٨ .

(٣) وحي الفؤاد ص ٢٨٧.

(٤) مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع " ص ٢٨٨ وتاليتها .

غُلبتُ على أمري وأصبحت ليس لي * سواك وحتى أنت ضمنك أكفان (١)

أما المدح فهو من الموضوعات التي تتوافر لها الرصانة والفخامة والبهاء فكان الأجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع ، كالطويل والبسيط والكامل ، ومثل هذا يمكن أن يقال في الوصف بوجه عام "(٢)ومن نماذج اتكاء الشعراء السعوديين على هذه البحور الشعرية ، كثيرة المقاطع قصيدة الشاعر عبد الرحمن العشماوي " عندما يورق الحب " وفيها يمدح الشاعر والدته ، ويسبغ عليها عظيم الشمائل ، وطيب الخلال . وقد نظمت على بحر الكامل . يقول في مطلعها :

أمـــــاه .. صوتـــكِ زادنـــي إيماناً * فغدوت أزرع فـــي الفـــؤاد حنانـــا(٣)

ومثلها أيضاً قصيدة الشاعر إبراهيم الدامغ " عيد الأم " . وقد جاءت على بحر الكامل . يقول في مطلعها :

عيـــد يعـــود ببسمـــة وعنـــاقِ * وطهـــارة ومحبـــة وتـــلاقـــي (٤)

ومجيء بعض قصائد الأم موافقة لتلك العلاقة التي تربط بين الوزن والمضمون ، أو بين الوزن والعاطفة ، ليس معناه أن نتخذ ذلك قاعدة ثابتة يلزمها الشعراء في تخير وزن من الأوزان تحت تأثير عاطفة خاصة ." فهل اتخذ القدماء لكل موضوع من الموضوعات وزناً خاصاً أو بحرا خاصاً من بحور الشعر التي رويت لنا ؟ إن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرنا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٠ وتاليتها .

(٢) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ص ١٧٨ .

(٣) صراع مع النفس ص٩٧ وما بعدها .

(٤) شرارة النار ص٩٥ .

بمثل هذا التخير ، أو الربط بين الموضوع الشعري ووزنه : فهم كانوا يمدحون ويفاخرون أو يتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعت عندهم . . وقد يكون من المغالاة أن نتصور اشتراك الشعراء في العاطفة لمجرد اشتراكهم في موضوع الشعر " (١) فالحالة الشعورية عند كل شاعر تختلف باختلاف الشعراء ، واختلاف تأثرهم بعدة عوامل كالبيئة والثقافة .. وغيرهما ، إضافة إلى ذلك فإن الشعر " ليس هندسة ذهنية ، وإنما هو انفعال في أكثر مراحله التكوينية ، فما وافق النفس من الأوزان والوحدات الإيقاعية في حالة تصوير تلك الانفعالات كان ذلك صورة صادقة لطبائع النفوس المبدعة " (٢) وبالنسبة للشعر السعودي ــ وما يختص بموضوع الأم ــ يلاحظ أن الشعراء السعوديين قد تفرقت بهم السبل في تعاملهم مع التشكيل الموسيقي ، فالتزم صفوة منهم " عمودية الشعر " بلحمته القديمة. فكان منهم المحافظ المبدع ، والمقلد المفرط ، والمخضرم الذي التزم العروض الخليلية.

وهذه الطبقة من العموديين أمثال الشاعر فؤاد شاكر في قصيدته "أنشودة الألم الحزين "(٣) ، والشاعر أحمد الغزاوي في قصيدتيه " مأساة ومواساة " (٤) و" حنان الأمومة " (٥) ،ومن سلك طريقهما من المعاصرين لهما، واللاحقين بهما، وقصائد هذين الشاعرين تحمل في ثناياها خصائص القصيدة العربية في لفظها ومضمونها ، وفي طريقة تعاملها مع الحدث ، وفي وصفها الخيالي .

في حين سلك بعض الشعراء السعوديين طريق التجديد في الشكل العروضي للقصيدة الحديثة فظهر الشعر الحر، اتكاءً على دعوات نازك الملائكة، والسياب، والبياتي ، ومن نهج نهجهم

---

(١) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ص ١٧٧ .

(٢) محمد الحارثي : مرجع سابق ص ٥٢٨ .

(٣)وحي الفؤاد ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٤) الأصداء الشعرية الكاملة ٤ / ١٥٦٨ وما بعدها .

(٥) المصدر السابق ٤ / ١٦٩٦ وما بعدها

وسار على هديهم ، وقد استهوى هذا التجديد السواد الأعظم من الشعراء السعوديين . منهم على سبيل المثال ــ فيما يتعلق بقصيدة الأم ــ الشاعر غازي القصيبي ، وقد نظم قصيدة له من الشعر الحر . يقول فيها :

حبيبتـــــــــــي

ضـــــوء المطـــار يلســـــــع المـــــاء

وطفلـــك المشـــــدوه موجتـــــان تنبضـــان

بـــــالـــرجاء والشقـــــــاء

حبيبتـــــــــــي

الفنـــــدق الصاخـــب .. والصديـــــق

والســـــــؤال والجـــــواب

سكـــــت يـــا حبيبتـــــــي ..(١)

فقد توطدت علاقة القصيبي مع الشعر الحر بعد تعرفه على الشاعر بدر السياب من خلال شعره . وكانت رائعة السياب " المومس العمياء " هي أول ما قرأ له وكان يحفظها كاملة ، وكذلك قصيدته الشهيرة " أنشودة المطر " وأغلب القصائد التي كتبها في الشعر الحديث متأثرة بالسياب في المضمون وأحياناً في الأسلوب. (٢)

ومن مظاهر التجديد أيضاً في الشكل العروضي ، مجيء النثريين إلى الساحة الشعرية ، ليؤكدوا قدرتهم في تخطي قيود التفعيلة والقافية ، وترسيخ ما يسمونه " القصيدة النثرية "

---

(١) سيرة شعرية ص ٧٠ وتاليتها .

(٢) انظر : المصدر السابق ص ٢٧ وما بعدها .

وما يكتنفها من غموض وعجز ، وحمل لواء هذا التجديد الشاعر محمد حسن عواد ، وقد ظهر ذلك جلياً في قصيدته النثرية " إليهن " يخاطب فيها المرأة السعودية . يقول في بعض أبياتها :

أنتُـــنّ أمّهـــــاتُ المستقبـــــل

وهذا الوطنُ أمكُـــن الأولـــى الكبيـــــرةُ الشاملـــــة

أمكُـــن وأمُنّـــا وشدّ ما وجـــب للأمّ البـرُ والوفـــاءُ والحب

ليكـــن حُبُكُـــن لها ثمنـــاً للرعايـــة والحنـــو من جانبها

فالأم شـــيء كبيـــر

والأنثـى شيء محتـــرم ٠٠٠(١)

" ومما يستدعيه السياق في هذا المجال أن بعض المجددين في الوزن المتخففين بهذا التجديد من عسر الشكل القديم لم يأتوا بشيء ذي بال في المضمون ، كما لم يغيروا من طرق العرض ومن كيفية التناول ،وأسلوب التعامل مع اللغة والصورة،وهذه الحيثيات التي دفعت للتجديد لم تتأت لهم ، مما جعلهم موضع المؤاخذة لأن الخروج على عروض الخليل إن لم يستتبع استجابات فنية لم تكن متداولة بين شعراء القديم يعد إخفاقاً فنياً . " (٢) والمجال هنا ليس مجال عقد موازنة بين طرائق الشعراء في تعاملهم مع التشكيل الموسيقي لقصيدة الأم ، وإن كانت الباحثة قد فكرت في عمل إحصائية لمعرفة البحر العروضي لكل قصيدة من قصائد الأم ، وما طرأ عليه من تجديد في أوزانه وقوافيه ، ولكن تلك الإحصائية قد تكون محدودة الفائدة أو لا فائدة منها ؛لأن فعل ذلك يكون أفضل ، حين تقوم أي باحثة بدراسة شاعر معين ، والباحثة هنا ليست بصدد المفاضلة بين الشعراء

---

(١) ديوانه " رؤى أبوانون " ، ط ٣ ، مطبعة دار العالم العربي ، بلد الطبع د ، ٢-١٣٩٩هـ ، ص٣٧٣ وتالياتها .

(٢) حسن قهويمل : مرجع سابق ص ٥٢٨ .

ولكنها أرادت أن تعطي القارئ لمحات سريعة بالجانب التنظيري لتخلص منها إلى ممارسة بعض الشعراء السعوديين ونظمهم في قصيدة الأم ، ومدى إجادتهم وإخفاقهم فيها .

القـــوافـــي :

مما يساعد على تحقيق الإيقاع الموسيقي ، واتساق النغم وتنظيمه في القصيدة ،عملية الانسجام والتوافق بين حروف أواخر الأبيات ، بالاتحاد في نوعها ، أو في حركتها ، أو إعرابها ، وهو ما يسمى " القافية " .

والقافية ــ في أحد معانيها ــ هي " عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكررها هذا يكوّن جزءاً هاماً من الموسيقي الشعرية " (١) ولها دورٌ فعالٌ في تحقيق إيقاع السياق الشعري ، في كونها " فاصلة موسيقية يتوقعها الشاعر والمستمع أو القارئ في نبرات وتوقعات زمنية ، تترقبها الأذن في معاودات مقطعية موسيقية تكاد تتكهن الأذن بها طبقاً للمعنى سواء أكانت كلمة أو جزء كلمة أو كلمة وبعض كلمة ، وآخر حرف فيها هو الروي الذي بُني عليه القصيدة فتقول هذه القصيدة دالية أو سينية ونحوهما " (٢) وقد اهتم العروضيون بهذا الروي ، وقسموا على ضوئه القافية إلى قسمين :

- قوافٍ مطلقة : ما جاء حرف الروي فيها متحركاً .
- قوافٍ مقيـــدة : ما جاء حرف الروي فيها ساكناً .

وقد جاءت أغلب قصائد الأم من النوع الأول ، وهي القافية المطلقة ؛" لما تتسم به القافية المتحركة من وضوح وقوة تأثير تتناسب مع الإنشاد ، إذ تعوّدت الآذان أن تسمع شيئاً بعد الروي" (٣) أما

---

(١) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ص ٢٤٦ .

(٢) يوسف نوفل : مرجع سابق ص ١٥٣ .

(٣) المـــرجع السابق ص ١٩٠ .

النوع الثاني وهي القوافي المقيدة ، فقد نجدها عند بعض الشعراء ، أمثال الشاعر غازي القصيبي. يقول في قصيدته " يا صحراء " :

وطفـــت الكـــــون .. لم أعثـــرْ

علـــى أجـــــدبِ مـــن أرضـــــكْ

علـــى أطهـــــر مـــن حبـــــكْ..

أو أعنـــــفِ مـــن بغضـــــك (١)

وقوله أيضاً في قصيدته " أماه " :

هـــــل تذكـــرين ــ وأنت فوق * الحـــزن فـــي دنيـــا الملائـــكْ ــ

كـــم كـــدت في فجـــر الرحيـــل * أفـــرُّ.. خوفاً من وفـــائـــكْ

" تمضي ؟ " ويرتعش الأســـــى * سُحبـــاً تحـــوم على سنـــائـــكْ(٢)

ونجد القافية المقيدة عند الشاعر حسن القرشي في قصيدته " اليتيم " . يقول فيها :

أيُّ عـــــانٍ مشرّد الفكـــــر ساهرْ * لفّـــــه الليـــلُ مكفهر الستائـــــرْ

الصّبـــــا الغضُّ طيُّ بُرْدَيْـــهِ لكـــن * مـــلءُ أجوائـــهِ اللظى والهواجرْ(٣)

ومن القوافي المقيدة قول الشاعرعبد الرحمن العشماوي في قصيدته " ينابيع الحب " . يقول فيها :

---

(١) معركة بلا راية ص ٢٦١ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٧ وما بعدها .

(٣) ديوانه ١ / ٢٣٢ وما بعدها .

لا تشـــــردي يـــا قافيـــــه

وترفقـــــي بفـــؤاديـــــهْ

لا تشـــردي ودعـــي الخيـــا

ل ، وردّدي ألحـــانـيـــــــهْ

.....

لا تشـــردي علّـــي أعبّـــــــ

ـرُ عن مشـــاعر خـــافيـــــهْ

إنّـــي أستقيـــتُ مـــن الأمـــو

مـــةِ كـــلَّ ذكـــرى ســاميـــهْ (١)

واضطرار الشاعر للجوء إلى القافية المقيدة " قد يفسّر على أنه هروب لغوي من حركات الإعراب ، أو تفادياً لمفارقات الحركة الإعرابية في حروف الروي ، أو خضوعاً لوزن التفعيلة ، ومراعاة لزحافها وعللها "(٢)

وهناك ظواهر أخرى تتعلق بالقافية والروي في قصيدة الأم ، نذكر طائفة منها :

(١) الردف بين الواو والياء :

والردف هو " حرف المد قبل الروي بلا فاصل بينهما ، ويكون ألفاً وواوا

---

(١)إلى حواء ص ٢٣ وما بعدها .

(٢) يوسف نوفل : مرجع سابق ص ١٩١.

وياء، وإذا كان ألفاً التزم به الشاعر ، وإذا كان غيرها راوح بينهما " (١)ومن الشعراء من التزم الألف قبل الروي في قصيدته،منهم على سبيل المثال الشاعر إبراهيم الدامغ في قصيدته"عيد الأم " . يقول في بعض أبياتها :

عيـــدٌ يعـــود ببسمـــةٍ وعناق • وطهـــارةٍ ومحبـــة وتلاقـــي

فكأنّمـــا هو في القداسةِ موكـــبٌ • للنـــور في ألقٍ وفـــي إشـــراقِ

فيـــه الهـــدى والحـــق من آلائه • وعليـــه يهفُـــو خاطرُ الأشواق

تتعـــانقُ الآمـــالُ فيه كـــأنّمـــا • وردت لتـــرسُم قبـــلة المشتـــاقِ(٢)

ومثله الشاعر طاهر زمخشري في قصيدته " غلبت على أمري " (٣) ، والشاعر عبدالله بن إدريس في قصيدته " مأساة الطائرة " (٤) ، وكذلك الشاعر إبراهيم فوده في قصيدته " أم إبراهيم" يقول فيها :

لأول مـــرة أحسســـتُ دمعـــي • كجمـــرِ النـــارِ حرّقتـــي لظـــاه (٥)

وقصيدته " أمي " يقول في بعض أبياتها :

أمّـــي ومن فقـــد الأمـــومـــة • شبّـــه من فقـــد الحيـــاه

هي شُحنـــةُ الحـــبِ التـــي • بلّـــغ الوجـــودُ بهـــا ذراه (٦)

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٢) شرارة الثأر ص ٩٥ .

(٣) مجموعة القبل " ديوان أقداس الربيع " ص ٢٨٠ وتاليتها .

(٤) في زورقي ص ١٩٥ وتاليتها

(٥) مجالات وأعماق ص ١٤٥ وتاليتها .

(٦) المصدر السابق ص ١٤٦ وتاليتها .

وقد ألتزم الشاعر إبراهيم فوده في قصيدتيه السابقتين حرف المد الألف قبل الروي الهاء في كامل أبياتهما ، ومثل هذه الحروف تشكل أصوات الندب منها : وا ، آه ، التي توحي بالألم والتوجع والحسرة .

ومنهم من راوح بين الواو والياء في قصيدته ، أمثال الشاعر حسن القرشي في قصيدته " أماه " يقول فيها :

فـــــي عُمـــقِ أعمـــاقي بـــــرو • حـــي في الحنايا ، في الوجيـــــبِ

مثـــواكِ يـــــا أُمَّـــــاهُ ، لا • فـــــي ظلمـــةِ الجـــدثِ الرهيـــــب

لـــو تُفتـــــدين سخـــــا الفـــــدا • ءُ مـــــن الجـــواتـــح والقلـــــــوب

وبـــذلتُ روحـــــــي أتَقِـــــي • بطـــــش الـــردى عنـــد الوثـــوب(١)

ومثله الشاعر سعد البواردي في قصيدته " بكر الخمسين " (٢) والشاعر محمد عبد القادر فقيه في قصيدته " افتقدناك في العيد يا أماه " (٣) ، وكذلك الشاعر أحمد سالم باعطب في قصيدته " أماه إنك لن تعودي " (٤) .

(٢) القافيـــة بين الأسماء والأفعال :

قد تكون القافية فعلاً ، أو تكون اسماً ، ومن القوافي ما تتردد بين الفعل والاسم.

أما القافية الاسم ، فقد اشتملت عليها أغلب قصائد الأم التي ذُكرت سلفاً ، والقافية الفعل تكاد تكون محرومة عن معظم الشعراء ، ولم أجد سوى قصيدة واحدة ، كانت معظم قوافيها أفعالاً ، وهي

---

(١) نداء الدماء ص ٦٨ وما بعدها .

(٢) أغنية العودة ص ٧٦ وما بعدها .

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة " صور وظلال " ص ٦١٩ وتاليتها .

(٤) أسراب الطيور المهاجرة ص ١٥٨ وما بعدها .

قصيدة الشاعر أسامة عبد الرحمن بعنوان " يا جدتي " يقول في بعض أبياتها :

الصمتُ يضـــربُ في الربُـــى أوتادهُ * وعلى السهولِ بقبضتيّـــــهِ يطْبِقُ

والحُـــزنُ يمخُرُ في السكونِ شواطئاً * من أدمـــعٍ ..فيها الصواعقُ تُبرِقُ

والحزن يعصفُ كالرياحِ فـــلا تـــــرى *إلا القلـــوب على يديّه تشهقُ (١)

أما القوافي التي تتراوح بين الاسم والفعل فمثالها ، قصيدة الشاعر طاهر زمخشري " إلى الأم " يقول فيها :

تهـــانِ وحبـــــاتُ القلـــــــوبِ عقودُ * بيـــومٍ بأحلى الأمنيـــاتِ يعـــــودُ

.....

على أُمّنـــا من لا نـــزال بحبّها * نُغنّـــي وخلجـــــات النفوس تُعيـــــد

وآمـــــالنـــا أن يحفظ اللهُ روضةً * شـــذاهـــــا دعـــاءٌ والحنـــــان وُرودُ

ونشدو بهـــا والكونُ يُرْجع صادحاً * لتحيـــا ، وأفراحُ الحيـــاةِ بنـــــود(٢)

وكذلك قصيدة الشاعرة مريم البغدادي " نـــداء قلـــــب " (٣) .

مظاهر التجـديد في القافيـــــة :

كما سلك بعض الشعراء طريق التجديد في الشكل العروضي لقصيدة الأم ، كذلك بدأت محاولاتهم للتخلص من وحدة القافية متبعين في ذلك نهج الشعراء منذ العصر العباسي حين نظموا : المزدوج ، والمخمس ، والمسمط ، ثم جاءت الموشحات الأندلسية متباينة القوافي دون

---

(١) شمعة ظمأى ص ٨٥ وتاليتها .

(٢) مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع " ص ٦٠٠ .

(٣) عواطف إنسانية ص ٩٢ .

التزام بنظام ثابت ، ثم كان العصر الحديث ،وقد جاء " بدعوى أن القافية المتكررة بروي وحركة واحدة قيد يعطل قدرة الشاعر عن التعبير،ويمنعه من التوسع في تصوير عواطفه بحرية وطلاقة ؛ مما يضطره إلى التكلف واستخدام كلمات لا تمت إلى الموضوع بصلة ، فيكون ذلك على حساب الدلالة المطلوبة ، ورأوا أن وحدة القافية تؤصل وحدة البيت ، وهذا يفكك التجربة ، ويبعثر الدلالات . بهذه الحيثيات تخلص بعض الشعراء من القافية جزئياً أو كلياً . فأضاعوا بضياعها أثراً موسيقيا هو " الإيقاع المنتظم ." (١) ومن محاولات تجديدهم في قافية قصيدة الأم ، عزف بعض الشعراء أبياتهم على أوتار الرباعيات التي " تشكل لوناً من النظم يعمد إليه الشاعر لتسجيل فكرة أو إيجاز غرض أو تجسيد حكمة " (٢) وممن اشتهر بالرباعيات في صياغة لغته الشعرية التي عبر بها عن مشاعره وعواطفه تجاه أمه ، الشاعر محمد حسن فقي الذي يقول في إحدى رباعياته :

سأقسمُ مالي وأُعطيكهُ .. وأُعطيكَ من مجدي .. المستطاع !

لأمّي العقيلة ديـــنٌ ثقيلٌ * فقد نوّلتني كريم المتاع !

حمتني ولاقيت منها الحنوّ * ومن غيرها قد لقيتُ الصّراع !

سأذكرُ ما نلتُ من برّها * وأنسى اضطهاداً ..وأنسى ارتياع!(٣)

ومثله الشاعر إبراهيم فلالي ، وقد نظم رباعيتين في رثاء أمه بعنوان " على ضريح أمي " يقول في مطلع الرباعية الأولى :

---

(١) حسن لهويمل : مرجع سابق ص ٥٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٤٨ .

(٣) الأصداء الكاملة ٨/ ٤٣٠ .

لقـد أحسنـت يا أمّـي إليّـا

ولـم أحسِن بخـردلة إليـك (١)

وفي مطلع الرباعية الثانية :

فنـامي في ضريحـك واستريحـي

أريحـي الجسـم في قاع الضريـح (٢)

ومن خصائص الرباعيات ، تنويع القوافي في القصيدة الواحدة ، على شكل مقاطع تتغير في كل مقطع ، وهو ما يعرف بشعر المقطع " الذي لا يتقيد بقافية واحدة ،وإن تقيد ببحر واحد ، ومن روّاد هذا الشعر مطران ، وشكري وأبو شادي " (٣) ويمكن أن يضاف إليهم اسم من الحجاز رابع هو اسم الشاعر محمد حسن عواد الذي كانت له محاولة مبكرة نسبياً في هذا الشعر، ومنها قصيدته "ثورة محب " التي نشرت في ديوانه (آماس وأطلاس)،والتي تعدُّ من بواكير شعره (٤) ويتجه الشاعر العواد الاتجاه نفسه في قصيدته " في بيتها وعلى قبرها " (٥) ومثله الشاعر غازي القصيبي الذي سار على هذا النسق الجديد في قصيدته " جزيرة اللؤلؤ " وهي من شعر المقطع ذي القوافي المتوالية ، كل مجموعة من الأبيات متفقة القافية . فالشاعر في هذه القصيدة يعيش غربته ووحدته وإحساسه بالكآبة ، لذا اعتمد على موسيقى خافته برزت في استغلاله للألفاظ التي تحوي قدراً كبيراً من الصوامت الاحتكاكية المهموسة كالسين والشين والفاء والحاء والخاء . وهذه الصوامت قد تميزت بخصائص صوتية جعلتها أقرب إلى الهمس ، وتحتاج في نطقها إلى قوة من

---

(١) – (٢) طيور الأباطيل ص ٧٢ .

(٣) مصطفى السحرتي : مرجع سابق ص ١١٨ .

(٤) انظر: عبد الرحيم أبو بكر : مرجع سابق ص ٣٢١ .

(٥) ديوانه " نحو كيان جديد" ١ / ١٠٥ وما بعدها .

إخراج النفس أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة ، وتحتاج كذلك إلى جهد عضوي قوي . ولعل في اعتماد هذه الصوامت المهموسة على هذه الأمور ما يعطي إحساساً موسيقياً انفعالياً بمدى الجهد في معاناة تجربة الشاعر .يقول في بعض أبياتها :

اليوم ... والأحـــــلام ضائعـــة * مبـــــــددة الشبـــــاب

والعمـــر أشـــــــلاءٌ ممزقـــةٌ * بأثيـــــاب الســـــــراب

اليـــوم إذ حـــــان الرحيـــــــلُ * وهمْـــتُ في دنيـــا اغترابي

ومضـــــى شراعي واهن الخفقات * يبحـــر فـــــي الضبـــاب..(١)

ومثله أيضاً الشاعر سعد البواردي في قصيدته " إلى إنسانة " يقول فيها :

اسقيـــــــه من ثدي الرضاع فإنه مسكين جائع .. !

وضعيـــــه في حضـــن الحنان فقلبه المظلوم دامع !

.....

وتسلمتـــــه يد العـــــراء فما له وال .. وشافـــــع

. . .

هو دمعـــــة اليتم المرير .. ترف في خد حزيـــــن

سخـــــرت بها الدنيا .. وأسلمها القضاء إلى أتيـــن

.....

هو صـــــورة حيرى لمخلـــــوق على الدنيا سجين !

. . .

---

(١) انظر : أشعار من جزائر اللؤلؤ ص ١١ وما بعدها .

اسقيـــــه من ثدي الرضاع ..ولملمي أعواد حلمـــه

ودعيـــــه يمرح كالصغـــار وقد طوى للأمس يتمـــه

.....

ودعي له أفق الطفـــولة يستجيب بكـــــل رحمه ..(١)

ومن محاولات التجديد كذلك في القافية للخروج بها من إطارها التقليدي . ظهور ما يُعرف بالمشطر ، الذي ينظر فيه إلى الأشطر لا إلى الأبيات ، ويتخذ فيه من كل شطر وحدة مستقلة ،ومن هذا المشطر المتلثات وإن كان قليلاً ــ كما أشار إبراهيم أنيس ــ وهو الذي تتغير فيه القافية كل ثلاثة من الأشطر (٢) ومثال ذلك قصيدة الشاعر سعد البواردي " أمي " . يقول فيها :

فـــي جفنـــــك المطبـــــــق

فـــــي قلبـــــك المشفـــــــق

وحبـــــــــــك المغـــــــرق

عوالـــــم تلتقـــــــي

أمـــــومـــــة ثـــــائـــــرة

وأمـــــــــة شـــاعـــــــرة

ونظـــــــــرة ساهـــــــــرة

وهمسة من تقـــى (٣)

---

(١) أغنية العودة ص ٦٩ وتاليتها .

(٢) انظر: موسيقى الشعر ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٧وتاليتها .

المـــوسيقـــى الـــداخليـــــة :

في الشعر ظواهر لغوية تزيد في ثراء الموسيقى لدى الشاعر وارتفاع درجة ترددها ، وهي ما تسمى بالموسيقى الداخلية التي تصاحب بقية عناصر التجربة من فكر وخيال وعاطفة ؛ لأنها "النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة،بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر ، إنها مزاوجة تامة بين المعنى والشكل بين الشاعر والمتلقي " (١)

ويأتي في مقدمة هذه الظواهر " التصريع " وهو لون من الألوان البديعية التي تضفي على الشعر طابعاً خاصاً ، ونغماً موسيقياً متآلفاً ، وقد عرّفه ابن رشيق حيث يقول : " أما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص بنقصه وتزيد بزيادته " (٢) و أكثر ما يأتي في مطلع القصيدة ، ويعتبر بذلك مقدمة موسيقية قصيرة ، يلجأ إليها الشاعر ؛ ليستدل على ما عنده من الوهلة الأولى ، والتعرف على عالمه النفسي والانفعالي . نحو قول الشاعر فؤاد شاكر في مطلع قصيدته " أنشودة الألم الحزين " :

هـــو الحزن حتى ما تجـــف المـــدامع * وحتى يـــرد البين ما ليس راجـــع

هـــو الحزن لا لومُ اللوائـــمِ نـــافـــعٌ * وهيهـــــات لا رشدُ النواصحِ شافعُ(٣)

وقول الشاعر عبد السلام حافظ في قصيدته " الشوق يا وطني " :

داري وســـرّ الهوى الباقي وأوطانـــي * يا طيبةَ النور..يا روحي ووجداني(٤)

---

(١) عبد الحميد جيدة : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، ط د ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، بلد الطبع د، ت د ، ص ٣٥٢ .

(٢) العمدة ١ / ١٧٣ .

(٣) وحي الفؤاد ص ٢٨٧ .

(٤) الفجر الراقص ص ١٠٩ .

وجاء التصريع أيضاً في مطلع قصيدة الشاعر إبراهيم الدامغ " عيد الأم " :

عيـــدٌ يعـــود ببسمة وعنـــاق * وطهـــارة ومحبـــة وتـــلاقي (١)

ومطلع قصيدة الشاعر طاهر زمخشري " أمي " :

حنـــانيكِ أمـــي لا عُقوقٌ ولا نكرُ * ولكنَّهـــا الآلام في قبضتي سفرُ (٢)

ومن الحلي البديعية التي استخدمها الشعراء السعوديون في إثراء موسيقى قصائد الأم " رد العجز على الصدر " وهو " أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما ، في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول ،أو حشوه ،أو آخره، أو صدر الثاني " (٣) فالأول ، نحو قول الشاعر محمد حسن عواد في قصيدته " في بيتها وعلى قبرها " :

اندفـــق ، فالشعور عندي موفـــو * رٌ كفيـــلٌ ألا يعـــوقَ اندفاقـــك (٤)

والثاني ، كقول الشاعر محمد حسن فقي في قصيدته " أمُنا الأرض " :

واجـــتوينا بها الحقـــوق وقد عادت * ســـراباً .. كما اجتوتنا الحقـــوق (٥)

---

(١) شرارة الثأر ص ٩٥ .

(٢) مجموعة النيل " ديوان أنفاس الربيع " ص ٢٨٨ ، ومثله الشاعر عبد الرحمن الوحيا ، الأجنحة السابحة ص ٢٦٥ " مطلع قصيدته " أم " يقول فيها :

الجرح قد غـار في الأعماق يلتهـــب * والقلب في الصـــدر بات اليوم يضطرب

وكذلك الشاعر إبراهيم الحلاف ، ديوانه ص ٩٢ مطلع قصيدته " المرأة " يقول فيها :

أنـــت نســـمى من الهـــوى المعطـــار * أنـــت أم عظيمـــــة المقـــــدار

(٣) عبد المتعال الصعيدي : مرجع سابق ٤ / ٧٧ .

(٤) ديوانه " نحو كيان جديد" ١ / ١٠٧ .

(٥) الأعمال الكاملة ٢ / ٥٣٤ .

وقوله أيضاً في القصيدة نفسها :

يتهـادى المـرموقُ فينـا إذا عزّ * وإن ذلّ يختفـي المرمـوق (١)

أما الثالث ، ما قاله الشاعر محمد عواد في مطلع قصيدته السالفة الذكر :

إيـهِ يا نفسُ هذه شـارةُ القـد * سِ وذا الشعرُ ، فانظُمي قُنسيّهـا (٢)

وقوله :

قلمـي ما نكرتُ منـك انطـلاقاً * في حيـاتي فما أصـاب انطلاقك (٣)

وكذلك قول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته " عندما يورق الحب " :

وقطـارٌ أوهامـي ، على قُضبانه * زحـف الصُّمودُ ، فلم تعُـدْ قُضبـانا(٤)

والرابع ، كقول الشاعر محمد عواد :

عـدتُ من دفنـها كئيبـاً أُقاضِيـ * ـك انسياقاً فما منحـت انسياقـك

كنتُ إن قلتُ " هاتْ " كأسك تُزْجيـ * ـها دهـاقـاً فلمَ منعت دِهـاقـك؟ (٥)

وكان لاستخدام الشعراء هذه الألفاظ البديعية ، وترديد عجزها على صدرها ، متفقة اللفظ

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٥٣٥ .

(٢) ديوانه " نحو كيان جديد " ١ / ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق ١ / ١٠٧ .

(٤) صراع مع النفس ص ٩٧ .

(٥) ديوانه " نحو كيان جديد " ١ / ١٠٧ ، ومثله أيضاً قول الشاعر فؤاد شاكر ، وحي الفؤاد ص ٢٨٧ وتاليتها في قصيدته " أنشودة الألم الحزين " يقول:

وما أنا خـمّار الجنـان و إنّما * يُقارعُنـي طوراً وطوراً أقـارعُ ..

.....

ويا ربّ ليلٍ بـات والـدامُ قاتلـي * أصـارعُ فيه المـوتَ فيما أصارعُ..

والمعنى ، أثرٌ قويٌ في موسيقى الحشو الداخلية ، فهي تكسو البيت الشعري جمالاً موسيقياً ، ونغما صوتياً مؤثراً.

ومن الألوان البديعية كذلك " الجناس " بمختلف صوره وأشكاله ، من نماذجه قول الشاعر أحمد الغزاوي في قصيدته " مأساة ومواساة " :

ومضـــــتْ بذلك ليلتـــــان وما همـــا * إلا المعـــادُ بِذرْعِـــهِ وذُعُـــورِه (١)

الجناس في قوله " ذرع وذعر " وقد اختلف في ترتيب حروفه ، وهو ما يسمى بجناس القلب .

وكذلك قول الشاعر محمد حسن فقي في قصيدته " أمتًا الأرض " :

وغبـــيٌ في كفِّـــــه قصب السَّبْـــقِ * ويزهو به .. تعـــالى السَّبُـــوقُ (٢)

" السَّبق والسَّبُوق " اختلاف في عدد الحروف في الوسط ، وهو ما يسمى بالجناس الناقص .

ويعتبر الجناس محسناً بديعياً ، وهو من المحسنات اللفظية التي تهتز لها الآذان، وتستمتع بها الأسماع ، وتأنس لها النفوس .

* * *

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ٤ / ١٥٦٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ٢ / ٥٢٥ .

الخاتمة

وفي ختام مطاف هذا البحث ،وبعد أن جبت آفاق الشعر السعودي ، بحثاً في مظانها عن شخصية الأم وبواطن فعالها الجليلة . أحمد الله حمداً كثيراً ، وثناءً مستفيضاً على عظيم توفيقه ، وفيض رعايته ، وتيسيره لكل ما واجهت من صعوبات إنه نعم المولى ونعم النصير .

وأود أن استخلص أهم النتائج التي انتهى إليها البحث :

(١) أحاط الإسلام الأم بالرعاية والحنان ، وخصها بمزيد من الحب والاهتمام ، وليس أدل على ذلك من تكريم القرآن الكريم لها ، والسنة النبوية المطهرة .

(٢) كانت الأم وما زالت مصدر إلهام للشعراء قديماً وحديثاً ، فقد حظيت بأكبر رصيد من القصائد في ديوان الشعر السعودي ، سواءً في حياتها أو بعد مماتها .

(٣) زخرت دواوين الشعراء السعوديين بقصائد رثاء الأم ، حيث كانت تشكل الغالبية العظمى بالنسبة للأغراض الأخرى ، ومعظمها تفيض بمشاعر الحزن والألم .

(٤) استقى الشعراء قصيدة المدح من معين التراث الأدبي القديم ، فكانت الإشادة بمناقب الممدوحة " الأم " ، والتغني بخصالها ، ووفائها وتضحيتها في سبيل راحة أبنائها ، وهناء عيشهم .

(٥) لم يكتف الشعراء السعوديون بصورة الأم الحقيقية ، بل تجاوزوا المعنى الأساسي للفظ إلى معانٍ أخرى ، فكان لفظ " الأم " عندهم ذا دلالات متنوعة الأطر و الأفكار، فهو إما أن يكون الأرض أو الصحراء الحبيبة التي يحن إليها أبناؤها ، أو الوطن رمز الانتماء والتجذر .

(٦) كانت التجربة الشعرية عندهم ثمرة انفعالٍ شعوري، دفعهم إلى البوح عن خلجات عواطفهم ، ومكنونات خواطرهم .

(٧) تنوع المعجم الشعري الذي اعتمد عليه الشعراء السعوديون في إبراز أفكارهم ، وكشف مشاعرهم تجاه أمهاتهم . فمنهم من اتكأ على المعجم التراثي القديم وحافظ عليه ، ومنهم

من لجأ إلى ألفاظ مستحدثة ، أو ألبس الألفاظ المألوفة معاني جديدة لم تكون مطروقة في المعجم الشعري القديم .

(٨) من الشعراء من ظل محافظاً على قالب الشعر العربي القديم ، وفي الوقت ذاته لم يجاف الأفكار الجديدة والمعاني الحديثة والصور البديعة ، ومنهم من توخى التجديد فصب أفكاره ومضامينه في قوالب جديدة وصياغات متنوعة .

(٩) تعددت أساليب الأداء الفني لقصيدة الأم ، فمن الشعراء من تطرق إلى استخدام الأسلوب الخطابي ، ومنهم من تلمس أسلوب التكرار أو أسلوب الحوار ، ومنهم من اعتمد على الأسلوب القصصي .

(١٠) تأثر الشعراء بألوان من الثقافات التي استقوا منها معانيهم وأشكال تعبيرهم ، فظهرت الثقافة الدينية متمثلة في القران الكريم والسنة النبوية ، وكذلك الثقافة العربية القديمة متمثلة في الشعر والأمثال ، والثقافة الحديثة متأثرين بشعراء الإحياء والبعث ، وشعراء المهجر ، والشعراء الجدد .

(١١) لوّن بعض الشعراء قصائدهم بصور شعرية ، متعددة الأدوات ، ومتنوعة الأساليب من تشبيهات واستعارات وكنايات ، كلٌ حسب وجهته ومقصده .

(١٢) سلك بعض الشعراء طريق التجديد في الشكل العروضي لقصيدة الأم ، فكان الشعر الحر ، والقصيدة النثرية .. إضافة إلى محاولات التجديد في القافية كالرباعيات ، وتنوع القوافي في القصيدة الواحدة وهو ما يعرف بالشعر المرسل .. إلى غير ذلك من الأشكال الجديدة .

وأخيراً ، لست أدعي ــ مع ذلك ــ أنني بلغت الغاية في دراسة شعر الأم في الديوان السعودي ، أو وفيتها حقها ، وإنما هي محاولة أرجو أن تكون باباً لمحاولات أخرى أشمل وأعمق لدراستها في الأدب السعودي بصفة عامة .

وما بذلته من جهد ، وأخلصت فيه من عمل ، فهو بتوفيق الله ــ عز وجل ــ أولاً ، ثم بتوجيهات سعادة المشرف الفاضل " الأستاذ الدكتور : السيد العراقي سعد منصور " ، وأما ما قد يظهر من عثرة أو خطأ ، فمن قصوري لا تقصيري ، ومن فتوري لا تفريطي . أرجو أن يدونه الله تعالى في سجل أعمالي ، ويجعله خير سطر لي ليوم تتقلب فيه الأبصار والقلوب .

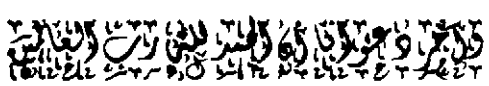

الفهارس

فهرس الأشعار.

فهرس الشعراء .

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات .

فهرس الأشعار

مطالع الشواهد مرتبة حسب حروف الروي .

الشـــاهـــد	الصفحـة
الهمـــزة	
أماه قد أمعنت في إيذائي * بحنانك الفيّاض في إنشائي	٣٠ـ ١٢٧
حبيبتي	١١٠ـ ١٩٧
ضوء المطار يلسع الماء	١١٠ـ ١٩٧
أنت ـ يا أماه ـ أنشو * دة عطف ووفاء	١٣٤
البـــاء	
أماه ، هل تصغين ؟ ما * عوّدتني صمت الغريب	٣٩ـ ١١٨
سأبكيك يا أماه ما عاش خافقي * وما ضل في روض الرياض دبيب	٤١ـ ١١٤
يا بناتي وحسبكن شقاء * أنني بينكنّ أبكي شبابي	٤١
أنت الغد المنشود ها * قد عاد كالأمس الكئيب	٤٣
كنا بظلك نتقي * لفح الأعاصر والكروب	١٧٩
هذي الحياة نعيش عا * لمها على وهم كذوب	٤٧ـ ١٣٥
هذي الحياة وثمّ مس * بحنا على اللّجّ الغضوب	١٦٤
نمشي وتسبقنا المنا * يا في المسالك والدروب	١٦٣
وصبراً جميلاً في المكاره إنه * سبيل لمن يرجو الثواب ويرغب	٤٨
تراها لدى الإحسان يفتر ثغرها * حبوراً ـ بما تسدي تسرُ وتطرب	٥١
وهتفت ، فاتحبس الجوا * ب وكنت كاللسن الخطيب	٥٢
لو تفتدين سخا الفدا * ء من الجوانح والقلوب	٥٢ـ١٢١ـ١٨٢ـ٢٠٣
أنا ذلك الطفل الغرير * رمته للدنيا الخطوب	٥٧ـ ١٧٢
الجرح قد غار في الأعماق يلتهب*والقلب في الصدر بات اليوم يضطرب	٦٨ـ١٨٥ـ هامش ٢١٠

ما عاد يعجب في الأيام لذتها * ما يبرئ النفس الحانّ ولا طرب	١٠١
واحر قلباه يا أماه قد وهنت * فيّ العزيمة والإقدام والشبب	١٢٨
رباه ثمّ وديعة * في ظلّ برزخك العجيب	١١٩
لو أننا نموت عندما نريد أن نموت	١٢١
كنت لديك في التراب	١٢١
سأذكر يا أماه بالفخر والدا * نقيا طهورا في الزمان لبيب	١٢٧
يقولون ماتت قلت ماتت ولم تمت * وفي القلب منها صائلٌ ومجيب	١٣٨
أمي تسائلني تبكي من الغضب * ما بال أمتنا مقطوعة السبب	١٤٠
وما هي إلا فارط ووديعة * وفي الأجر عند الله ترجى وتحسب	١٦٠
لعمرك ما الدنيا سوى حلم لحظة * متاع لعاع ومضة ثم يذهب	١٦١
يسعى الفتى لينال أفضل سعيه * هيهات ذاك ودون ذاك خطوب	١٦٣
اليوم . . و الأحلام ضائعة * مبددة الشباب	١٧٠ـ ٢٠٧
في عمق أعماقي برو * حي في الحنايا ، في الوجيب	٢٠٣

التاء

أهنا مهجع الهدى والتسامي * أهنا موند النهى والأناة	٤٩
كيف أنسى وأنت ملءُ حياتي * وشعوري ومجتنى ذكرياتي ؟!	٢٦
قبلة منك أول القبلات * يا حنانا يحوطني في حياتي	هامش ٢٩
تحية للفتاة * شبيهة النيرات	٧١
هيهات ننسى سطورا * في الأحقب الغابرات	٧٢
هي الأخلاق تنبت كالنبات * إذا سقيت بماء المكرمات	٧٥
حبيبتي	١٨٤
الفندق الصاخب . . والصديق	١٨٤
أهنا تنتهي الحياة بإنسا * ن عميق تأثيره في الحياة ؟	١١٨
أهنا سحرها الجميل يغطى * بالتراب الندى والظلمات	١٦١
الله يحفظ عمرك الغالي الذي * أفديه عمري يا حبيب المهجة	١٢٠
بناتي أين حقي يا بناتي * أخبرا صغتموه إلى الرواة ؟	١٢٩
غرست لكم بكفي خير غرس * وسقت لكم بلا ثمن سراتي	١٣٠
أمي ومن فقد الأمومة * شبه من فقد الحياة	١٨٠ـ ٢٠٢

الحـــــــاء

فنامـــي في ضريحـك واستريحي * اريحي الجسم في قاع الضريح ٤٦ ـ١٢٢ـ١٣٥ـ ٢٠٦

الـــــــدال

يا دارنـــــا (بالحوض) كفنهـا * مـن الحـــزن الســـــواد ٣٥

يـا أم . . أحـــــزاني عليـــك * غضـــا يكفنـــه الرمـــاد ١١٥

أمـــاه منذ رحلت حالفني الأسى * وخبا البريق بمنزلـي وذوت ورودي ٣٧ـ١٢٥

ذرفنـا عليك الدمـع حتى تقطعت * بنـا دونـك الآمـــال شذراً مبـدداً هامش ٤١

قد كنت لي دفء الشتـاء فإن قسا * صيفي بعثت إليه عاصفـــة الجليد ٤٤

تخطى إليك الموت والموت واقف * لكل ابن أنثـى لاحقـــا متوعـدا هامش٤٩

يـــا واحـــة بين الهجيـــر * حنّـــوها مـــا يستعـــــاد ٥٠ـ ١١٦

صبرت وما صبر المحب بهين * صبـر الرزوم علـى ضنـى الأولاد ٢٣

يـــا لمس كفيّهـــا علـــى * جـــرحي . . الجبانـــر والضمـــاد ١١٦

يـا نصفنا الغالي نصيحـة شاعـر * يرجو لكـــن الفخر في هذا الوجود هامش٧٤

خفقا حملتك في الوجدان يا ولـدي * ورعشـة تعتري قلبي وفي جسدي ٧٨

في حـــداد المـــوت نـادت * أيـــن عشـــاق الخـــلود؟ ٨١

تعبـت لما صنعت يدا ساعي البريد * صبغت بناتهما الليالي من وريـــدي ١٠٩

أمـــاه . . يا واحة غنّـــاءُ ناضرةٌ * الوردُ . . والزهر في أفنانها انعقدا ١١٥ـ ١٧٩

أمـــاه إن ناديت عودي لن تعودي * بعُدت مسافاتي وما وضحت حدودي ١٢٥

يشقى الوليد ويشقـى والداه بـــه * وفـاز من لم يـــوله عقلـــه ولد ١٦٣

نـذروا التراب ونحن منـــه وإن نمت * يعد الطريف من التراب إلى التليد ١٦٤

خفف الوطء ما أظـــن أديـــم الـ * أرض إلا من هـــذه الأجســـــاد ١٦٤

كم مهجـــة ضلـــت علـــى * خطبـــي وغـــادرها الســـداد ١٩٤

تهـان وحبـات القلـــوب عقـود * بيوم بأحـلى الأمنيـــات يعـود ٢٠٤

الـــــــراء

حنانيك أمي لا عقوق ولا نكـــر * ولكنهـا الآلام في قبضتي سفـر ١٥ـ٣٩ـ١٣٠ـ ١٩٤ـ٢١٠

فمن مقلتي الدمع السخين سحائباً * على الخد يهميها فؤاد هو البحر ١٦٧

يا فم الغيب ، كم ترى تبلع الذخـ * ـر الذي تم صنعه من دهور ؟	٤٥ـ ١١٧ـ١٨٢
لا تبالي ، يا قبر ، كم مهج تلـ * ـنى حراراً في جوفك المسجور	١٥٨
ويا طالب الدنيا رويدك إنها * متاع قليلٌ هكذا الله أخبرا	٤٨
وما (زينب) في الذكر إلا خريدة * سليلة حر بالتقى قد تدثرا	٥٠
أبي . . وقد صرت بعيد المدى * وهل يرُد المرءَ من قبره؟	٢٦
ليتك تصحو ـ يا أبي ساعة * لكي ترى الإخلاص في قدره	١٢١
عدنان أنت هدية الأقدار * كالنسمة الزهراء للأزهار	٦٢
أنت أسمى من الهوى المعثار * أنت أم عظيمة المقدار	٧٣ـ١٣٤ـهامش ٢١٠
عطف الأمومة كم تجلى باهراً * في مشهد لا يحتويه إطار	٧٧ـ١٨٨
أهواك وليداً مفتوناً * بوجودي يحنان الصدر	٧٩
ويلٌ لمن عقَ الأمومة وارتضى * نكر الجميل . . فكسبه أوزار	٨١
أماه لا تحزني إن لملم العمر * صفو الحياة فأيام الفتى عبر	٨٢ـ ١٤٥
أطعمته عرقي أدفأته بدمي * وصُنتُهُ وجحيم الجور تستعر	١٦٠
حملت ولم تك قبل ذلك لابست * ألم (المخاض) بويله وثبوره	٨٣
قبلات الحنان عزت على الطفل * وكم هدهدت شجىً في السرائر	٨٧
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى * ويغمر صرف الدهر نائله الغمر	١٠٧
(بلاءٌ) تساقاه (البريء) وما جنى * وبتْ به الأطواد تكوى حجارها	١٠٨
وعدت إليك يا صحراء * على وجهي رذاذ البحر	١١١ـ١٤٤
حنانيك يا أمي حبستك رحمة * فليس عليَّ اليوم عتبٌ ولا وزر	١١٥
فيا رب بونها الخلود مع الرضا * لنحمدك اللهم دوماً ونشكرا	١١٩
حنانيك أمي فالهموم تلاحقت * ولولا البلاء المر ما حُيِّر الفكر	١٣١
كم ينادي : أبي تعال فإني * حرت في الناس لا أرى غير كاشر	١٤٢
إيه ، أمي ، أبي تعالا خذاني * واقهرا قسوة الزمان الجائر	١٦٣
قالت أخاف بغاث الطير تنهشنا * ونحن في غفلة تلهو بنا الحير	١٦٢
(هولٌ) كأن الذر من تفجيره * طويت به الدنيا بنفخة صوره	١٥٣ـ١٥٩
ومضت بذلك ليلتان وما همـا * إلا المعاد بذرعه وذعوره	٢١٢
أحاط بها مثل الإطار (صغارها) * وقرت بهم عيناً وطاب نهارها	١٥٥
ومرّت بنا (الساعات) حرّى كأنها * (دهورٌ) وفي (سم الخياط) مدارها	١٥٩
(فرط) إلى الفردوس إلا أنه * كالجمر في إحراقه وسعيره	١٦٠

فاختال نشوانا ويا نشـــوة الأســـى* تغيب بإحساسي كما يفعل الخمر ١٦٦
وإن صخـــرا لتأتـــم الهـــداة به * كأنـــه علـــمٌ في رأسـه نـار ١٨١
أهـــاض جناحي مذ أصبت بلـوثةٍ * فضـــاع بهـا منك التودد والبر ١٨٧
حيث يسـري الدفء اللذيـذ بنفسـي * بعد بـــردِ عاتي الطبيعة جائر ١٨٩
أيَّ عانٍ مشـــرد الفكـر ساهـــر * لقـــه الليل مكفهر المتائـر ٢٠٠

العيـــــن

أيا دمع هل للحـــزن عندك مطمـــع * فما كل محزون إلى الدمع يفزع؟ ١٣
هو الحزن حتى ما تجـــف المـدامع * وحتـــى يرد البين ما ليس راجع ٣٤-٩٨-١٣٣-١٦٥-١٩٤-٢٠٩
ألا أيها القبر الذي ضم بضعتـــــي * بربك ماذا أنت بالنـــاس صانع ٤٥-١١٧
فإن لم يكن يومـي هو اليوم فاعلمي * بأن ضياء الموت لابـــد ساطع هامش ٤٩
لعمري ! وما دهري بتأبين هـــالـك * ولا جـزعاً مما أصـاب فأوجعا ٣٠
اسقيـــــه من ثدي الرضـــاع فإنه مسكين جائـــع...! ٨٨-١٢٩-٢٠٨
سأقسم مالـــي وأعطيكـــهُ .. وأعطيـــك من مجـــدي . . المستطاع ٩٨-٢٠٥
تحملت من دهري على طول يومه * من الهول ما تصطكُّ منه المسامـع ١٦٢-١٨٧
تركتكما عند الإلـــه وديعـــة * هيهـات ما ضاعت لديه الودائـــع ٩٩
فلا جزع إن فـرّق الدهر بيننـــا * فكل فتى يومـــاً به الدهـــر فاجـع ٩٩
أحقاً ثوت أمـي بدجوة مـــوحش * من القفر لا تهفو إليه المسامـع ؟! ١٠٧
أحقاً ثوت أماه في بطن مـــوحش * من القفر لا تهفو إليه الصـــوادع هامش١٠٧
أناديك يا زين العقائل والتقـــى * ويـا خير من ضمت سناه البراقع ١١٣
أناديك يا زين العقائل والتقـــى * ويـا خير من ضحت سناه البراقع هامش١١٣
وتالله لا أنســـاك مهما تقدمـــت * سنـوك وانهالت عليَّ الفواجـــع ١٢١
مـا ضـر لـو قبـل الرحيـــل * منحتنـــي قبـــل الـــوداع ؟ ١٧١
أرضـــي هناك . . مع الشواطئ * والبحـــــار الأربعـــــه ١٧٤
وإذا المنية أنشبت أظفـــارها * ألفيت كـــل تميمـــة لا تنفـــع ١٨١
وما أنا خـــوّار الجنـــان وإنما * يقارعنـــي طـــوراً وطوراً أقارع ١٨٣-هامش٢١١
أتاني رسول البرق في ملعب الهوى * فيا ســـوء ما زفت إلـــيَّ الطوالع ١٨٧

الفـــــاء

تحسين بالآلام حيـــن أحسنُهـــا * وتشفين من آثـارها عندما أشفى ٢٢

أنا أدري أنـــك عـــــاديٌ * لا حسن يزيـــد عن الوصـــف ٧٨

لقـــد نزلت دمـــوعي فوق خـــدي * فقلت أيـــا دموع ألـن تكفّي ١٠٠

القـــــاف

الدمع من فـــرط الأســـى يتدفـق * وكأنمـــا عينـــيَ فيـه زورق ٤٢

يا من بهـا كنا نلـــوذ ونحتمـــي * من كـــل عادية تمر وتطـــرق ٥١

يـــا أم أنت قمر الزمـــان وقلبـــه * والمجـــد فيك معظّـم الأطواق ٢٠

يـــا درة هام الـــوجود بفضلهـــا * وزهـــا بنـــور وفائهـــا المغداق ٢١

في جفنـــــك المطبـــــق ٥١ـ ٢٠٨

في قلبـــــك المشفـــــق ٥١ـ ٢٠٨

وحبـــــك المغـــــرق ٥١ـ ٢٠٨

عوالـــم تلتقـــي ٥١ـ ٢٠٨

أيها الأرض .. نحن منك .. فما يسـ * ـــأم منك اقتـــرابنا واللصـــوق ٦٩

الأم مدرسة إذا أعـــددتهـــا * أعـــددت شعبـــاً طيب الأعـراق ٧٥

من أودع الأم حسّـا صادق الدقق * ترى بفلذتهـا ميـلاداً من الشـرق؟ ٧٩

أمـــومـــة ناطقـــة ٩٧

أمينـــة . . رافقـــة ٩٧

وجنـــة . . سـامقـــة ٩٧

بظلهـــا المورق ٩٧

ما عـــاد في الوادي ســـوى أطلاله * ما عاد يغمـــره الربيع المونـق ١١٠-١٢٤

ماتت ويصفعنـــي البريـد بموتهـــا *ماتت وتسحقنـي الدموع .فاسحق ١٢٤

عيـد يعـود ببسمـــة وعنـــاق * وطهـــارة ومحبـــة وتـلاقي ١٩٥-٢٠٢-٢١٠

الصمت يضرب في الربـى أوتـــاده * وعلى السهـــول بقبضتيه يطبق ٢٠٤

واجتوينا بهـا الحقوق وقد عـــادت * سرابا . . كما اجتوتنـا الحقـوق ٢١٠

يتهادى المرموق فينـــا إذا عـزّ * وإن ذل يختفـــي المـــرموق ٢١١

وغبيٌ في كفّـــه قصب السبـــق * ويزهو بـه . . تعالى السبـــوق ٢١٢

الكـــــاف

قلمي ما نكرت منك انطـــلاقـا * في حياتي فما أصـاب انطلاقـك ؟	٣٦ـ ٢١١
عدت من دفنها كنبيا أقـاضيـ * ـك انسياقـا فمـا منحت انسياقك	٢١١
كنت إن قلت " هات " كأسك تزجيـ * ـها دهاقا فلـم منعـت دهاقـك	١٥٨
اتدفق ، فالشعـور عندي موفـو * ر كفيـل ألا يعـوق تدفـاقـك	٢١٠
هذي القصيـدة يا حبيبـة فـي * حنينـي . . لا رثـانـك	٤٠ـ ١١٦
رمضـان يا أمـاه أغبـر * مـا تـوضأ مـن إتـانـك	٤٤ـ١١٤
يـا مثال الطهـر هـذي * أسطـري تجثـو لديـك	٢٥ـ١١٤
مـا ارتـوى إلا نميـراً .. * ورضـابـاً من يـديـك	١٦١
وتضيـع بسمتـك السعيدة * فـوق ثغـر مـن شقـانـك	٩٦
لقـد أحسنـت يا أمـي إليّـا * ولـم أحسـن بخـردلة إليـك	١١٥ـ١٥٩ـ٢٠٦
أمـاه : لو يقـوى الخيـال * لـراح يهـزأ باتطـوانـك	١١٥
أمـاه : كيف المـوت ؟! هل * أرخـى الستـار علـى عنانـك	١١٨ـ١٤١
" تمضي ؟" ويرتعش الأسـى * سُحبـاً تحـوم علـى سنـانك	١٨٨
وطفـت الكـون .. لم أعثـر	٢٠٠
علـى أجـدب مـن أرضـك	٢٠٠
هـل تذكـرين ـ وأنت فـوق * الحـزن في دنيـا المـلائك	٢٠٠

الـــلام

مصـابي جليل ، والعـزاء جميل * وظنـي بأن الله سوف يديـل	١٢
أرضـي هناك .. مع الشواطئ.. * والمـزارع .. والسهـول	٥٧ـ ١٧٣
وعـدت إليك القيـت بمـرساتي	٥٨
علـى الرمـل	٥٨
وإذا النسـاء نشأن في أميـة * رضـع الرجال جهالـة وخمـولا	٧٤
يا فـؤادي ما الذي تشكـوه منّي * هذه الدنيـا مـزارٌ وارتحـال	٩٢
يا أم إن تبكـك الأكـوان ان لهـا * فيك الطهـارة قد كانت ولم تزل	١١٥
نرجو لك الحسنـى وندعو ربهـا * حسـن الختام ، وللختـام جـلال	١١٩
جاءت إليـه ، وطفلـة تمشي * من خلفهـا ، وأمامهـا طفـل	١٤٩
فرأى النبيـل مفاتنـا صـدفت * عنـه .. فكفكف غربه النُبـلُ	١٦٧

يدفن بعضنـــا بعضا وتمشـــي * أواخرنا على هـــام الأوائل	١٦٤
عشنا سنينا وكنت القدس في ورع * تبكين الله في بحر وفي جبل	١٨٠
أنتـــن أمهـــات المستقبـــل	١٩٨

الميـــــم

سمعت نعيهـــا صمّي صمام * وإن قال العواذل لا همـــام	١٣
فحين رحلت أجدبت القوافي * وأنكـر ما صنعت له الكـلام	٣٦
ففي أمي " الجنوب" وزهو "نجد" * وفي أمي"الرصافة"و"الشآم"	هامش٥١
يا خير أم في الخليقـة أنجبـت * خير الأنام لخير شعب أسلما	هامش٢٥-١١٤
يـا أم عبد الله لا ذقت الضنّـى *ووقيت من ليل الأسى المشئوم	٦١
كفّـي عن الدمع الحزين وخففي * من لوعـة التوديع والتهويم	١٢٢
حصـدت الشـوك يا أمـي * وبئس الشـوك من طُعـم	٦٦- ١٩٣
أبعـد الجهـد والكـدّ * ألاقـي الغـرم في الغنم	١٦٠
وما اقتنيت مـن ذنـب * ولا قـارفت مـن إثـم	٦٦
أنـا يـا أمّ مظلـوم * أعيـش اليـوم في ضيـم	٦٧
أكنت بوالـدي عقـاً * كنـوداً عـقّ بالرحـم	١٥٨
حبيبتـــي	٩٤-١٢٦
الليـل مطـروح على الخيـام	٩٤-١٢٦
شعـرت النخـس في حلقـي * وطعـم المـرّ في فمـي	١٠٩
وماذا سوف أشرح عن " فصول" * " دراماها " الأمومة والونام	١١٢
فحسبـي منك تحنـان * دواءٌ قد شفـى كلمـى	١٣٦
وسمعت صوتك يا بنـي بهاتف * ويقول : يا أمي السلام عليكم	١٣٩

النـــون

أرى أم صخـر ما تجف دموعها * وقلت سليمى مضجعي ومكاني	١٢
أمـاه ٠٠صوتك زادني إيمانـا * ففـدوت أزرع في الفؤاد حنانا	١٥-١٩٥
أقبل الطرف ٠٠أين الأم ؟ أينهـم * أهلي وموطننا الغالي وإخواني ؟	١١٨-١٣١

سأقطع عمري نحو لقياك جاهداً	* أنوح وأبكي فليلومنّ شيطان	٤١
ولست أناجي فيك حسناً منمقاً	* سوى الطهر،إن الطهر للغيد تيجان	٥٠
يا من منحتني أحبّ هدية	* أبكي ، وأهديك الدعاء سخينا	٢٣
كيف أنساك وقد أفنيت عمراً	* ترسمين الحب حولي والأمان	هامش٢٧-١٣٢
لقد كان وجهك أول وجه	* نظرت وقابلني بالحنان	٢٨
أقول بل كلنا شوق ، ألست ترى	* حتى الصغيرين في آهات ظمآن	٥٦
بعث الصوت كامن الأشجان	* مثلما سرني فقد أبكاني	٥٩
أماه .. لا تيأسي فالله يرعانا	* وفيض إحسانه في البؤس يغشانا	٥٩
ارفق بقلبي الخافق الولهان	* وكفى فؤادي لهفة وكفاني	٦٣
ألا أيها الأرض . . يا أمنا	* وهل تضمر الأمّ إلا الحنان	٦٩
سمعتها - في ضحى البلوى.تناديني	* تشكو، وتبعث من أنات مطعون	٧٠-١٤٧
واجب تهذيبها فهي لنا الـ	* أم والزوجة والحصن المكين	٧٣-١٨٧
ماتت .. وخلفها الجنين	* وقضت .. فودعها الأنين	٨٥
خمسون عاماً دون طفل	* ويح ماضيها الخنون	١٤٣-١٨٦
حتى إذا بلغ الزبى	* من يأسها .. ضحك اليقين	١٦٢
يا ربّ صن ولدي وكلل هامه	* بالعزّ والأمجاد والإحسان	١٢٠
وأسال من حولي : أ نامت ؟ فقيل لي :	* نعم إنها نامت وإنك يقظان	١٣٧
وما العيش إلا لجة ذات غمرة	* لها مولد الإنسان والموت شطآن	١٦٤
ويا شطر نفسي ما دفنتك في الثرى	* لأحيا بشطر إن ذلك زيفان	١٦٦
أماه .. يا لحن الصفاء بخاطري	* لا تحملي هماً ولا أحزانا	١٨٥
غلبت على أمري وأصبحت ليس لي	* سواك وحتى أنت ضمتك أكفان	١٩٥
وقطار أوهامي ، على قضباته	* زحف الصمود ، فلم تعد قضبانا	٢١١

الهاء

ولكم سهرت الليل من	* أجلي وعيني غافيه	٢٢
إيه يا نفس هذه شارة القد	* س وذا الشعر ،فانظمي قدميها	٢٤-٢١١
لأول مرة أحسست دمعي	* كجمر النار حرقني لظاه	٦٠-٢٠٢
هي شحنة الحب التي	* بلغ الوجود بها ذراه	١١٢

الضوء لاح . . فديت ضوءك	* في السواحل يا منامه	١٧٥
لا تشردي يا قافيه	* وترفقي بفؤاديه	٢٠١

الياء

يا جنة .من جنان الله قد بعدت	*طال الحنين لها،والعمر صار سدى	١١٦
بكيت وما أبكي على الموت ساليا	* بكيت وما غاب الرشاد بحاليا	٤٣
نبت البؤس بجفني	* ني وأدمعي . . مقلتيا	٨٩

# # # #

فهرس الشعراء

(أ) شعراء تناولتهم الدراسة :

الاسم	الصفحة
[١] إبراهيم الدامغ	٢٠
[٢] إبراهيم صعابي	هامش٢٧
[٣] إبراهيم العلاف	٧٣
[٤] إبراهيم فلالي	٤٦
[٥] إبراهيم فوده	٢٣
[٦] إبراهيم مفتاح	٧٨
[٧]أحمد سالم باعطب	٣٧
[٨] أحمد الغزاوي	٨٣
[٩] أسامة عبد الرحمن	٢٥
[١٠] حسن عبد الله القرشي	٢٦
[١١] حمد الصعوس	٧٠
[١٢] حمزة إبراهيم فوده	٤٢
[١٣] سعد البواردي	٢٨
[١٤] صالح الزهراني	٣٦
[١٥] طاهر زمخشري	١٥
[١٦] عبد الرحمن العشماوي	١٥
[١٧] عبد الرحمن اليحيا	٤٠
[١٨] عبد السلام هاشم حافظ	١٥

[١٩] عبد العزيز النقيدان ..... هامش ٢٩
[٢٠] عبد الله بن إدريس ٧٧
[٢١] عبد الله باشراحيل ٦١
[٢٢] عبد الله المسعري ٤٨
[٢٣] علي حسين الفيفي ٢٨
[٢٤] علي زين العابدين ٦٥
[٢٥] غازي عبد الرحمن القصيبي ٤٠
[٢٦] فـــــؤاد شاكـر ٣٤
[٢٧] محمد إبراهيم جدع ٣٠
[٢٨] محمد حسن عواد ٢٤
[٢٩] محمد حسن فقـــي ٦٨
[٣٠] محمد عبد القادر فقيه ٣٥
[٣١] مريم البغدادي ٦١

(ب) شعراء تقضهم لمعلجة البحتة:

[١] ابن الرومـــي ١٤
[٢] ابن نباتـــه ١٣
[٣] أبو تمـــام ١٠٧
[٤] أبو ذؤيب الهذلي ..... هامش ١٨١
[٥] أبو الطيب المتنبي ١٤
[٦] أبو العلاء المعري ١٣
[٧] أبو فراس الحمداني ١٢
[٨] أحمد شوقي ٧٤
[٩] حافظ إبراهيم ٧٤
[١٠] الخنســـاء ١٨١

[١١] صخر بن عمرو بن الشريد _____ ١١
[١٢] لبيد بن ربيعـــة _____ ٩٩
[١٣] معـروف الرصافي _____ ٧٥
[١٤] نويفع بن نفيع الفقعسي _____ ١٦٣

# # # # #

فهرس المصادر والمراجع

(١) إبراهيم ، حافظ: ديوانه ، الطبعة الأولى ، دار صادر بيروت ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٢) ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر علي : خزانة الأدب ، شرح : عصام شعيتو ، الطبعة الثانية ، دار مكتبة الهلال بيروت ، ١٩٩١م .

(٣) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، قدّمها : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، أعدّ فهارسها : رياض عبد الله عبد الهادي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت ، ١٤١٧هـ١٩٩٧م .

(٤) ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن : العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة،مطبعة السعادة مصر،١٣٨٣هـ ١٩٦٤ م.

(٥) ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس: ديوانه، تحقيق : حسين نصار وآخرون ، الطبعة [بدون] ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م .

(٦) ابن طباطبا العلوي ، أبو الحسن محمد بن أحمد: عيار الشعر ، تحقيق : عبد العزيز ناصر المانع ، الطبعة [بدون] ، طبعته : مطبعة المدني مصر ، ونشرته: مكتبة الخانجي القاهرة ، التاريخ [بدون] .

(٧) ابن عبد ربه ، أحمد : العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترحيني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٤هـ١٩٨٣م .

(٨) ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء ، تحقيق : محمود شاكر ، الطبعة الثانية، دار المعارف مصر ، ١٩٦٦م ٠

(٩) ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد : سنن ابن ماجة ، حققه ورقم كتبه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة [بدون] دار الفكر بيروت،التاريخ [بدون] ٠

(١٠) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله الكبير وآخران ، الطبعة [بدون] ، دار المعارف مصر ، التاريخ [بدون] ٠

(١١) ابن نباته السعدي ، أبو نصر عبد العزيز بن عمر: ديوانه ، دراسة وتحقيق : عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، الطبعة [بدون] ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ٠

(١٢) أبو البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى " بالتبيان في شرح الديوان " ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري وآخران ، الطبعة[بدون] ، دار المعرفة بيروت ، التاريخ [بدون] ٠

(١٣) أبو بكر ، عبد الرحيم : الشعر الحديث في الحجاز ، الطبعة [بدون]، دار المريخ الرياض، التاريخ [بدون] ٠

(١٤) أبو حيان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ٠

(١٥) أبو ذياب ، خليل إبراهيم : النزعة الفكرية في اللزوميات ، الطبعة [بدون] ، الشركة العربية للنشر والتوزيع مصر ، ١٩٩٥م ٠

(١٦) أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله : اللزوميات ، الناشر : أمين الخانجي ، الطبعة [بدون] ، مكتبة الخانجي مصر ، التاريخ [بدون] ٠

(١٧) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله: الصناعتين ، تحقيق:علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة [بدون]،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر ، التاريخ [بدون].

(١٨) إدريس ،عبد الله :

[أ] شعراء نجد المعاصرون ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتاب العربي مصر ، ١٣٨٠هـ-١٩٨٦م .

[ب] في زورقي ،الطبعة [بدون]، دار عالم الكتب الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(١٩) الأزدي ، علي بن ظافر: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، الطبعة [بدون] ، دار المعارف مصر ، ١٩٨٣م .

(٢٠) الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد : تهذيب اللغة ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الطبعة [بدون] ، دار الكتاب العربي ، بلد الطبع [بدون] ، ١٩٦٧م .

(٢١) إسماعيل ، عز الدين :

[أ] الشعر العربي المعاصر" قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية" الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي مصر ، ١٩٧٨م .

[ب] التفسير النفسي للأدب ، الطبعة الرابعة، دار العودة بيروت ،١٩٨١م .

(٢٢) الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأصمعيات ، تحقيق : أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، الطبعة السابعة ، دار المعارف مصر ، ١٩٩٣ م.

(٢٣) آل حسين ، محمد بن سعد بن محمد : الأدب الحديث تاريخ ودراسات ،الطبعة الخامسة، مطابع الفرزدق التجارية الرياض ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

(٢٤) أمين ، بكري شيخ : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٩٤م .

(٢٥) الأنصاري ، عبد القدوس : يزيد بن مفرغ الحميري ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .

(٢٦) أنيس ،إبراهيم :

[أ] الأصوات اللغوية ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٧٩م.

[ب] موسيقى الشعر ، الطبعة الخامسة ، مكان الطبع وبلد الطبع [بدون] ، ١٩٨١م .

(٢٧) الأيوبي ، ياسين : معجم الشعراء في لسان العرب ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٢م .

(٢٨) باشراحيل ،عبد الله :

[أ] معذبتي ، الطبعة [بدون] ، دار النهضة مصر ، ١٩٨٠م.

[ب] النبع الظامئ ، الطبعة الأولى ، مطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر جدة ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

(٢٩) باعطب ، أحمد سالم :

[أ] أسراب الطيور المهاجرة ، الطبعة الأولى ، دار البلاد للطباعة والنشر جدة ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

[ب] الروض الملتهب ، الطبعة الثانية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

(٣٠) البخاري ، أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، الطبعة [بدون] ، دار الفكر ، بلد الطبع [بدون] ، التاريخ [بدون] .

(٣١) بدوي ، أحمد أحمد: أسس النقد الأدبي عند العرب ، الطبعة [بدون] ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٩م .

(٣٢) البغدادي،مريم : عواطف إنسانية ، الطبعة الأولى ، تهامة جدة ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٣٣) بن خالويه ، أبو عبد الله الحسين : ديوان أبي فراس الحمداني ، الطبعة [بدون] ، دار بيروت ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(٣٤) بن سلم ، أحمد سعيد: الأدباء والكتاب السعوديون " خلال ستين عاما"،الطبعةالأولى ، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٣هـ١٩٩٢م .

(٣٥) البواردي، سعد : أغنية العودة ، الطبعة [بدون] ، مطابع الرياض ، التاريخ[بدون].

(٣٦) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، طبعته: مطبعة المدني القاهرة ، ونشرته:مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م .

(٣٧) الجدع ، أحمد: شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية ، الطبعة [بدون] ، دار الضياء ، بلد الطبع [بدون] ، التاريخ [بدون] .

(٣٨)جدع ، محمد إبراهيم : المجموعة الشعرية الكاملة ، الطبعة [بدون] ، النادي الأدبي الثقافي جدة ، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م .

(٣٩) الجرجاني ، عبد القاهر :

[أ] أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، طبعته: مطبعة المدني مصر،ونشرته : دار المدني جدة ،١٤١٢هـ ١٩٩١م .

[ب] دلائل الإعجاز " الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز " ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، طبعته: مطبعة المدني مصر،ونشرته : دار المدني جدة ، ١٤١٣هـ١٩٩٢م .

(٤٠)جيدة،عبد الحميد: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، الطبعة [بدون] ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، بلد الطبع [بدون] ، التاريخ [بدون] .

(٤١) الحارثي ، محمد بن مريسي : عمود الشعر العربي " النشأة والمفهوم " ، الطبعة الأولى ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

(٤٢) حافظ ،عبد السلام هاشم :

[أ] الأربعون ،الطبعة الأولى ، الناشر : عبد المقصود خوجه جدة ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

[ب] الأعمال الشعرية الكاملة ، الطبعة الأولى ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

[ج] الفجر الراقص ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي مصر،التاريخ [بدون].

(٤٣) الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد : المستدرك على الصحيحين في الحديث ، الطبعة [بدون] ، در الفكر بيروت ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

(٤٤)الحاوي ، إيليا : شرح ديوان أبي تمام ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ١٩٨١م .

(٤٥) حسن ، حسن جاد : الأدب العربي في المهجر ، الطبعة [بدون] ، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع الدوحة ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

(٤٦) حسين ،مصطفى إبراهيم : أدباء سعوديون " ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديبا"، الطبعة الأولى ، دار الرفاعي الرياض ، ١٤١٤هـ١٩٩٤م .

(٤٧) الحميد، عبد الله سالم : شعراء من الجزيرة العربية ، الطبعة الأولى ، مكان الطبع وبلد الطبع [بدون] ،١٤١٣هـ١٩٩٢م.

(٤٨) حنبل،أبو عبد الله أحمد بن محمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت ،١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٤٩) الحوفي ، أحمد : المرأة في الشعر الجاهلي ، الطبعة [بدون] ، دار النهضة مصر ، ١٩٨٠م .

(٥٠) الخنساء ، تماضر بنت عمرو: ديوانها ، الطبعة [بدون] ، دار صادر بيروت ، التاريخ [بدون].

(٥١) الدامغ ،إبراهيم : شرارة الثار ، الطبعة [بدون] ، دار العلوم الرياض ، التاريخ [بدون]

(٥٢)الرصافي ، معروف : ديوانه ، الطبعة السادسة ، دار مكتبة الحياة بيروت ، ومحمود حلمي بغداد ، ١٩٥٧م .

(٥٣) الزبيدي ، المرتضى محمد بن محمد : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الكريم العزباوي وآخرون ، راجعه : عبد الستار أحمد فراج وآخرون ، الطبعة [بدون] ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

(٥٤)الزركلي، خير الدين:الأعلام، الطبعة الثالثة،مكان الطبع وبلده [بدون]،التاريخ[بدون] .

(٥٥) الزعبلاوي ، محمد السيد محمد : الأمومة في القران الكريم والسنة النبوية ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ١٤١٩هـ١٩٩٨م .

(٥٦) زكي ،أحمد كمال : شعراء السعودية المعاصرون " التاريخ والواقع " ،الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

(٥٧) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق : محمد مرسي علمر ، مراجعة الطبع : شعبان محمد إسماعيل ، الطبعة الثانية ، دار المصحف القاهرة،١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

(٥٨) زمخشري ، طاهر : مجموعة النيل ، الطبعة الأولى ، تهامة جدة ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٥٩) الزهراني ، صالح : ستذكرون ما أقول لكم ، الطبعة الأولى ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

(٦٠) زين العابدين ، علي : هديل ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة والنشر جدة، ١٤٠٤هـ.

(٦١) السلمي ، عمر الطيب : الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، الطبعة الأولى ، تهامة جدة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٦٢) السحرتي ، مصطفى عبد اللطيف: الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، الطبعة الثانية ، مطابع تهامة جدة ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٦٣) السيوطي ،الحافظ جلال الدين : شرح سنن النسائي ، الطبعة الأولى،دار الفكر بيروت، ١٣٤٨هـ ١٩٣٠م .

(٦٤) شاكر، فؤاد : وحي الفؤاد:

[١] الطبعة الثالثة ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر جدة ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م .

[٢] الطبعة [بدون] ، المطبعة العالمية القاهرة ، ٤ شوال ١٣٦٩هـ ٩ يوليو ١٩٥٠م .

(٦٥) الشايب ،أحمد :

[أ] الأسلوب ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣ م .

[ب] أصول النقد الأدبي ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م .

(٦٦)الشبيلي ، محمد عبده : الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ،الطبعة [بدون] إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة الرياض ، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

(٦٧)الشنطي، محمد صالح : في الأدب العربي السعودي "وفنونه واتجاهاته ونماذج منه"، الطبعة [بدون] ، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ، ١٤١٧هـ .

(٦٨)شوقي ، أحمد : الشوقيات ، الطبعة [بدون] ، مكان الطبع وبلد الطبع [بدون] ، التاريخ [بدون] .

(٦٩) صبح ،علي علي : المذاهب الأدبية في الشعر الحديث في جنوب المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، مطبوعات تهامة جدة ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٧٠)الصعيدي ،عبد المتعال : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، الطبعة [بدون] ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

(٧١)الصوينع، عثمان الصالح: حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر،الطبعة الأولى ، المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

(٧٢) ضيف ، شوقي :

[أ] الأدب العربي المعاصر في مصر ، الطبعة التاسعة ،دار المعارف القاهرة،١٩٨٨م

[ب] في النقد الأدبي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٦م .

(٧٣)طبانة ، بدوي : من أعلام الشعر السعودي ، الطبعة الأولى ، دار الرفاعي الرياض ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

(٧٤) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،الطبعة الثالثة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .

(٧٥)عبد البديع ، نظمي : أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، الطبعة [بدون]، دار الفكر العربي مصر ، التاريخ [بدون] .

(٧٦) عبد الدايم ، صابر : أدب المهجر " دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري " ، الطبعة الأولى ، دار المعارف مصر ، ١٩٩٣م .

(٧٧) عبد الرحمن ،أسامة : شمعة ظمأى ، الطبعة الأولى ، تهامة جدة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٧٨) عبد المقصود ، محمد سعيد وعبد الله بلخير : وحي الصحراء ، الطبعة الثانية ، تهامة جدة،١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٧٩)العزب ،محمد أحمد: عن اللغة والأدب والنقد " رؤية تاريخية ورؤية فنية " ، الطبعة [بدون] ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بلد الطبع [بدون] ، التاريخ [بدون] .

(٨٠) العسعوس ،حمد : دوائر للحزن والفرح ، الطبعة [بدون] ، النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

(٨١) العسقلاني ، أحمد بن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، الطبعة [بدون]، المكتبة السلفية ، بلد الطبع [بدون] ، التاريخ [بدون] .

(٨٢) العشماوي ، عبد الرحمن :

[أ] إلى حواء،الطبعة [بدون] ،مكان الطبع وبلد الطبع [بدون]،التاريخ[بدون].

[ب] صراع مع النفس،الطبعة الثالثة،مكتبة العبيكان الرياض،١٤١٢هـ١٩٩٢م.

[ج] يا أمة الإسلام " وقفة على ضفاف الجرح " ، الطبعة [بدون] ، مكتبة العبيكان الرياض ، ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

(٨٣)العشماوي، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م .

(٨٤) العلاف ،إبراهيم: ديوانه ، الطبعة الثالثة ، مطابع الصفا مكة ، رمضان ١٤٠٩هـ إبريل ١٩٨٩م .

(٨٥)عواد ، محمد حسن : ديوانه :

[أ] الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، مطبعة نهضة مصر ،١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

[ب] الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار العالم العربي القاهرة ، ١٣٩٩هـ١٩٧٩م .

(٨٦) الغزاوي ، أحمد : الأعمال الشعرية الكاملة ، الطبعة الأولى ، الناشر : عبد المقصود محمد خوجه جدة ، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م .

(٨٧) فقي ، محمد حسن :

[أ] الأعمال الكاملة ، الطبعة [بدون] ، طبعته : دار المعارف مصر ، ونشرته : الدار السعودية جدة ، ١٩٨٤م .

[ب] قمر ورجل ، الطبعة الأولى ، مكان الطبع وبلد الطبع [بدون] ، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م .

(٨٨) فقيه ، محمد عبد القادر : المجموعة الشعرية الكاملة ، الطبعة الأولى ، مكان الطبع وبلد الطبع [بدون] ، ١٤٠٤هـ١٩٩٣م.

(٨٩)فلا لي ،إبراهيم: طيور الأبابيل ، الطبعة الثانية ، تهامة جدة ، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م .

(٩٠)فوده ، إبراهيم :

[أ] تسبيح وصلاة ، الطبعة [بدون] ، مكان الطبع [بدون] مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ١٩٨٤م .

[ب] صور وتجاريب ، الطبعة [بدون]، مكان الطبع [بدون] مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م .

[ج] مجالات وأعماق ،الطبعة [بدون]،مكان الطبع [بدون] ،مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ١٩٨٤م .

(٩١) فوده ، حمزة إبراهيم : لحن قلب ، الطبعة الأولى ، مكان الطبع وبلد الطبع [بدون] ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

(٩٢) الفيروزبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ١٣٧١هـ١٩٥٢م .

(٩٣)الفيفي،علي حسين بزائر الأمس،الطبعة الأولى،مطبوعات نادي الطائف الأدبي،١٤٠٦هـ

(٩٤) الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، الطبعة [بدون] ،المطبعة الأميرية مصر ، التاريخ [بدون].

(٩٥) القاضي الجرجاني ، علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، الطبعة [بدون] ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر ، التاريخ [بدون] .

(٩٦) قدامة بن جعفر ، أبو الفرج : نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، الطبعة الثالثة ، طبعته : مطابع الدجوى القاهرة ، نشرته : مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٩٧٩م .

(٩٧)القرشي، حسن عبد الله :

[أ] نداء الدماء ، الطبعة [بدون] ، دار العلم للملايين بيروت ،التاريخ [بدون] .

[ب] ديوانه ، الطبعة الأولى ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٢م.

(٩٨) القرطاجني ، أبو الحسن حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، الطبعة [بدون] ، دار الكتب الشرقية ، بلد الطبع [بدون]، التاريخ [بدون] .

(٩٩) القصيبي ،غازي عبد الرحمن :

[أ] سيرة شعرية ، الطبعة [بدون] ، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة الرياض ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

[ب] المجموعة الشعرية الكاملة ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة للطباعة والنشر البحرين ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(١٠٠) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : التعازي والمراثي ، تحقيق : محمد الديباجي ، الطبعة [بدون] ، مطبعة زيد بن ثابت دمشق ، ١٣٩٦هـ١٩٧٦م .

(١٠١) محمود ، عبد الرحيم وآخرون : شروح سقط الزند ، الطبعة [بدون] دار الكتب مصر،١٣٦٧هـ ١٩٤٨م .

(١٠٢)المخضوب، لطيفة عبد العزيز : المرأة في الشعر السعودي " قبل النهضة وبعدها " ، الطبعة الأولى ، مطبعة سفير الرياض ، ١٤١٩هـ١٩٩٨م .

(١٠٣)المعافا ،أحمد بن محمد الشطي : فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بمنطقة جازان ، الطبعة الأولى ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة " دار العلم " جدة ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

(١٠٤) مفتاح ،إبراهيم: احمرار الصمت ، الطبعة الأولى ، دار الصافي للثقافة والنشر الرياض، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

(١٠٥) المفضل الضبي ، محمد بن يعلى : المفضليات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، الطبعة السادسة ، مكان الطبع [بدون] ، بلد الطبع بيروت، التاريخ [بدون] .

(١٠٦) الملائكة ، نازك: قضايا الشعر المعاصر ، الطبعة الثامنة ، دار العلم للملايين بيروت ، تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٢م .

(١٠٧) مندور، محمد : الأدب وفنونه ، الطبعة [بدون] ، دار المطبوعات العربية بيروت ، التاريخ [بدون] .

(١٠٨)منصور ، محمد جميل وفاروق سيد عبد السلام : النمو من الطفولة إلى المراهقة ، الطبعة الرابعة ، تهامة جدة ، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

(١٠٩) الموسوعة الثقافية الشاملة للمملكة العربية السعودية " معجم الأدباء والكتاب " ، الطبعة الأولى ، الدائرة للإعلام المحدودة ، ١٤١٠هـ١٩٩٠م .

(١١٠) الميداني ، أبو الفضل أحمد: مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة [بدون] ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

(١١١) نصير، أمل : صورة المرأة في الشعر الأموي ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ٢٠٠٠م .

(١١٢) النقيدان،عبد العزيز : تراتيم الرمال ، الطبعة [بدون] ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي بريدة ، التاريخ [بدون] .

(١١٣) نوفل ،يوسف حسن : في الأدب السعودي " رؤية داخلية "، الطبعة الأولى ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام الرياض ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(١١٤) النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحي : صحيح مسلم بشرح النووي ،الطبعة [بدون]، المطبعة المصرية ومكتبتها ، التاريخ [بدون] .

(١١٥)هلال، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، الطبعة [بدون] ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، التاريخ [بدون] .

(١١٦) الهويمل ،حسن فهد : النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ،الطبعة[بدون]، مطابع النشر العربي الرياض ، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

(١١٧) ياقوت الحموي ، شهاب الدين :

[أ] معجم الأدباء ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بلد الطبع [بدون] ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

[ب] معجم البلدان ، الطبعة [بدون]، دار صادر بيروت ، ١٤٠٤هـ .

(١١٨) يحي ، مخيمر صالح موسى : رثاء الأبناء في الشعر العربي ، الطبعة [بدون] ، مكتبة المنار الأردن ، التاريخ [بدون] .

(١١٩)اليحيا ، عبد الرحمن : الأجنحة السابحة ، الطبعة الأولى ، مطابع النصر الرياض ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

الدوريات :

(١٢٠) بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة المكرمة في المدة ٥-٧ شعبان ١٤١٩هـ ، جامعة أم القرى مكة ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

(١٢١) جريدة صوت الحجاز (العدد١٣٢) ،السنة(الثالثة)،الاثنين ١٣٥٣/٧/٢٧هـ - ١٥أكتوبر ١٩٣٤م .

(١٢٢) جريدة المدينة " ملحق الأربعاء " ،٢٩ ذو القعدة ١٤١٩هـ - ١٧ مارس١٩٩٩ م .

(١٢٣) الكتاب السنوي الثالث لكلية التربية للبنات بالرياض ، ١٣٩٦هـ .

(١٢٤) المجلة العربية :

[أ] العدد (١٠١-١٠٤) ، جمادى الثانية ١٤٠٦هـ آذار "مارس" ١٩٨٦م.

[ب] العدد (٢٥٩) ، السنة (٢٣) ، شعبان ١٤١٩هـ ديسمبر ١٩٩٨م .

(١٢٥) مجلة الفيصل ، العدد (٢٠٨) ، السنة (١٨) ، شوال ١٤١٤هـ - مارس / أبريل ١٩٩٤م .

(١٢٦) مجلة المنهل ، جـ٨ ، السنة (٣٧) ، المجلد (٣٢) ، شعبان ١٣٩١هـ - سبتمبر ١٩٧١م .

الرسائل الجامعية :

(١٢٧) جمعة ،حسين : الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(١٢٨)سيد، مفرح إدريس أحمد : الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(١٢٩)عبد ربه، أمين صالح : الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية ،١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحـــــة
مقـــدمة:	١ـ ٦
تمهيـــــد :	٨ـ ١٦
(مكانة الأم في الشريعة الإسلامية والشعر العربي القديم)	
البـــــاب الأول :	١٨ـ ٨٩
(قصيدة الأم : عرض موضوعي)	
الفصـــل الأول : الإشادة بالأم	١٩ـ ٣٠
الفصل الثاني : رثاء الأم	٣٢ـ ٥٢
الفصل الثالث : الغربة وبواعث الحنين للأم	٥٤ـ ٦٣
الفصـــل الرابع : الأم في أغراض شعرية أخرى :	٦٥ـ ٨٩
[١] الشكوى والأنين	٦٥ـ ٧٠
[٢] نموذج الأم السعودية في أعين الشعراء السعوديين	٧١ ـ ٧٥
[٣] مظاهر حب الأم لأبنائها	٧٦ـ ٨٢
[٤] الأم الثكـــــلى	٨٣ـ ٨٩
البـــــاب الثانـــــي :	٩٠ـ ٢١٢
(قصيدة الأم : رؤية فنيـــــة)	
الفصل الأول : البعد الفكري للتجربة الشعرية	٩٢ـ ١٠٢
الفصـــل الثاني: إضاءات لغوية في الكلمات والصيغ	١٠٤ـ ١٦٧
١ـ المعجم الشعـــري	١٠٧ـ ١١٢
٢ـ تنـــوع الأساليب	١١٢ـ ١٥٧
[أ] الأسلوب الخطابـــي	١١٢ـ ١٢٢

[ب] أسلوب التكـــرار	١٢٣ـ ١٣٦
[ج] أسلوب الحـــوار	١٣٧ـ ١٤٧
[د] الأسلوب القصصي	١٤٨ـ ١٥٧
٣ـ منابع الثقافة التي استقى منها الشعراء قصائدهم	١٥٨ـ ١٦٤
٤ـ استدراكات في اللغة والنحو	١٦٥ـ ١٦٧
الفصل الثالث : البنية الفنية لقصيدة الأم	١٦٩ـ ١٧٥
الفصل الرابـع: الأم في دائرة التصوير البياني والتفنن الأسلوبي	١٧٧ـ ١٨٩
الفصل الخامس: التشكيـــل الموسيقـي	١٩١ـ ٢١٢
الخاتمـــــــة	٢١٣ـ ٢١٥
فهـــــرس الأشعـــــار	٢١٧ـ ٢٢٦
فهـــــرس الشعـــــراء	٢٢٧ـ ٢٢٩
فهـــــرس المصـــادر والمـــراجع	٢٣٠ـ ٢٤٤
فهـــــرس المحتويـــــــات	٢٤٥ـ ٢٤٦

# # #

Thesis Abstract

The Mother in Modern Saudi Poetry
(A Subjective Artistic Study)
A Complementary Research Paper for the Master Degree in Literature

The glorious Qur'an texts have registered an unprecedented respected and obeyed, thereby giving her a sublime and gallant status, which is further confirmed in the tradition of Prophet Mohammed (P.B.U.H), who considered her an important path to paradise. Accordingly, the poets took interest in honoring her-through their various eras and engulfed her by a revered palisade of piety and tribute.

Therefore, it is no wonder that Saudi poets inherit the heritage of their ancestors, whereby their hearts have gained serenity before their minds and their emotions have gushed before their tongues. Consequently, their poetic works abound with sentimental maternal poems.

The literature review of this research paper has uncovered the valuable contents of that great entity, depicting those emotional overflows in various images, classified in different poetic purposes including truthful elegies that laud the mother, her characters and virtues and other delicate ones that seek safety when times become harsh and look for comfort when the soul gets tight with its endurance. Moreover, they depict a model capable of producing a generation after generation and a bereaved soul that reflects solitude and agony.

However, the mother with some Saudi poets has surpassed with her verbal sense, the prerequisites of truth and reality to other aspects of functioning and orientation, as when they use her, sometimes, as a symbol of the beloved desert or the homeland.

Aside from that, the diction mechanisms used for dealing with the mother's poem have been surveyed and classified into artistic themes, that took after features of variety and perception, the fact that lead to diversity of the poetic dictionary in singular words or linguistic composition, the contrast in artistic performance techniques, the multiple of instruments of eloquence portraying and measures of prospidical framing that they have employed in this respect, each according to his direction and destination.

The researcher has come out with the following results:

The mother was and is still a source of inspiration for poets, in the past and nowadays, whether in the modern Saudi poetical works, or in the old ones through their consecutive eras. The Saudi poet has always abided by the objectives of this poetry and its values in portraying the maternal passion in praise, elegy, longing and yearning, grievance and whining ... etc. The researcher has depended in forming her sentimental experience towards those objectives on various stylish phenomena and diversified artistic patterns.

Researcher

Jawahir Bint Abdullah Al-Usaimi

Supervisor

Prof. Al-Sayed Al-Iraqi Saad Mansoor

Dean, College of Arabic Language

Prof. Abdullah Naser Al-Qarni